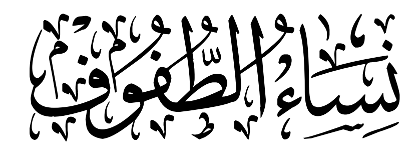

بسم الله الرحمن الرحيم


نساء الطفوف



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية

لسنة ٢٠١٠؛ ١٦٦٥

BP
٤١/٧٥٠٩
٥ ن /
٤ ح

الحداد، كفاح، ١٩٥٩ - م.

نساء الطفوف / لكفاح الحداد[تدقيق ....، تقديم محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

ص٢٧١. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٥٠)

المصادر: ص ٢٦٣ - ٢٦٤؛ وكذلك في الحاشية.

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. أصحاب - النساء. ٢ . واقعة كربلاء، ٦١ ق. والنساء المسلمات. ٣ . النساء في الإسلام. ٤ . النساء والمهدوية - الانتظار. ٥ . عاشوراء - فلسلفة - روابط - النساء. ٦ . زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦ -٦٢ق. ٧ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. - النساء - دراسة وتعريف . ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - م.، مقدم ب. .... ج. العنوان.

BP ٤١ / ٧٥٠٩ / ٥ ن ٤ ح

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

نساء الطفوف

للباحثة الاجتماعية

كفاح الحدّاد

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الاهداء

إلى المولودة في معقل العصمة والتقى ومهبط الوحي والهدى إلى

المرأة الصالحة

والمجاهدة الناصحة

والحرة الأبية

واللبوة الطالبية

والمعجزة المحمدية

والذخيرة الحيدرية

والوديعة الفاطمية

إلى سيدتي ومولاتي زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام

اقدم هذه الوريقات

كفاح الحداد

مقدمة اللجنة العلمية

لم تكن عاشوراء حكاية عابرة يستمتع بها قراءها، ولا هي بالحادثة الغابرة يستذكرها قصاصها، ولا هي واقعة تقادم عليها الزمان فيرتجعها ذكرى من ذكريات الزمن المهدور... بل غدت عاشوراء أنشودة الأجيال على مر العصور، وباتت واقعتها صانعة الأبطال تستنزل الذكريات مصاغة بصورها الملائكية يوم كانت الأنوثة في ربواتها تستصرخ الشهامة فتحيلها ثورة متلبسة بلبوس الشخوص، ومختالة بعنفوان التحدي وإعجاز الغيب يدفعها صانعةً لملاحم الذكريات... هذه هي عاشوراء تترجل الخطى في مواقف يستجمعها الكتاب في باقةٍ عطرةٍ من الأسماء: زينب بنت علي، فاطمة، سكينة، أم كلثوم، الرباب ومن خلف هذا الجمع الهاشمي تستدرج الكاتبة كواكب التضحية، دلهم بنت عمرو، طوعة، مارية بنت منقذ، النوار إلى غيرها من أريج باقة الفداء التي غدت تسطع في أفق الخلود.

ان الكتابة عن عاشوراء مسألة فذة تحتاجُ معها إلى سبر أغوار تاريخيةٍ وأخلاقية واجتماعية خصوصاً إذا كانت الكتابة فيها عن أشخاص ملكت نفوسهم طاعةً إلهية تتمثل في طاعة الإمام وليبلغوا عنفوان التضحية والفداء بما قدموه وما سجلوه من مواقف ومثل عليا يعجز عندها الوصف، ويخشعُ دونها الطرف، ولا يبقى للمدح في شموخها وكبريائها الا الانزواء في خضم هذا الموج الهادر من الولاء والفداء.

لقد جالت أقلام الباحثين وحاولت همم المؤلفين أن يقفوا على أعتاب الملحمة العاشورائية فلم يجدوا إلا البقاء خارج الحقيقة لأن عاشوراء سرٌّ مكنون لا يناله إلا أصحابها.

لقد حرصت الباحثة أن تقدمَ الطفوفَ بنسائه لنقرأهُ على مُكثٍ، ونستذوقه على حقيقته المنزّلة من فصول المعجزات، ولم يدّخر البحث جهدا في تقديم هذه النماذج التي اختلطت بدمائها مواقفها، وتجذرت من قيمها أفكارها، واستحالت تتلظى في وهاد عالم يرفضُ قيم التفاني، ويسترخصُ مبادئ الولاء ويعجُ بأفكارٍ خاوية خالية من المكرمات.. والبحث في هذا قدّم نموذج المعرفة بوحدة واحدة لكنها بتجليات عدة تسترخص معها التضحيات وتستجلب نساء الطفوف في تألقِ الإبداع، وعنفوان العطاء الهاشمي، والألق الملكوتي الغابر في غمرات الدهور...

عن اللجنة العلمية السيد محمدعلي الحلو

١٠ شعبان ١٤٣١هـ - النجف الأشرف

المقدمة

في تاريخ الاسلام الممتد وعلى مدى قرون عديدة نجد ان صورة المرأة تسطع فيه إلى جانب صورة الرجل حتى في اشد المراحل حراجة وخطورة وصعوبة، فهو لم يك تاريخا ذكوريا محضاً كما لم يك تاريخا انثويا محضا بل هو تاريخ الانسانية المشتركة بصورتها الآدمية لكلا الجنسين. فمنذ ظهوره رفض صناديد قريش ورجالاتهم الإيمان بالدعوة المحمدية علواً واستكباراً فكانت السيدة خديجة هي المسلمة الأولى والمؤمنة الأولى التي أحنت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدمت الدعم المادي للرسالة الجديدة.. وعاشت معه أياماً صعبة تحملت فيها ما جرى على المسلمين من تعذيب واضطهاد على يد المشركين. وذاقت ألم الجوع والحرمان (وهي الثرية الغنية) في شعب ابي طالب حتى قضت نحبها في عام سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعام الحزن.. وكان يذكرها كثيرا ويعرّف بمكانتها في نفسه. فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم عنها في رده على زوجته عائشة التي انكرت عليه هذا الذكر الكثير للسيدة خديجة سلام الله عليها بالقول: وهل كانت إلا عجوزاً ابدلك الله خيراً منها فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا والله ما ابدلني الله خيراً منها آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذّبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»[1].

---

١ - الصقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة.

وقد كانت المرأة حاضرة مع الرجل في تدعيم الدولة الاسلامية الفتية من خلال البيعة والهجرة والمشاركة في الحروب والاقبال على التعلم الى غير ذلك. ثم استمرت الدعوة الإلهية لتمر على منعطف صعب وشديد الخطورة فكانت صورة الزهراء عليها السلام وهي تطوف على بيوت المسلمين تذكّرهم بعهدهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى في حجة الوداع وكان علياً عليه السلام معها يقود بغلتها ويشد ازرها. وما وهنت عليها السلام في دفاعها عن حقها وعن تبيين المسار المنحرف الذي دخلت فيه الامّة حتى آخر لحظات حياتها.. ثم كان رحيلها وتغييب قبرها ليكون وثيقة احتجاج خالدة على مدى الزمان!..

ثم كان المنعطف الفيصل حينما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع نساءه وعياله فكانت ملحمة الطف العظيمة «يوم شبهه البعض بيوم القيامة»[1] لما كان فيه من مصائب وكروب يشيب لها الولدان شيباً. وكانت القضية التي قادها الإمام الحسين عليه السلام والتي تمثلت في طلب الإصلاح لهذه الأمة العظيمة بكل امتدادها.. والتي تجسدت بشكل ملحمة عظيمة لا مثيل لها قبل وبعد الثورة ..كانت هذه الثورة قد أظهرت الادوار العظيمة لنساء الطفوف في الواقعة وبعدها وعلى رأس هؤلاء اخت الإمام الحسين عليه السلام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام والتي كانت لها الأدوار الريادية في قيادة القضية الحسينية وفي نشر أفكارها بعد استشهاد الإمام وصحبه الكرام.

في كربلاء نقف وباجلال على تضحية الرجل والمرأة على حد سواء، فكربلاء صورة لتجلي إخلاص المرأة والرجل، وتنافس المرأة مع الرجل الى نصرة الدين والى حماية مقدساته ولكن كل بطريقته التي تتناسب مع خلقته وعظمته ومع خط السير الرباني.

---

١ ـ محمد جواد مغنية في كتابه الحسين وبطلة كربلاء.

لقد كانت كربلاء صورة رجولية عليا في التضحية والشهادة والفداء وصورة نسائية عليا في الصبر والصمود وفي حمل هموم الرسالة والدفاع عنها وعن كل المقدسات التي جاهد من أجل صيانة قيمها السامية الابطال من الرجال والنساء مع الحفاظ على كل القيم التي آمن بها الرجل والمرأة على حد سواء.

وبعبارة أخرى فاننا نجد في هذه الواقعة سمواً إنسانياً رفيعاً عالياً فالإنسان الخليفة هو الحاضر الذي رسم ايدولوجية المعركة وعرّف باهدافها وقيمها.. ومع ارتقاء هوية الإنسان ـ الإنسانية بشقيها الذكر والانثى ـ. تبدو الواقعة وكأنها تجسيد لقيم الإنسان بعيداً عن التقوقع في دائرة الخصوصية الجنسية المحدودة.

وإذ يرى الكثير من المفكرين الإسلاميين والباحثين بانه لولا وجود النساء في هذه المعركة لما رسخت القضية العاشورائية في الوجدان الشعبي ــ وهذا لا يعد تغيباً لدور المعصوم عليه السلام في هذا الشأن وغيره ــ.

ولما عرفنا أصلاً أسباب الثورة وأهدافها وشخوصها فقد ضاعت الكثير من الوقائع المهمة في التاريخ ولسبب بسيط هو انها لم تجد الألسنة التي تعبر عنها (والوكالات الخبرية أو الفضائيات) التي تبثها إلى الرأي العام لتعرفه بها وهذا عكس ما حصل مع ملحمة كربلاء حيث حملت النساء فيها رسالة الإعلام بنبل وآباء وبوضوح بعيداً عن التشويه والتزييف وطمس الحقائق.

والحق ان دور المرأة في الثورة الحسينية كان دوراً واسعاً متعدد الوجوه متعدد العطاءات كما انه كان دوراً ثقيلاً في زمن عسير وفي منعطف وعر من التحديات والمصاعب التي عاشها أهل البيت عليهم السلام بل وعاشتها رسالة الإسلام كلها.. ولكن هذا الدور العظيم الذي جعله البعض عدلاً لدور الشهادة[1] لم يلاقِ من التعريف

---

١ ـ يراجع كتاب الخطاب الحسيني للشيخ محمد مهدي الاصفي.

والنشر بشكل يتلائم مع عظمة شخوصه وأحداثه فما أكثر الكتب التي تناولت الحديث عن أسباب الثورة وأهدافها وشخوصها – وهو أمر مهم ومطلوب – لكن بين هذا الكم الكبير من الأوراق المنشورة.. كم نجد تعريفاً لهذا – العدل – وكم نجد توضيحاً لدور النساء في المعركة وبعدها؟.. ربما لا نجد إلا همساً!! .. ولهذا أرى – ويرى غيري أيضاً – ان دور المرأة في النهضة الحسينية قد تعرض للاجحاف والظلم والتهميش وسوء الفهم حتى من قبل انصار الثورة وحملة المنبر الحسيني .. فلقد رسمنا لهن صورا مسوّرة بسور العجز والذل والانكسار المحبط وحصرناهن في دائرة الرثاء والأسى والحزن ونسينا ان هؤلاء [وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام] كن قمماً في الصلابة وقوة الإرادة والثقة بالنفس إلى غير ذلك من الصفات المهمة.. وما اكثر الباكين والنادبين الذين يبكون هؤلاء النساء وعلى ما جرى لهن من مصائب جمة لكنهم يقتلون هؤلاء النساء في اليوم والليلة مئات المرات من خلال أمية نساءهم وهيمنة الجهل والتخلف على أوضاعهن وحبسهن في سرادق الوهم والتخلف.. وساهمت النساء في قتل سبايا الطفوف من خلال افراغهن من كل محتوى فكري وحضاري وحصر وجودهن في بكاء انفعالي جامد غير قادر على هز الشخصية الراكدة لتخرج رطباً جنياً.

من ذلك كله نرى أنفسنا بحاجة إلى الارتباط بهؤلاء النساء العظيمات وبمواقفهن وأدوارهن وذلك لكي:

١ – نفهم أنفسنا ونفهم هويتنا الإنسانية والرسالية.

٢ – نفهم أدوارنا ومسؤولياتنا وما هو المطلوب منا.

٣ – نفهم دورنا المطلوب في نصرة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف والتمهيد لظهوره وهو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

٤ – ولكي نستقرئ منظومة القيم التي عندنا ونرى إلى أي مدى هي متوافقة مع قيم نساء الطفوف.

ومن هنا جاءت فكرة كتابة هذه الوريقات المحدودة التي هي :

هي تذكرة بهؤلاء النساء العظيمات في التاريخ.

وهي دعوة للتأسي بهن والاقتداء بمنهجهن.

ولا ادعي القدرة على عرض المطلوب فما تفلح قطرة من بحر المعرفة في التعريف بالبحر كله لكنها بداية متواضعة ولعلها تكون سبباً للمزيد من البحوث.

وأود ان أشير الى ان جلّ الحديث في هذا الكتاب سيكون عن نساء أهل البيت عليهم السلام، وخاصة عن السيدة زينب عليها السلام، باعتبارها سيدة الطف الأولى آملين ان نوفق في التاسيس لبرنامج اعادة قراءة التاريخ برؤى معاصرة.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

كفاح الحداد

الفصل الأول

المرأة قبل الطفوف



ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى ٤ مراحل وهي :

١ ـ المرأة في العصر الجاهلي.

٢ ـ المرأة في العصر الذهبي (العصر النبوي).

٣ـ المرأة في عصر خلافة الشيخين

٤ ـ المرأة في العصر الأموي.

١ - المرأة في العصر الجاهلي

عُرف المجتمع الجاهلي بظلمه للانسان بصورتيه الذكر والانثى .. فقد عاش الرجل فيه مرارة الرق وامتهان الكرامة وتغييب الحقوق الانسانية وكان حال المرأة اشد ايلاما واعظم جرحاً.. فقد كانت مظالم النساء في العصر الجاهلي كثيرة تبدأ بالوأد ولا تنتهي عند العضل والظهار. وكانت تحرم من ارثها ولكنها في نفس الوقت تصبح سلعة ومتاعا يورث كما يورث أي متاع! وللوارث الحق في البيع والتزويج والحبس حتى الموت أيا كانت!. ولم تكن تملك حق اختيار الزوج أو حق التصرف في أموالها، وكانت تعاني من الوأد الذي كان موجوداً عند قبيلة واحدة ثم اصبح عادة وعرفاً عند باقي القبائل!. والمؤودة المقتولة هي (الجارية تدفن حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها

أي يثقلها حتى تموت) وكان الوأد أحياناً بسبب الفقر وغالباً ما يعود السبب إلى حمية الجاهلية حيث كانت القبائل العربية يغير بعضها على بعض ولكي لا تصبح البنات اسارى عند الاعداء عُمد إلى قتلهن وهن صغار، وكان الوأد يتم بعدة طرق منها ان المرأة في الجاهلية كانت إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وان ولدت غلاماً حبسته ومنه قول الراجز:

سميتها إذ ولدت تموت   والقبر صهر ضامن زميت

فعد القبر صهر ضامن زميت (أي وقور).

وفي تفسير القرطبي والطبري عن قتاده قال: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغدو كلبه فعاتبهم الله على ذلك وتوعدهم بقوله:[1]

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.[2]

ولهذا كان أحدهم يغتم إذا ولدت له بنتاً، وإلى هذا يشير القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.[3]

(فالإنسان الجاهلي كان يئد ابنته التي من صلبه ويتبنى ابن الفجور ويلحقه به!) وكان القوي يأكل الضعيف ويحّرم الرجال اطعمة على النساء لكنها حلال عليهم، وكان القوم يتكسبون بفروج الاماء والجواري حتى شاعت ظاهرة الرايات المنصوبة في الأسواق وعلى الأبواب لدعوة الناس إلى الفجور والبغاء.[4]

---

١ ـ السيد مرتضى العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ص ٤٥.

٢ ـ سورة التكوير، الآية ٨ـ٩.

٣ ـ سورة النحل، الآية ٥٨ ـ ٥٩.

٤ ـ السيد مرتضى العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ص ٤٥.

ولم تحصل المرأة على ما يعينها على بناء شخصيتها وذاتها من العلم والمعرفة أو العمل النظيف إلى غير ذلك، وإلى وضع المرأة في العصر الجاهلي يشير العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان إلى أحوال المرأة قبل الإسلام من خلال عدة امور منها :

١ . انهم كانوا يرونها إنساناً ضعيف الإنسانية منحطاً لا يؤمن شره وفساده لو اطلق من قيد التبعية واكتسب الحرية في حياته.

٢ . انهم كانوا يرون في وزنها الاجتماعي انها خارجة من هيكل المجتمع المركب غير داخلة فيه وانما هي من شرائطه التي لا غنى عنها كالمسكن لا غنى عن الالتجاء إليه.

٣ . انهم كانوا يرون حرمانها من عامة الحقوق التي امكن انتفاعها منها الا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرجال القيمين بأمرها.

٤ . ان أساس معاملتهم معها فيما عاملوا هو غلبة القوي على الضعيف وبعبارة أخرى قريحة الاستخدام.

٢ - المرأة في العصر النبوي (العصر الذهبي)

وهو عصر الإسلام ويبتدء من ظهوره في مكة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام ١١هـ في المدينة. وإنما سُمي بالعصر الذهبي لأنه العصر الوحيد الذي طبق فيه الإسلام وبالتالي فهو العصر الوحيد الذي حصلت فيه المرأة على حقوقها السياسية والثقافية والاجتماعية كما كان للمراة دور واضح في الحياة العامة وفي تغيير الكثير من العادات والقيم التي كانت سائدة آنذاك. ويمكن القول ان المرأة في هذا العصر بدأت تعرف ذاتها ونفسها وتسعى لبناء شخصيتها وفق آيات القرآن الكريم وبدأت تتسابق مع الرجل لتحصيل سعادة آخروية مطلوبة.

وباجمال عام يمكن ان نتناول ما أحدثه الاسلام من تغيير في وضع المرأة الذاتي والعام من خلال عدة أمور منها:

انه اعاد إليها اعتبارها الإنساني الذي افتقدته على مر التاريخ فمن ناحية اعتبرها الاسلام صنو الرجل في الخلق ولا تمايز بينهما في أصل الخلقة والتكوين، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾.[1]

فالإنسان واحد وله صورتان صورة المرأة والرجل ولا فضل لاحدهما على الآخر إلا بالتقوى قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾.[2]

وهاجم الإسلام بشدة عادات الجاهلية التي تؤذي المرأة فهاجم الوأد هجوماً شرساً. قال تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾.[3]

واعلن احتجاجه على قتل الأولاد بسبب الفقر فالله هو الرزاق الكريم. قال تعالى:

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾.[4]

---

١ – سورة النساء، الآية ١.

٢ – سورة الحجرات، الآية ١٣.

٣ – سورة التكوير، الآية ١١.

٤ – سورة الاسراء، الآية ٣١.

بل ان القرآن الكريم هاجم وبشدة الكراهة التي يظهرها الآباء عند ولادة البنت، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ... أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.[1]

وحرم القرآن التعامل مع المرأة على انها متاع يورث كما تورث الامتعة والمواشي حيث كان الوارث يتحكم فيها كيفما يشاء فله الحق في ان يعضلها من الزواج أو يزوجها من يشاء أو يبتز مالها قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾.[2]

واعطاها الحق الكامل في الاحتفاظ بمالها وثروتها قال تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾.[3]

و منحها من الحقوق ما للرجل قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.[4]

ولأنه اعتبرها إنساناً كاملاً كالرجل فهي إذاً كائن مكلف وعليها ان تؤدي ما عليها من الطاعات والعبادات ولها من الثواب ماله وعليها من العقاب ماعليه كما انه سبحانه وتعالى بيّن مقاييس التفاضل بين الرجال والنساء سواء بين الجنس الواحد أو

---

١ – سورة النمل، الآية ٥٩.

٢ – سورة النساء، الآية ١٩.

٣ – سورة النساء، الآية ٣٢.

٤ – سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

بين الجنسين وهي مقاييس اكتسابية لا تقوم على الجنس أو الخلق أو الصورة أو النسب الى غير ذلك من الاعتبارات الدنيوية بل تقوم على اساس الإيمان والعمل الصالح والتقوى قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.[1]

وقال أيضاً:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.[2]

ومدح القرآن الرجال والنساء لا للذكورة أو الانوثة بل لمؤهلاتهم التكاملية ولايمانهم.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.[3]

وهاجم القرآن من يتعرض للمؤمنين والمؤمنات بالاذى على حد سواء قال تعالى:

---

١ - سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢ - سورة النحل، الآية ٩٨.

٣ - سورة الاحزا ب، الآية ٣٥.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.[1]

وكشف لهم عن صورة الآخرة وعرفهم بالنور الذي سيميزهم عن غيرهم، قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.[2]

وجعل موازين الفلاح قائمة على الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورسم ابعاد العلاقة بين الرجل والمرأة باها علاقة ولاء من اجل خدمة دين الله، قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.[3]

وجعل الخيبة في عكس ذلك تماماً خيبة واضحة لكلا الجنسين، قال تعالى:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.[4]

وقال أيضاً:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾.[5]

---

١ – سورة الاحزاب، الآية ٥٨.

٢ – سورة الحديد، الآية ١٢.

٣ – سورة التوبة ، الآية ٧١.

٤ – سورة التوبة، الآية ٦٧– ٨٦.

٥ – سورة التوبة، الآية ٦٨.

وقال أيضاً:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.[١]

والقى بمسؤولية اعالة المرأة وتأمين نفقاتها على الرجال وخفف عليها في عبادتها فهي لا تقضي صلاتها ولكن تقضي صومها، بل انه تعهد لها بالحماية والرحمة كما جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**ان الله تبارك وتعالى على الاناث أرأف منه على الذكور**».[٢]

وضربها الله مثلاً للرجال والنساء على حد سواء قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.[٣]

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾.[٤]

وكرّم الإسلام الأم وجعل الجنة تحت أقدامها وامر ببرها والاحسان إليها. فقد جاء في الحديث الشريف:

«**الجنة تحت أقدام الأمهات**».

وقال تعالى:

---

١ - سورة الحديد، الآية ١٣.

٢ - الكليني، الكافي، ح ٦، ص ٦.

٣ - سورة التحريم، الآية ١١.

٤ - سورة التحريم، الآية ١٠

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾.[1]

ومن محصلة ذلك كله كانت (النساء شقائق الرجال) كما عبر الحديث الشريف فبدأت المرأة المسلمة تشعر ان لها كياناً مستقلاً وان عليها واجبات ولديها حقوق وانها تتنافس مع الرجل من أجل الوصول إلى رضا الخالق وتحصيل النعيم الاخروي.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾.[2]

وبهذا بدأنا نلمس حضوراً جديداً للمرأةلم يكن سابقاً فقد شاركت في البيعة (آية ١٣ ، سورة الممتحنة)، وشاركت في الهجرة (الآية ١٠ ، سورة الممتحنة)، وكانت حاضرة في الحروب والغزوات فهذه اميمة بنت القيس بن ابي الصلت الغفاري تعالج مرضى وجرحى المسلمين وتلك نسيبة المازنية تقاتل في المعركة دفاعاً عن رسالتها ودينها وتحامي عن رسول الله يوم أحد وكانت تقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى اصابتها جراحات كثيرة.. يقول الواقدي في المغازي:

وكن جئن (بعد معركة أحد) أربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم.

كما ظهر خطاب جديد للمرأة فبدأت مطالبات وتصريحات واخذت النساء المسلمات يطرحن افكارهن وما يجول في خاطرهن على القيادة العليا المتمثلة بالرسول

---

١ – سورة لقمان الايه ١٤.

٢ – سورة المطففين، الآيات ٢٢ – ٢٦.

صلى الله عليه وآله وسلم دونما ادنى حرج واصبحت المرأة تطالب بحقوق وامتيازات أكثر ومن هذه الصور مطالبة اسماء بنت يزيد الانصارية، فقد جاء في المأثور انها اتت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين اصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت له: بأبي أنت وأمي اني وافدة النساء إليك، واعلم نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي، ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبالهك الذي ارسلك، وإنّا - معشر النساء - محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم - معشر الرجال - فُضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله. وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم اثوابكم وربينا لكم أولادكم فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

التفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة قط احسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟[1] فاجابه الصحابة: يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

ومطالبة أم سلمة اذ تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فنزلت الآية:

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ

١ - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٢، ص ٣٥٠.

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾.[١]

وهذه الآيات نزلت في ركب الفواطم (فاطمة بنت اسد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة بنت الزبير) اللائي هاجرن مع علي بن أبي طالب بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولحقت بهم في ضجنان أم ايمن ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا وهم يذكرون الله في جميع أحوالهم حتى لحقوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.[٢]

يروي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، فعلمهنَّ مما علمه الله. فهذه امرأة من الصحابيات تأتي الرسول صلوات الله عليه بجرأة أدبية مشكورة وتخاطبه برباطة جأشٍ وتعرض عليه مطاليبها ومطالب النساء الاخريات وتحظى بالاجابة!. وهذا بحد ذاته ارتقاء في سلم التطور الفكري والوعي النسائي.

وبدأت المرأة تشارك في التغيير الاجتماعي عبر ازاحة الظواهر السلبية التي كانت موجودة آنذاك كظاهرة الظهار كما ورد في سورة المجادلة:

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ

١ - سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

٢ - الطباطبائي، الميزان، ج ٤، ص ٩٥.

أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾.[1]

وإذا كانت بداية التغيير الإنساني تبدأ من تغيير العقائد والأفكار فمعنى ذلك ان العقيدة الإسلامية قد حملت أساس التغيير الأولي للمرأة والرجل على حد سواء، فلم تنطلق المرأة بمفردها نحو الكمال والتكامل بل كانت مع الرجل في مسيرة الدعوة والتزكية، فإذاً هو تغيير شامل كاسح لكل القيم الجاهلية التي تُبني على أساس الصورة والجنس، ولئن كان الإسلام قد رسم اطار الحياة الخاصة للمرأة في دائرة حياتها الزوجية والاسرية فكانت هناك تباينات ظاهرية في بعض الحقوق فان هذا لا يعد موشراً على التمييز ضد المرأة لان الإسلام ينطلق من رؤية شاملة واسعة للمجتمع كله وعلى اساس العدالة والمساواة وليس المساواة فقط (وان كانت المطالبة الان تدور حول التشابه قبل المساواة والعدالة!).

وبهذا كان ظهور الإسلام منعطفاً كبيراً في حياة المرأة والرجل على حد سواء.. فالإنسان الجاهلي الذي آمن بالاسلام اخذ يعيش همَ الرسالة والدين.. واصبح ذو هدف عالمي في نشر الإسلام في ارجاء المعمورة، وشعر الرجل والمرأة بانهما معنيان بشؤون المجتمع واعمار الكون وان الارتقاء الذاتي والاجتماعي يتحقق عن طريق تبني القيم الدينية العليا وليس على أساس المتعة المادية الرخيصة أو العادات الجاهلية.

وفي هذه الحقبة الزمنية القصيرة لمعت اسماء في سماء الرسالة وازهرت نجوم لا تضاهى وكانت هؤلاء النساء هن القدوة الحسنة الصالحة للاقتداء وهن يعبرن عن الإسلام كمنظومة صالحة لقيادة الأمة واعداد النموذج النسائي الرفيع المتسامي على الشهوات والغرائز والذي يعيش غايات عليا تتمثل في رضا الله وتحصيل الدار الآخرة

---

١ - سورة المجادلة، الآية ١.

ونصرة الرسالة.. وتأتي السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين كنموذج سامي لامرأة ثرية انفقت ما لديها من أجل نصرة عقيدة امنت بها، نموذج لامرأة قوية الشخصية صمدت أمام حراب المجتمع وبغض نساءه وواست فقراء المسلمين بما عاشته من جوع أيام الحصار القاسي...

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجماً زاهرا في سماء العقيدة. هذه المرأة التي عاشت عمراً قصيراً لكنها كانت مع الرسالة وتعيش هم الرسالة كله حتى سمّاها أبوها النبي القائد صلى الله عليه وآله وسلم بأم أبيها.. فقد كانت الزهراء نموذجاً لامرأة تشارك في الحياة الثقافية من خلال ما كان لديها من حلقات ثقافية تقيمها لنساء المدينة حيث تعلمهن شؤون دينهن وترد فيها على اسئلتهن[1].

ثم كانت هي النموذج السياسي من خلال مشاركتها في حمل الهم السياسي وكانت هي النائبة عن النساء المسلمات في مؤتمر المباهلة. ثم انها عليها السلام كانت ذات حضور اجتماعي واسع تشهد لها به سورة الدهر فيما ورد في فضائلها الكثيرة التي لا مجال للحديث عنها الآن، بل انه حتى في طريقة تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معها في اكرامه لها وقيامه لها واعانته لها في شؤونها البيتية لهونموذج لتبديل صورة الكراهة التي كانت تلاقى بها الانثى في المجتمع الجاهلي الى صورة انسانية عظيمة.

ان هذه النماذج العليا كانت تعبيراً واضح المعالم عن اطروحة الرسالة وما جاء به الإسلام الجديد بالنسبة للمرأة وما يريد أن تكون عليه.

وكانت هناك نماذج نسائية رفيعة كسمية أم ياسر.. الشهيدة الاولى.. والتي

---

١ - فكانت أول المدارس الثقافية في الإسلام في المدينة وبذلك قادت الحركة الفكرية الأولى للنساء المسلمات.

يبشرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجها وولدها بالقول: صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنة.. ربما لم تصل سمية إلى مرتبة الوعي الفكري الموجود حالياً عند نساءنا لكنها جسدت إيمانها في صورة خالدة وفي سلوك عملي مثمر.

وواجهت هذه السيدة كما واجهت خديجة عليها السلام وغيرها من المسلمات الأوائل شتى أنواع العنف السياسي القاسي ضد المرأة المسلمة - كما هي الحال في الرجل - لكنها كانت ذات ارادة قوية في الله وكشفت عن صلابتها وصمودها امام التحديات.

وهذه «نسيبة المازنية» التي كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بني، إلى اين تفر عن الله وعن رسوله، فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف أبنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبة.

وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى أصابتها جراحات كثيرة.[١]

ويمكن القول ان هذه الصور العليا للنساء قد اوضحت للمرأة ما لها وما عليها من حقوق وواجبات ومسؤوليات وبالتالي اخرجت المرأة من اطار الاستغراق الذاتي والانغماس في شؤون الحياة الخاصة إلى أفق الحياة العامة التي هي للجميع رجالاً ونساءاً وبذلك قدّمن النموذج العملي للصورة التي يريدها الإسلام للمرأة المسلمة.. والتي هي صورة عليا لا تستغرقها الشهوات والملذات بل تتسامى في حجابها وعفافها وفي طلبها للعلم وتبحث في الدائرة الحياتية الواسعة عن ميادين سبق مع الرجل المسلم لتحصيل رضا الله والفوز بالجنة.

---

١ - عن سفينة البحار، ج٢، ص ٥٨٥.

٣ - المرأة في عصر خلافة الشيخين

يبدأ هذا العصر منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام ١١هـ حتى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في عام ٤٠هـ.. يتميز هذا العصر بانه يبتدئ باحتجاج شديد اللهجة من قبل الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الخليفة الأول، تشاركها في هذه المواجهة مفردات من النساء مع مفردات رجالية بقيت ثابتة على عهدها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير.

وقد كان احتجاج الزهراء عليها السلام بشأن سلب حقها في ارض فدك ولم تكن الأرض -كمنفعة شخصية - هي السبب الوحيد في الاحتجاج على الحكومة آنذاك بل ارادت الزهراء ان تكشف للأمة الإسلامية من خلال قضية فدك بداية الانحراف الذي تتعرض له الأمة وبداية التزييف والاقصاء للنهج القراني والذي بدا واضحاً في سلب أمير المؤمنين عليه السلام حقه في الخلافة واستغلال انشغاله بتكفين الرسول ودفنه كي يثّبت الحكم خارج البيت النبوي بصورة تدل على استغراق الناكثين للبيعة في حمّى الدنيا وحمّى الجاهلية المقيتة ونموذجاً للذوب في الانا والذات بعيداً عن مصلحة الإسلام العليا. ولم يكن هيناً على ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان تقيم دعوى الاحتجاج على الخليفة ولكن كان لابد من حركة كي يفهم الناس وعورة الطريق الذي دخلو فيه.. وابتدأ احتجاج الزهراء عليها السلام من خلال مواقف عدة مرة مع الخليفة نفسه ومرة أمام الأمة نفسها.. لقد واجهت الخليفة نفسه دون خوف أو تردد.. وانى يكون ذلك وهي بضعة الرسول التي يغضب البارئ لغضبها.. فقد روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام:

أنه لما اجتمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت

في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنَت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم.

قالت : ...

يا أيها الناس أعلموا أني فاطمة، وأبي صلى الله عليه وآله وسلم أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فإن تعزوه، وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخاً ابن عمّي دون رجالكم ... إلى اخر خطبتها العظيمة.[1]

وقد حاول الخليفة استرضاءها لكنها اعلنت موقفها بصراحة بالقول :

أيها المسلمون! أأغلبُ على إرثيه؟ يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً على رسول الله!! أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟

إذ يقول:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾.

وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا (عليه السلام) إذ قال:

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

---

١ - الخطبة موجودة بكاملها في كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور وفي الاحتجاج للطبرسي وكتب اخرى.

وقال:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾.

وقال:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾.

وقال:

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية من القرآن أخرج أبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها؟ أم تقولون: أهل الملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد (صلى الله عليه آله وسلم) والموعد القيامة، وعند الله الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

إيها بني قيلة أأهضمَ تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدةً، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معرفون بالخير

والصلاح والنجب التي انتجبت والخيرة التي اختيرت، لنا أهل البيت، قتلتم العرب وتحملتم الكدّ والتعب وناطحتم الأمم وكافحتم البُهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلبُ الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكتت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوماً نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد أرى ان قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونحوتم بالضيقة بعد السعة، فمججتم ما وعيتم، ...، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القناة، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فأجاب أبي بكر قال: يا ابنة رسول الله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، ورؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الإخلاء، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كلّ شقي بعيد، فأنتم عترة رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبون، والخِيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، وأن الرائد لا يكذب أهله، وإني أشهد الله وكفى به شهيداً، إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلام، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار.. وذلك بإجماع من المسلمين!! لم أتفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي، وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك لا نزوي عنك ولا ندخّر دونك، وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك، ولا نوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقالت (سلام الله عليها):

سبحان الله! ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، لا ويقتني سوره، أفتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته فهذا كتاب الله، حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً، ويقول:

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾؛

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾،

فبيّن الله عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث،

وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علّة المبطلين وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال لها أبو بكر: صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت أبنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، ولا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمين بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس، وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغيضة على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه إعتصبتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ..، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما ورائه الضرّاء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هناك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... وختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأذنين مقترب

أبدى رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك التراب

تجهمنا رجال واستخف بنا ... لما فقدت وكل الإرث مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب

وكـان جبريـل بالآيـات يؤنـسنا　　فـقد فـقدت وكـل الخيـر محتجـب

فليت قبلك كان المـوت صـادفنـا　　لمـا مضيت وحـالت دونـك الكتـب

إنـا رزئنـا بـما لم يـرزّى ذو شـجن　　مـن البـريـة لا عـجم ولا عـرب

قال الراوي فما رأينا أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم.

والذي يتأمل هذا الحوار الساخن والذي كان امام الانصار والمهاجرين فانه يقف امام قوة امرأة وثباتها ولا يتردد اثنان في القول ان الذي دفعها لمحاججة الخلفة الاول هو شعورها بالمسؤولية وحرصها على مصلحة الامة وعملا بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجاء الخطاب ورسول الله راحل للتو والزهراء والامة معزاة برسول الله.

ترك هذا الموقف صداه على المرأة المسلمة فها هي سيدة نساء العالمين وبضعة الرسول التي مَن آذاها فقد آذى رسول الله ومن اذى الرسول فقد اذى الله.. تغبن في جملة حقوقها وهي تدافع عن حقها وتاتي بالشهود وتاتي بالادلة والبراهين ولكن لا من سامع! فكيف بالاخريات؟ ثم ما هو الموقف المطلوب هل هو السكوت امام كل الاخطاء والانحرافات ام هو الانزواء والانكماش ونبذ كل الصور المشرقة التي كانت للمرأة المسلمة في عصرها الذهبي؟ وكيفما تكون الاجابات فلقد ترك الموقف المؤلم صداه وولّد عند المراة المسلمة ان الجاهلية قد عادت وبدا العصر الذهبي للمرأة المسلمة يتحول الى طيف عابر الى الزمن الماضي وبذلك أُعلن عن بداية تجميد الطاقات النسائية التي تشكل نصف المجتمع.

وبوفاة الزهراء عليها السلام تغيب - والى امد - القدوة الصالحة المطلقة للنساء وتتسع المسافة بين ما هو مطلوب وما هو موجود الامر الذي يؤدي الى مزيد من الانكماش الانزواء. ويمكن القول ان عصر الخلافة الراشدة هو عصر الافول بالنسبة للمرأة أو عصر القهقري فلا نسمع عن مطالبات أو احتجاجات الا الشيء اليسير كما

حصل أبان حكم الخليفة الثاني وهو يخطب في المسلمين وينهاهم عن المغالاة في المهور، فانبرت له امرأة من صف الناس، وقالت: ما ذاك لك.

فقال: ولمه؟

اجابت: لأن الله تعالى يقول:

﴿... وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.[1]

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر واصابت امرأة.

واما الحادثة الثانية التي تركت اثرها في هذه الفترة فهي خروج السيدة عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين وحدوث حرب الجمل في البصرة، وقد اتسمت هذه الحالة بالامتداد - بين المدينة والبصرة - وعرّفها الكثيرون بانها فتنة لما خرجت (أم المؤمنين على أمير المؤمنين) وسمتها بنت الشاطئ بالمأساة!.(وقد انفردت «عائشة» بدور البطولة في تلك المأساة المعروفة في التاريخ باسم موقعة «الجمل» الذي ركبته أم المؤمنين على رأس الجموع المعارضة الثائرة، وكانت هي القائدة العليا للجيش: تصدر الأوامر، وتعين الأمراء، وتوجه الرسل بكتبها ذات اليمين وذات اليسار مصدرة بالعبارة التالية:

«من عائشة ابنة أبي بكر، أم المؤمنين، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ابنها الخالص فلان..».

«أما بعد فإن أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل للناس عن علي».

---

١ - سورة النساء، الآية ٢٠.

ولباها من لبى، ورد عليها من يقول:

«... أما بعد فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من ينابذك».

أو يقول:

«رحم الله أم المؤمنين! أُمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه»![1]

وقد نهتها ام سلمة حين أتت عائشة وقالت لها:

«أي خروج هذا الذي تخرجين؟... الله من وراء هذه الأمة!! لو سرت مسير هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس. لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ!».

لكن «عائشة» لم ترجع... بل مضت في طريقها. وتخلفت أمهات المؤمنين عنها. - وكن قد خرجن معها إلى مكة - مؤثرات أن يرجعن إلى «المدينة»، إلا «حفصة بنت عمر» فإنها قالت: «رأيي لرأي عائشة تبع».

وأرادت أن تخرج معها إلى البصرة. فحال أخوها «عبد الله بن عمر» دون ذاك، ولم تجد «حفصة» بداً من الاعتذار والقعود!.[2]

وكان لهذه الواقعة تأثيرها على جمهورالمسلمين في عدد الضحايا والذين كانوا يقدرون بـ١٥ الفا من حملة القرآن!! مضافا اليها تداعيات اخرى كثيرة لا مجال لذكرها هنا. والمهم انها شوشت وشوهت المفاهيم حول وضع المرأة وعلاقتها بالسلطة والمجتمع،

---

١ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، السيدة زينب، ص ٦٢.

٢ - نفس المصدر السابق، ص ٦٩.

كما انها زعزعت هذه الواقعة ثقة المرأة بنفسها وجعلتها في حيرة من أمرها[1].

فما هو المطلوب منها وما هي أدوارها ومشاركتها في الحياة الاجتماعية والسياسية وهل المطلوب لها ان تتحرك بهذا الاسلوب في اشعال لهيب الحرب في بلاد المسلمين ام المطلوب اللجوء الى لغة الحوار وحفظ الاولويات الاساسية للامة والتي تقوم عليها قيمها الدينية العليا، ومن جانب آخر فقد ضاعفت هذه الفتنة من نسبة التشوشات عند الرجل نفسه في رؤيته للمرأة فما هي الصورة الصحيحة لحركة المرأة في المجتمع؟ ومَن الذي يرسم الابعاد الصحيحة لهذه الحركة؟ وما هو الامتداد الواجب منها؟.

وإذا ما استعرضنا هذه الفترة التي امتدت اكثر من ٣٠ عاماً تقريباً لوجدنا ان انحسار المرأة الطويل عن الحياة العامة ثم مجيء حرب الجمل كخروج صريح عن المألوف والمطلوب ثم كانت هناك الفتوحات الكثيرة التي استغرقت المسلمين وجعلتهم يعيشون همّ الأراضي والغنائم (لا هم الرسالة والدين) الامر الذي افرز نوعاً من الابتعاد عن القيم الدينية الأصلية وتصوير الدين بانه مجرد طقوس جوفاء!.

فإذاً هناك تغيرات على أكثر من صعيد.. فهناك استغراق في الجانب المادي والاقتصادي بسبب الفتوحات والتمايز الطبقي وهناك اهمال مقصود واقصاء واضح لأهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة. كما ان هناك تغيرات اجتماعية وفكرية كثيرة.

ويمكن ان نستقرئ الأسباب التي ادت إلى أفول العصر الذهبي للمرأة وإلى انحسار وجودها الفاعل في الحياة العامة إلى أمور منها:

١ - بقاء النزعة الجاهلية في النفوس، تلك النزعة التي تنظر إلى المرأة على انها

---

١ - هذه الواقعة شوهت تصورات المرأة عن ذاتها وعن الدين وعن القدوة.

مخلوق ثانوي للمتعة وليس أكثر، وهي تابع للرجل وليس كائناً مستقلاً. هذه النزعة التي بقيت رواسبها في النفوس حيث ان الفترة الزمنية بين فتح مكة سنة ٨ هـ بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنة ١١هـ كانت قصيرة الامد وقد دخل في الإسلام خلق كثير من طوائف ونماذج شتى فيهم المعاندين وفيهم السذج والجهال والحاقدين وبالتالي لم يتفهّم هؤلاء (في هذا الظرف القصير) رؤية الإسلام حول المرأة ولم يجدو الوقت الكافي للاهتمام بامور الدين واكتفوا بقول الشهادتين دون وعي لمتطلباتها.. وهؤلاء عاشو منذ البداية رؤية ان في انعزال النساء عن الحياة المجتمعية منفعة لهم في قضاء شؤونهم وغياب من يحاججهم ويناقشهم في الشؤون العامة واقصاء للمنافس لهم في سلطانهم الازلي وبعبارة أخرى للابقاء على الارث القديم (ذكورية المجتمع) مع الحفاظ على كون المرأة مخلوق ثانوي اعجم لا يفقه أمور المجتمع ولا دور لها فيه. وللأسف بقي هذا الأرث متواصلاً حتى جاء إلينا ونحن في القرن الحادي والعشرين!.

٢ ـ انشغال المسلمين بأمر الفتوحات واتساع الدولة الإسلامية بحيث اصبح ذلك شغلهم الشاغل وغاب ازاء ذلك اهتمامهم بالفكر والوعي الديني وإلى هذا الأمر يشير الاستاذ مازن هاشم بالقول:

إن اتساع الدولة الإسلامية ودخول اعراف كثيرة ونماذج شتى في الإسلام قد أدى إلى تغييرات اجتماعية في نمط الحياة واتساع المدن إلى غير ذلك، ويضيف:

في مثل هذا الجو بدأت المرأة انسحابها من المشاركة في الحياة العامة، وكان المجتمع في الفترات اللاحقة يتكون في غالبيته الساحقة ـ والتي اصبحت تشكل الواقع ـ من خليط من البشر أصبح انسياقهم للإسلام في جزء منه نوعاً من التماشي الثقافي التقليدي أكثر منه التزاماً فكرياً وإيمانياً بحتاً.[1]

---

١ ـ مازن هاشم، المنعطف، عدد ١٦/١٥، ص ٩.

٣ ـ اقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة بكل تشعباتها السياسية والثقافية والاجتماعية وهذا ما مهد لظهور الكثير من الانحرافات وسهّل المروق عن النهج السليم، مما أدى إلى اتساع الفارق بين النظرية والتطبيق. وإلى فرض الطوق حول اهل البيت وتحجيم ادوارهم الاساسية طوال هذه المدة. ولقد وقع الخلفاء انفسهم في اخطاء وزلات عكست حالة العجز عن فهم الرؤية الاسلامية الصحيحة في الأمور التي اعترضت مسارهم مما جعلهم يستغيثون بأمير المؤمنين علي عليه السلام مرات ومرات وهم القائلون: (اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابا الحسن)[1]. ولكنهم في نفس الوقت حاصروا وجود أهل البيت عليهم السلام الفكري والثقافي والديني فبقي الناس ـ غالبيتهم ـ في جهلهم للاسلام واحكامه. فمثلاً صلاة الميت والتي صلوها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملايين المرات لكنهم اختلفوا في عدد تكبيراتها بعده!!.. وهذا هو السبب في اختلاف الرؤى والمناهج في وقتنا الحاضر فهناك من يرى ان في تعليم النساء جنوناً وهناك من يرى ان النساء تخرج من بيتها مرتين مرة لزوجها ومرة لقبرها وإذا ما تكلم أحد عن حقوق المرأة الحقيقية في الإسلام ومسؤولياتها العظيمة ودورها في زمن الانتظار فانه يُتهم ويُهاجم ويُنبذ والله أعلم بعدها ماذا يحصل؟!.

على هذا انكمشت المرأة وعاشت فراغاً فكرياً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقسى من الفراغ الفكري الذي عاشه الرجل وحيل بينها وبين فهم الدين الصحيح لضعف الصلة بين الناس ونساء أهل البيت عليهم السلام كالسيدة زينب عليها السلام وباقي الصالحات كأم سلمة (رض) الأمر الذي ابقى المرأة في دائرة الوهم وضيق الافق وغياب الوعي. وازاء امرأة كهذه ماذا نتوقع ان تكون النتائج؟ وهل هناك انتظار لانطلاقات نسوية أو ممارسات ثقافية أو اسهامات أو ابداعات في الصعيد

---

١ ـ تاريخ ابن كثيرج٧ ص٣٥.

الاجتماعي أو الفكري أو السياسي؟.

إلى هذا يشير الاستاذ مازن هاشم بالقول: ان المرأة شاركت في الفترة الأولى عملياً وعلى جميع الاصعدة بحيث كان من غير الممكن ان يتم عزلها عن عملية الجهاد وهي التي كانت تشارك بشكل أساس في مختلف فعاليات الحياة والمجتمع بدءاً من عمليات اتخاذ القرارات وانتهاءاً بالمشاركة العملية في تنفيذها وذلك بحكم المنظومة السياسية والاجتماعية الشورية.. بينما تغيرت في الفترات اللاحقة تلك المنظومة وضاقت إلى حد كبير لتخرج منها شرائح كبيرة كان في مقدمتها المرأة التي انعزلت شيئاً فشيئاً داخل جدران المنازل والقصور وساهم نمط الحياة الميسر في ذلك.(١)

وأبان خلافة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وخاصة بعد انتهاء التحكيم الذي حصل في صفين. بدأ الامويون بترتيب اوضاعهم تمهيدا لاستيلاءهم على الخلافة لاحقاً.. وقد حصلت انتهاكات كثيرة منها ما فعله العامري حيث قتل عاملا لعلي يقال له حسان بن حسان مع جمع من الموالين لأهل البيت وإلى هذا اشار الامام في احدى خطبه بالقول:

هذا أخو عامر قد جاء الأنبار فقتل عاملها حسّان بن حسّان وقتل رجالاً كثير أو نساءً، والله بلغني انّه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينـزع حجلها ورعائها ثم ينصرفون موفورين لم يكلم أحدٌ منهم كلماً، فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات دون هذا أسفاً لم يكن عليه ملوماً بل كان به جديراً.(٢)

وهذ الخطبة تبين ألم الامام عليه السلام لما حصل للنساء وتكشف لنا عن المنحدر الذي سقطت فيه الامة.

---

١ - مازن هاشم، المنعطف ١٦/١٥، ص ١٠.

٢ - عبد الحسين احمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنّة والادب، ج١١، ص ١٧.

وقد اغار بسر بن ارطأة على همدان وسبى نسائهم فكن اول مسلمات سبين في الاسلام.[1]

وقد كانت هناك احتجاجات نسائية على السلوك الاموي منها احتجاج نساء من بني كنانة على قيام بسر بذبح ولدي عبيد الله بن عباس.. قال ابن يونس: كان عبيد الله بن العبّاس قد جعل ابنيه عبد الرّحمن وقثم عند رجل من بني كنانة وكانا صغيرين فلمّا انتهى بُسر الى بني كنانة بعث إليهما ليقتلهما، فلمّا رأى ذلك الكناني دخل بيته فأخذ السيف واشتدّ عليهم بسيفه حاسراً وهو يقول:

أالليث من يمنع حافات الدار ولا يزال مصلتاً دون الدار[2]

إلا فتى أروع غير غدّار

فقال له بُسر: ثكلتك أمّك والله ما أردنا قتلك فِلمَ عرضتَ نفسكَ للقتل. فقال: أُقتل دون جاري فعسى أعذر عند الله وعند الناس.

فضرب بسيفه حتّى قُتل، وقدّم بُسرم الغلامين فذبحهما ذبحاً، فخرج نسوةٌ من بني كنانة فقال قائلةٌ منهنَّ: يا هذا هؤلاء الرجال قتلت فعلامَ تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يُقتلون في الجاهليّة ولا إسلام والله انّ سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الرضَّع الصغيرة والمدره الكبير، وبرفع الرّحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء فقال لها بُسر: والله لقد هممت أن أضع فيكنَّ السيف.

فقالت: تالله انّها لأخت التي صنعت، وما أنا بها منك بآمنة. ثمَّ قالت للنساء اللواتي حولها: ويحكنَّ تفرَّقن.[3]

---

١ - نفس المصدر، ص٢١.

٢ - والصحيح: ولا يزال مصلتاً دون الجار.

٣ - عبد الحسين احمد الاميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنّة والادب، ج١١، ص٢٢.

٤ - المرأة في العصر الأموي

واجه المجتمع الإسلامي في العصر الأموي الكثير من الضغوطات والتحديات، فقد اتبع الأمويون سياسة الترهيب ضد كل من لا يتبنى النهج الاموي والذي يقوم اساسا على بغض علي بن ابي طالب عليه السلام وسبه على المنابر!!. وبهذا بدات حقبة دموية مقيتة تقوم على تصفية كل الموالين لآل البيت عليهم السلام. فقد كتب معاوية إلى ولاته في جميع الأمصار: «انظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»[١].

وكتب كتاباً آخر جاء فيه: «مَنْ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكِّلوا به، واهدموا داره»[٢].

وقد صوّر الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) تلك المأساة الدامية بأقصر عبارة وأدقها حين قال:

«فقُتلت شيعتنا بكلِّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان منْ يُذكِّر بحبِّنا والانقطاع إلينا سُجن، أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمانِ عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام)»[٣].

وبهذا استشهد خلق كثير كحجر بن عدي وعمرو بن حمق الخزاعي ورشيد الهجري وغيره.

---

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط دار احياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، ج١١، ص٤٥.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق، ص ٤٣.

وكثيراً ما كان الانصار والموالين يمكثون بلا عطاء ولا ذنب لهم الا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام[١].

وكانوا (الامويون) إذا عصاهم أحد من المسلمين قطعوا عطاءه ولو كان العاصون بلدةً برمتها.[٢]

واتبع الأمويون سياسة الترغيب عبر اغداق الأموال لشراء الذمم ووضع الأحاديث المزيفة ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي التي تمسح عن أهل البيت وخاصة أمير المؤمنين عليه السلام كل فضيلة وتهب فضائله إلى آل أمية!!.

كما أثار معاوية الروح القبلية والقومية وبذلك اثيرت الصراعات والتمييز العنصري بين طبقات المجتمع الواحد. وعمد الامويون الى اتباع سياسة الاقصاء لأهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة وبكل الوسائل اينما كانوا وكيفما كانوا رجالاً ونساءاً. وعمل الامويون ايضا على تجويع انصاراهل البيت واغداق الأموال الطائلة على أعدائهم وعلى الشعراء الذين يمدحون بني امية وعلى وضّاع الأحاديث فقد اُعطى سمره بن جندب ٤٠٠ ألف درهم ليجعل الآية:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾.

نازلة في ابن ملجم ففعل!.[٣]

واما عبد الرّحمان بن عوف فقد قسّم ميراثه على ستة عشر سهماً، فبلغ نصيب كلّ امرأة له ثمانين ألف درهم!.[٤]

---

١ ـ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ، ٦٨، نقلاً عن زيدان، التمدن الإسلامي.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٣.

٤ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٣.

وحصل مروان بن الحكم على خمسمائة ألف دينار من موارد أفريقية!.[١]

وحصل ابن العاص على هديّة مقدارها مائة ألف درهم!.[٢]

كما حصل عبد الله بن خالد بن أسيد على هدية مقدارها أربعمائة ألف درهم!.

وظهرت في هذه الفترة الفرق المتعددة كالجبرية والقدرية والتي مارست دور المخدر في شل الحركة الثورية عند الناس وجعلهم يرضخون للحاكم الظالم.

وبهذا يمكن وصف هذه المرحلة بانها فوضى فكرية دينية مالية اجتماعية سياسية اشتدت بعد تنصيب يزيد ولياً للعهد واجبار الناس على مبايعته.

وفي فوضى كهذه هل تجد المرأة الوقت الكافي لبناء ذاتها أو تفّهم مجريات الأمور واستقراء الساحة السياسية؟.

وإذا كانت المرأة قد اقصيت عن الحياة العامة قبل ان يتشكل البيت الاموي ثم اصبحت اسيرة الجهل والتضليل الفكري واخرس لسانها الخوف فاصبحت كائناً ثانوياً تابعاً غير قادر على القيام بأي دور وهذه الحال لا تخص المرأة وحدها بل تمس شرائح كثيرة من المجتمع بل وحتى الرجل نفسه.

يضاف إلى ذلك ما عاشه المجتمع من الاسترخاء والركون إلى السكينة والراحة والانشغال بالدنيا بسبب الفتوحات الكثيرة التي اتسعت مع امتداد رقعة الدولة الإسلامية وتداخل الاقوام الكثيرة واختلاطهم معها مما أدى إلى تبني عادات وتقاليد جديدة لم تكن موجودة فانه من المحتم ان هذه الأمور تترك اثارها على الحياة الاجتماعية كلها وليس على وضع المراة فحسب.

ويمكن رسم المشهد النسائي قبل الثورة من خلال عدة نماذج:

---

١ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٩١.

٢ – ابن قتيبة الدينوري، المعارف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ، ص ٨٤.

١. نموذج المرأة العام والذي هو امتداد لما ذكرناه في وصف المرأة في عصر الخلفاء. نموذج لامرأة مشغولة بحياتها بعيدة عن الوعي الفكري والثقافي، ليست لها مشاركات اجتماعية أو سياسية. مع وجود خوف يستولي على الجميع من النظام الأموي الفاشي. إذاً هي صورة لامرأة سلبية متوارية عن الحياة المجتمعية خوفاً أو جهلاً أو رغبة. يشاركها نموذج لرجل لم يفهم الإسلام وغير قادر على استيعاب نظريته الصحيحة من أصحابه الأصليين فهو يأخذ من هنا رواية تمجد معاوية واخرى من هناك تسحب من علي عليه السلام فضائله المنصوص عليها في القرآن ورواية ثالثة تصارع للابقاء على فضائل اهل البيت لاصحابها. وأمام هذا التشتت في الأحاديث والروايات والاوضاع العامة المشحونة بحملات المطاردة والقتل والسجن والتشريد فالأفضل الجنوح إلى السلامة لتكون المرأة مفردة سلبية تتلقى ما يفرغ في جوف رأسها دون مناقشة أو فهم او رغبة في التطور الذاتي.

٢. نموذج الجواري اللائي بدأت قصور بني أمية تمتليء بهن وغالباً ما يتم استيرادهن من خارج بلاد المسلمين ومهمتهن الغواية والإثارة، وقد كان لهن الباع الاكبر في ترويج صورة المرأة – الجسد – الشيء أو السلعة. وبهذا عملن على ترسيخ الصورة السلبية للمرأة وفتحن ابواب المتعة والشهوة للرجال بسبب سهولة الحصول عليهن مما أدى إلى التبلد العقلي بسبب الافراط في التفريغ الجنسي كما عزز الشك والريب في العلاقات التي تقوم بين النساء والرجال!. الامر الذي ساهم في تكريس المزيد من الاقصاء والتبعية بالنسبة للمراة. وقد جلب النخاسون الجواري من كل مكان لتباع في أسواق المدن العربية والاسلامية.

٣. وإذا اردنا النظر إلى نساء القصر الأموي فاننا نجد نموذج النساء الجواري. المرأة الجسد والسلعة وإلى جانبهن نساء بني أمية.. نماذج لاسوأ النساء يتربعن في قصور الخلافة والحكم ويتحكمن في رقاب المسلمين ومنهن هند بنت عتبة آكلة الاكباد، ألم تبقر

هند أمّ أبيه (معاوية) في أُحد بطن حمزة، وتمثّل به، وتمضع كبده، ثمّ أنشأت تقول:

شفيت من حمزة نفسي بأُحد   حين بقرت بطنه عن الكبد؟![1]

والتي لم يحك التاريخ أبداً عن امرأة في مثل حقدها على الإسلام وعلى آل الرسول وهي تمثل ادنى درجات الهبوط الانساني لاعمالها الوحشية التي تتأفف المرأة عنها ذاتيا!!. تقول عنها بنت الشاطئ: أتصرف الخلافة عن حفيد «خديجة» أم المؤمنين وبطلة الإسلام الأولى، إلى حفيد «هند» آكلة الأكباد وبطلة الانتقام الوحشي في موقعة «أُحد»؟ إن الإسلام لم يكن قد نسي بعد ما ناله من «هند» في «أُحد»، وإن الجراح التي أحدثتها «هند» بالمسلمين لم تكن قد التأمت بعد. فما زال فيهم – يومئذ – أحياء شهدوا «هنداً» حين ظهرت في «مكة» تعير قريشاً بهزيمتهم الشنعاء أمام فئة قليلة من المؤمنين، انتصرت على جيش لأبي سفيان – زوج هند وزعيم المشركين – كامل العدة والعدد، وتركت على الساحة الدامية حول ماء «بدر» جثث الأبطال الصناديد من قوم «هند». وفي الحق أن «هنداً» أسلمت بعد ذاك كما أسلم زوجها عام الفتح. لكن هذا لم يمح صفحتها الأولى، ولم يحل دون نبز أبنائها «ببني آكلة الأكباد».[2] وقد عجبت كثيراً لبعض الكتاب المسلمين الذين يقدمون هذه المراة المتوحشة على انها قدوة النساء!! ومن البديهي ان نساء المجتمع يتطلعن إلى من يتربعن على كرسي الحكم ويتاثرن بهذا النموذج فما الذي يتعلموه من هند سوى الوحشية والحقد الاسود؟!.

٤ . ما بقي من الساحة الاجتماعية بعد تفريغ غير المسلمين منهم ينقسم إلى قسمين – كالساحة الرجالية تماماً – فهناك الموالون لأهل البيت عليهم السلام وهناك المعادون ومن شاركوهم في عدائهم وأكثر هؤلاء من الأمويين المتعلقين بسدة الحكم

---

١ – العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ص٤٥٢.

٢ – الدكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص ٧٩ – ٨٠.

ورجالات البلاط الاموي. أمّا الموالون فقد عانوا الامرّين في عهد معاوية بالذات وما بعده من خلفاء بني أمية[١]، إذ قامت السياسية الأموية على التنكيل باتباع أهل البيت ومحاصرتهم والتضييق عليهم في الشؤون المعاشية وإقامة الحد عليهم لا لذنب سوى ولائهم لأهل البيت عليهم السلام ولم تقبل شهادتهم بل كانت السلطات الأموية تطاردهم وتقتلهم شر قتلة كما فعلت بميثم التمار ورشيد الهجري وحجر بن عدي وغيرهم.

و المرأة الموالية عاشت مع الرجل هذه الظروف العسيرة من التجويع والمطاردة والتشريد والسجون. فإذا لم تقبض السلطات الأموية على الرجل المسلم أخذت زوجته أو أمه أو أخته اسيرة حتى يسلّم نفسه، أي تعتمدها كورقة ضاغطة، كما فعلوا مع زوجة عمرو بن حمق الخزاعي وهي آمنة بنت الشريد إذ إنّ عمراً فر من السلطة الأموية فكتب معاوية إلى ابن زياد ان احمل إلي زوجته فالقى القبض على زوجته آمنة بنت الشريد وحملها أسيرة من الكوفة إلى الشام إلى معاوية فسجنت حتى جيء برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد ان القي القبض عليه في غار قرب الموصل من قبل والي معاوية عليها، وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه فكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام[٢] وحمل على قناة إلى معاوية في الشام فقال معاوية للحرس انطلق بهذا الرأس وضعه في حجر زوجته آمنة واحفظ ما تقول فلم تشعر وهي بالسجن إلا ورأس زوجها عمرو في حجرها فضمته إلى صدرها وبكت وقالت غيبتموه عني طويلاً واهديتموه إلي قتيلاً فأهلاً وسهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية ثم قالت للحرس أبلغ معاوية عني ما

١ - وإلى هذا يشير الإمام الباقر عليه السلام (وقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد في زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

٢ - تاريخ ابن كثير، ٨ : ٤٨.

أقول وقل له يتّم الله ولدك واوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك وعجل لك الويل من نقمه وطلب منك بدمه فلقد جئت شيئاً فرياً وقتلت باراً تقياً فلما سمع كلامها أمر باحضارها وصار يشتمها ويتهددها.[١]

وهذا التعامل السيئ مع المرأة المسلمة كورقة ضاغطة للحصول على أفراد ومعلومات ليمثل درجة خطيرة من العنف السياسي الموجه ضدها ويكشف لنا عن لؤم النفوس وحقدها على المسلمين والمسلمات فما معنى حملها للشام؟ وما معنى القاء الرأس في حجرها؟ وما معنى تسجيل كلماتها؟ وهذه صور مارس مثلها طغاة العصر الحديث ضد المسلمين والموالين في بقاع شتى من العالم.

الى هذا يشير العلامة الاميني بالقول: إن معاوية أوَّل مَن قتل نساء كلّ من والى أهل بيت النبيّ (عليهم السلام) وذبح صبيانهم ونهب أموالهم، ومثَّل بقتلاهم وشتَّت شملهم، وفرَّق جمعهم، واستأصل شأفتهم، ونفاهم عن عُقر دورهم، وأبادهم تحت كلّ حجر ومدَر؟![٢]

هذه هي الصورة العامة للنساء المواليات لآل البيت ولا ننسى ان معاناة الأم الموالية كانت شاقة للغاية، فلعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر كان سُنّة سنّها معاوية ولا يكاد وعاظ البلاط الاموي يجدون سيئة إلا ونسبوها إليه عليه السلام ويذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز كان قبل توليه الخلافة يتساءل عن سبب هذا السب للإمام وقد نزلت فيه آية كذا وآية كذا!. وهذه مؤشرات تدل على حجم الصراعات الداخلية التي عاشتها المرأة الموالية والتي منها صراع سياسي مع الحكم الأموي الذي يطارد الموالين ويعتقلهم ويسجنهم وصراع تربوي في تنشئة الاولاد

---

١ - الكاشي، ثورة الإمام الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب، ص ٧٩.

٢ - عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنّة والادب، ج١١، ص ٧٣.

على الـولاء لآل البيـت علـيهم الـسلام وصـيانة عقائـدهم وصـراع فكـري وصـراع اجتماعي وصراع نفسي مستمر يحمل تبعات كل هذه الضغوطات.

والمرأة التي تعيش كل هذه التحديات الصعبة وفي اجواء هذا المنـاخ القاسـي هـل ستجد الوقت الكافي لتهتم ببناء شخصيتها أو تتاح لها فرصة المشاركة المجتمعيـة في أمـور نافعة؟. ورغم كل هذه الظروف الصعبة التي عاشتها المرأة الموالية فان العنف الـسياسي المؤلم ما كان ليوهن عزيمتـها ويزعـزع ولاءهـا اذكانـت تنـشئة الأولاد علـى الـولاء لآل البيت والتبري من أعدائهم هو أخطر واقدس مهماها وإليها تعود ثمرة الأجيـال المواليـة اللاحقة، معنى هذا انها كانت على يقين بـصدق عقيـدها ونهجهـا.. ثابتـة في مواقفهـا.. ذات إرادة قوية في مواجهة التحديات الـصعبة. ثم انهـا مـا شـغلتها الأمـور الـتي شـغلت غيرها من النساء من الاهتمام بيسر الحياة لتنسى مهماها الاساسية ولم تبق أسيرة همومها واشجانها واحزانها امام مظالم بني امية التي تهد الجبال الرواسي لتـصبح كائنـاً سـلبياً غـير قادر على النماء بل على النقيض من ذلك كانت تجد ان مهامها كثيرة ومقدسـة وعليهـا ان تؤديها لتدخل السرور على سيدة نساء العالمين الـتي مثلـت المـرأة المعـصومة الكاملـة ولكنها ايضا المرأة المظلومة المغبون حقها والـتي كـان غيـاب قبرهـا دلـيلاً علـى اسـتدامة مظلوميتها وتعالي صرختها الابدية في طلب النصرة. وبهذا نجد الصورة بكل ما فيها من مظلومية او عنف سياسي قاسٍ من جانب لكنها ايضا مؤشر قوة واقتدار يعرض الطاقة الانسانية العظيمة الكامنـة عنـد المـرأة مـن جانـب آخـر. ولعـل صـورة الوافـدات علـى معاوية تكشف لنا عن ذلك وهن المواليات لاهل البيت والناصرات لعلـي إبّـان حكمـه واللائي استدعاهن معاوية كي ينال من عقيدهن في الولاء فانقلب السحر على الساحر ومنهن سودة الهمدانية ودارمية الحجونية والزرقاء بنت عدي وغيرهن.

فقد حجّ معاوية سنة مـن سـنيّه، فـسأل عـن امـرأة مـن بـني كنانـة كانـت تنـزل بالحجون، يقال لها «دارميّة الحجون» وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث

إليها، فجيء بها، فقال: ما حالك يا ابنة حام؟ قالت: لست لحام إن عبتني، إنّما أنا امرأة من بني كنانة، ثمت من بني أبيك.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: بعثت إليك لأسألك، علامَ أحببت علياً وأبغضتني، وواليته وعاديتني؟

قالت: أو تعفيني يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيك.

قالت: أما إذا أبيت، فأني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق. وواليت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقك العصا وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية: يا هذه، اربعي، فانا لم نقل إلا خيرا، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: أي والله لقد رأيته؟

قال: فكيف رأيته.

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ.

قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟

قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم.

قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فان أعطيتك ذلك، فهل أحلّ عندك محل عليّ؟

قالت: ماء ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك.

ثم قال: أما والله لو كان علي حيّاً ما أعطاك منها شيئاً.

قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

واستدعى معاوية امرأة من أهل الكوفة تسمى «الزرقاء بنت عديّ» كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة، يا أصحاب علي، تسمعهم كلامها كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفار لكرّ، والمتزلزل لاستقر.

فلما قدمت على معاوية، قال لها: هل تعلمين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين، وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب، وتحرضين على القتال؟

قالت: نعم. قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، انه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن يعود ما ذهب،

والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال: صدقت، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلته؟

قالت: لا والله، ولقد انسيته.

قال: لله أبوك، فلقد سمعتك تقولين:

«أيها الناس، ارعوا وارجعوا، انكم أصبحتم في فتنة، غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء، لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها. ان المصباح لا يضيء في الشمس، وان الكواكب لا تنير مع القمر، وانّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد الا بالحديد، ألا من استرشد ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس: ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحق باطله، فانه لا يستوي المحق والمبطل. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبة، أئتوا الحرب غير ناكصين، فهذا يوم له ما بعده».

ثم قال: يا زرقاء، أليس هذا قولك وتحريضك؟

قالت: لقد كان ذلك.

قال: لقد شاركت علياً في كل دم سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتك، فمثلك من بشر بخير، وسرّ جليسه.

فقال معاوية: أو يسرك ذلك؟

قالت: نعم والله، لقد سرّني قولك، وأنى لي بتصديق الفعل. فضحك معاوية، وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب عندي من حبكم له في حياته.[1]

هؤلاء النساء كن يدافعن عن عقيدهن ويقلن قول الحق أمام الطاغية المتجبر، وهذا دليل على صلابة هؤلاء النساء وعلى وعيهن الثقافي الذي ظهر من خلال عقيدة الولاء وبهذا تكون المرأة الموالية صفا واحدا مع الرجال الموالين الذين كانوا يتحدون بطش الأمويين بكل بسالة كحجر بن عدي ورشيد، بل إن هؤلاء النساء المواليات كن سبباً لبلورة عقيدة الولاء وصيانتها.

ولأم المؤمنين ام سلمة صورة مشرقة في قوة شخصيتها واهتمامها بأمور المسلمين والدفاع عن الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي يشير:

ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله فقيل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه..، فقال سعد: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد ولما مات لعن (علياً) على المنبر وكتب إلى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا فكتبت أم سلمة:

انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك بانكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله.[2] وكان ذلك يمثل ادانة نسوية للنهج الاموي القائم على سياسة اللعن لاهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

---

١ - هاتان القصتان عن قصص العرب، ج٢، وقد نقلتا بتصرف واختصارعن محمد الصدر في كتابه اخلاق اهل البيت ص٤٠٨.

٢ - ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، تحقيق، د. عبد المجيد الترحيني، مج٥، ص ١١٤.

وفي هذه الحقبة الزمنية ظهرت من داخل البيت النبوي تصدعات خطيرة اهمها استشهاد الامام الحسن بن علي عليهما السلام على يد زوجته جعدة التي دست له السم، ففي الوقت الذي كان الناس ينتظرون صوراً مشرقة من بيت الامامة تأتي صورة جعدة المرأة القاتلة الخائنة لتشوه لا صورة المرأة مع الامام بل صورة المرأة بشكل عام وتجعل الناس في حيرة من تفسير الموقف، فقد قيل:

انه كان سبب موت الحسن بن عليّ من سمٍّ سمَّ به يقال: إنَّ زوجته جعدة بنت الأسود بن قيس الكندي سقته إيّاه، ويذكر والله اعلم بحقيقة أمورهم: انّ معاوية دسّ إليها بذلك على أن يوجّه لها مائة الف درهم ويزوجها من ابنه يزيد، فلمّا مات الحسن وفىّ لها معاوية بالمال وقال: إنّي أحبّ حياة يزيد.[1]

أرسل إليها «معاوية»: «إني مزوجك بيزيد ابني، على أن تسمي زوجك الحسن ابن علي». ووعدها بمائة ألف درهم فقبلت، وسمت «الحسن»، فدفع لها «معاوية» المال ولم يزوجها من «يزيد» معتذراً إليها بأن حياته غالية عليه! فخلف عليها رجل من «آل طلحة» فأولدها، فكان إذا وقع بين أولادها وبين بطون قريش كلام، عيروهم وقالوا: يا بني مسمة الأزواج...[2]

وانه لصورة قاسية مؤلمة اذ كيف تمتد يد الغدر الى سيد شباب اهل الجنة من زوجته التي اختارها لتكون شريكة حياته في سرائها وضرائها، لكنها باعته بثمن بخس ولعذاب الآخرة أخزى، وهذه الصورة تركت اثرا سلبيا على الموالين والمعاندين على حد سواء!.

أيضاً تأتي مواقف السيدة عائشة لتصب في خط تكميلي لهذا السلوك فنراها

---

١ - عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنّة والادب، ج ١١، ص ١١.

٢ - دكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص٧٧.

(وهي أم المؤمنين) تخرج على بغلتها ناهية عن دفن الامام بجوار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي قال فيه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبني، ومن ابغضهما فقد ابغضني».[١]

وهذه كلها مواقف جعلت الرجال والنساء يرزحون تحت طائلة جملة من التساؤلات التي لا تنفك عقدها بسهولة بسبب البطش الاموي والفوضى الفكرية والاجتماعية التي سادت آنذاك.

والمحصلة من ذلك كله ان المرأة المسلمة بدأت تنفصل عن المجتمع وهمومه وشؤونه شيئاً فشيئاً، وغابت عن الأدوار الفاعلة المغيّرة له، وانعزلت بين جدران البيوت وجدران الوهم والجهل والتخلف، ووجد الرجل ذلك كله يصب في نفعه العام فاستحوذ على كل شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية الأمر الذي أدّى بالمرأة إلى ان تفقد ثقتها بنفسها شيئاً فشيئاً وتفقد ثقتها بأدوارها ومؤهلاتها وتشعر بالاغتراب عن المجتمع الكبير بل وتعيش رؤى مشوهة عن دورها في الحياة وترى انها كائن تابع ليس أكثر، فأهملت التعلم والتثقف وأهملت بناء شخصيتها بناءً صحيحاً متوازناً وتركت المطالبة بحقوقها حتى أصبحت ركنا منسيا في المجتمع وشيئا (وليس الانسان الخليفة) استوى وجوده وغيابه!.

حتى كان القرن العشرون حيث اخذت العلمانية الجديدة تنشر أفكارها بين صفوف النساء المسلمات وهن يعشن التخلف والامية والجهل وتستعبدهن التقاليد والعادات البعيدة كل البعد عن الاسلام.

---

١ - سنن ابن ماجة في فضائل الحسن والحسين ، ومسند احمد٢\٢٨٨و٤٤٠ و٥٣١

الفصل الثاني

نساء الطفوف



يمكن الكلام عن نساء الطفوف ضمن مجموعتين متمايزتين حيث تضم المجموعة الأولى حرائر أهل البيت عليهم السلام ونساء بيت الوحي وهي المجموعة التي هاجرت مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء.

وهي ايضا المجموعة التي تعرضت لأقسى التحديات والخطوب، فهي التي عاشت أحداث المعركة في كربلاء وعاشت أجواءها الساخنة كما ان هذه المجموعة تمثل ركب السبايا اللائي اُسرن بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام من العراق إلى الشام ورجعن ثانية الى كربلاء في الاربعين وبعدها عُدن الى المدينة المنورة.

كما أنها المجموعة التي قامت بالدور الإعلامي الخطير حيث نشرت فكر الثورة وأهدافها في الامصار والبلاد التي دخلوا إليها.

وعلى رأس هذه المجموعة تأتي عقيلة بني هاشم واللبوة الطالبية السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام والتي يعود إليها الثقل الكبير من مهام ما بعد الطفوف ومعها:

السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين.

وفاطمة بنت الامام الحسين بن علي.

واختها سكينة بنت الحسين.

والرباب بنت امرؤ القيس الكلبية أم الرضيع وهي الوحيدة من زوجات الحسين عليه السلام التي كانت حاضرة في الواقعة على اختلاف الروايات.

ورملة أم القاسم وزوجة الإمام الحسن المجتبى.

ورقية بنت الإمام الحسين وكانت طفلة صغيرة.

وحميدة بنت مسلم بن عقيل.

وأخريات غيرهن جئن مع الإمام إلى كربلاء.

أما المجموعة الثانية فتضم نساء مؤمنات كان حضورهن عرضياً لم يخضع لتنسيق مسبق أو برمجة سابقة.

وهؤلاء النساء شاءت الاقدار ان يكن ناصرات للإمام ومن انصاره وبعضهن كن حاضرات في أرض الطفوف؛ إذ إن ثلاثة من انصار الإمام كانوا قد جاءوا مع اُسرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه وهم عبد الله بن عمير الكلبي، وجنادة بن حرث الانصاري، ومسلم بن عوسجة الأسدي وكان عبد الله بن عمير قد أخذ معه امه وزوجته إلى أرض كربلاء، مضافاً إلى هؤلاء كانت هناك طوعة التي نصرت وآوت مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام وكانت هناك دلهم بنت عمير وام وهب وأُخريات سنمرّ عليهن حينما نستعرض أدوارهن.

ومع نساء الطفوف هؤلاء تلمع اسماء أخرى كأم سلمة (رض) والنساء اللائي اقمن مجالس العزاء في المدينة ومعهن أيضاً نستحضر صورة أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية (أم العباس واخوته) على تفاوت ملحوظ في الروايات بين من يؤكد حياتها عند استشهاد الامام ومن ينفي ذلك.

لماذا حمل الإمام نساءه وعياله إلى كربلاء؟

كان أَمام الإمام الحسين عليه السلام خياران بالنسبة لأسرته، فهو إما ان يحمل عياله ونساءه معه وإما ان يُبقي الجميع ويخرج بمفرده مع أولاده واخوته وباقي الانصار من رجال بني هاشم. فإذا كان الأمر بأن يتركهم في مكانهم ويهاجر بنفسه فلا شك في أن السلطات الأموية ستحاول الاستفادة منهم كورقة ضاغطة على الإمام نفسه كي يسلم نفسه. كما فعل الامويون مع عمرو بن حمق الخزاعي حيث أسروا زوجته لّما فرّ من ايدي السلطات الاموية الحاقدة.

وأيضاً حصلت هذه الحالة مع زوجة المختار التي اعتقلت هي الأخرى لارغام زوجها على الاذعان للسلطة الاموية الحاكمة.

فالامام لم يكن ليأمن على عياله ونسائه لو أبقاهم في المدينة وخرج ثائرا.. وحتى لو أمن الامام على نسائه وعياله وأبقاهم في مكانهم وخرج في طلب الاصلاح في ثورة يعلم مسبقا ان القوم يطلبونه ولو أمسكوا به فسيقتلونه لا محالة وسُيقتل مع اخوته وابناء عمومته في أي مكان من الأرض وسيبادون جميعهم[1] ومن ثم لا يفهم أحد لماذا اصلاً خرج الإمام الحسين عليه السلام للثورة؟ ولماذا لم يبايع؟ وحتماً ستحاول السلطات الأموية التكتم على الأمر واستعمال آليات القتل الصامتة بأي شكل من الاشكال وبهذا يضيع دم الحسين عليه السلام وتضيع ثورته ورسالته وهذا المنطق لا يتناسب ايضا مع ماحمله الامام من مطالب صرح بها اكثر من مرة كقوله عليه السلام:

١ - فيما قال لها (لأم سلمة): إنّي أعلم اليوم الذي أُقتل فيه والساعة التي أُقتل فيها وأعلم من يقتل من أهل بيتي وأصحابي أتظنين أنك علمت ما لم أعلمه وهل من الموت بد فإن لم أذهب اليوم ذهبت غدا. وقال لأخيه عمر الأطرف: إنّ أبي أخبرني بأنّ تربتي تكون إلى جنب تربته أتظن أنك تعلم ما لم أعلمه. وقال لأخيه محمد بن الحنفية شاء الله أن يراني قتيلاً ويرى النساء سبايا.
(المقرم مقتل الحسين ص١٣٤).

إني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.[1]

على هذا يكون الخيار الثاني هو الاقرب لما يصبو اليه الامام من تغيير في الواقع الاجتماعي والقيمي والانساني.

ولنا ان نتصور الإمام كقائد ثورة يريد ان يقوم بحركة واسعة تهز المجتمع كله وتهز الصرح الأموي من جذوره فقد يكون من الشاق عليه ان يسير مع كوكبة من النساء والصغار والرضع في سفر طويل. ولو كان سفر استجمام لما خلا من مشقة من جانب المسؤوليات والاعداد والتحضير لمستلزمات السفر نفسه. فكيف بسفر الثورة التي يخطط لها الامام والتي يقدّر لها ان تكون في ارض بعيدة عن مستقره الحالي؟.

لكن الإمام عليه السلام حمل نساء آل البيت عليهم السلام وحرائرهم.. وهو يعلم بما سيعانيه الجميع من مشكلات الطريق الطويل والاوضاع الطارئة والتشنجات التي سيتعرض لها الجميع لا محالة؛ لان هناك تخطيطاً مستقبلياً للثورة، إذ لا يمكن للإمام عليه السلام ان يكون قد خطط لأوان الثورة والتي قد تقدر بسويعات محدودة في عمر الزمن ويترك ما بعدها فالمهم نتائج الثورة وما ستفرزه من احداث ووقائع على ارض الواقع فهو عليه السلام حتماً كان قد خطط لما بعد الثورة في امتداداتها المتعددة وفي كيفية التعريف بها وكيفية تحقيق أهدافها، فاذا كانت نهاية هذه الجولة التضحوية هو الانكسار العسكري فلابد ان يسعى لأن يحقق لها نجاحاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً على المدى الطويل من الزمان والمكان..

---

١ – المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٣٩.

ومن هنا كان الخيار الثاني بأن يأخذ العيال والنساء معه هو الخيار الأكثر تناسباً مع الثورة والأكثر انسجاماً مع ما كان يخطط له الإمام عليه السلام. فالامام عليه السلام ما كان همه الثورة في وقتها فحسب ولكن كان يهدف إلى تحقيق التواصل الزمني البعيد المدى لدى الأمة مع الثورة (في نوع من الامتداد الواعي الشعوري الذي يخترق ايدولوجيات الزمن لكي تبقى نابضة قادرة على ضخ الدم النقي المحرك للحياة) وهذا ما حصل فهو إذاً حمل عياله ونساءه لأدوار أُعدوا لها مسبقاً ولمهام مرت صورها في عقلهم الواعي والباطن قبل أو ان الثورة.

لقد حمل الامام معه جملة من المبلغات اللائي كانت الواقعة بحاجة إلى خطابهن تماماً كما كانت الثورة بحاجة إلى دمه وتضحيته والى هذا يشير الشيخ مرتضى مطهري في كتابه الملحمة الحسينية «التكتيك التبليغي هو حمله لاهله وعياله وأولاده في القافلة الحسينية وبهذه الطريقة يكون قد استخدم العدو استخداما غير مباشر من خلال فرض هؤلاء الناس كحربة تبليغية ورسل دعاية للاسلام الحسيني ضد يزيد»..

ويضيف: أن الإمام استخدم عدداً من المبلغين الذين اخذهم العدو بيده وبإرادته لينفذوا إلى قلب حكومة العدو في الشام وهو بحد ذاته تكتيك يفوق التصور الاعتيادي».[1] فالإمام لم يأخذ معه نساء عاديات انما أخذ معه نساء واعيات مؤمنات بثورته وهن ايضا مبلغات يمتلكن ادوات التبليغ السليم ليُعَرِّفْنَ الناس بالقضية والثورة وأهدافها واسبابها ويكشفن النقاب عن الوجه الاموي الاسود وليكنَّ سبباً لهزّ الوضع العام وتحريكه وضخ القيم الجديدة وتخليد النهضة الحسينية في الوجدان الشعبي كل هذه القرون.

ولقد استوقفه كثيرون وحاولوا ثني الامام عن اخذ النساء معه لكنه أصرَّ على أن

---

١ – مرتضى مطهري، الملحمة الحسينية، ح١، ص ٢٠٩.

تكون النساء ضمن قافلته وقال له عبد الله بن عباس: فإن عصيتني وأبيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك.[١]

وقال لأخيه محمد بن الحنفية: شاء الله أن يراني قتيلاً ويرى النساء سبايا

فلمّا كان في السّحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفيّة فاتاه فاخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا اخي ألم تعدني النّظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك فقال: يا حسين عليه السلام أخرج فانّ الله قد شاء ان يراك قتيلاً فقال له ابن الحنفية إنّا لله وانّا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء ان يراهنّ سبايا...[٢]

من ناحية أخرى لو سلمنا بأن الإمام عليه السلام لم يشأ أن يأخذ معه النساء والعيال.. فما هي ردة فعل النساء أنفسهن؟ ماذا سيصنعن لو جاءهنّ رسول يخبرهن بمقتل الحسين عليه السلام في هذه الفلاة الواسعة؟ هل سيكون لهؤلاء النساء دور سوى النواح والبكاء؟. ومن المؤكد ان هذا البكاء سيكون في المدينة وحدها ولأيام معدودة من الزمن كما حدث مع باقي الأئمة عليهم السلام وينتهي كل شيء!! حينئذ لن يكون للنساء دور في القضية أبداً. ولا تبقى للنساء أية مهام أو مسؤوليات أمام هذه الثورة التي ستستباح فيها كل المقدسات بما في ذلك المعصوم نفسه.. وستبقى صورة المرأة السلبية المنزوية عن هموم الامة والتي لا تعيش حتى لذاتها؛ إذ كيف يمكن بناء الذات بمعزل عن الحياة الاجتماعية وعن الاهتمام بشؤون المسلمين؟. فهذه الصورة الهامشية لا تتناسب ابدا مع شخصية نساء أهل البيت عليهم السلام واللائي عاش

---

١ – المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج٣، ص ٦٥.

٢ – ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٤.

بعضهن كثيراً من أوجاع الامة المسلمة وبخاصّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأول الاوجاع ظلامة الزهراء عليها السلام.

وهنا لابد من اشارة وهي ان الامام كان قد اطمأنّ إلى الوعد الالهي بصيانة هؤلاء المخدرات وبأنهنّ سيكنّ بعيدات عن الاذى، ونجد ذلك واضحا من خلال وصيته للنساء لما ودعهن وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم.[١]

المرأة اذاً طالبت بالذهاب مع الامام لنصرته واستعدت للخروج إلى كربلاء قائلة: «يا ابن عباس، تشير على سيدنا بأن يخلفنا ها هنا، ويمضي وحده لا والله بل نحيا معه، أو نموت.. وهل أبقى الزمان لنا غيره.. لا نفارقه أبداً حتى يقضي الله ما هو كائن».[٢] وهي تعرف ما ينتظرها من ظروف قاسية ومهام ثقيلة وبهذا تكاملت الإرادة من جانبين؛ فمن جانب أراد الإمام للثورة ان تستمر في اشتعالها وازدياد شرارها ووضوح معانيها ولا أحد يسهم في توضيح مفردات الثورة غير هؤلاء النساء، كما سيأتي ضمن الدور الاعلامي. ومن جانب آخر علمت النساء وبخاصة السيدة زينب عليها السلام ان الإمام انطلق إلى نهضة إصلاحية كبرى في أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذه النهضة الإسلامية الاصلاحية لابد ان يكون للمرأة محط قدم في التأثير والبلاغ. وإلى هذا يشير الشيخ عبد الوهاب الكاشي بالقول:

إن الحسين عليه السلام كان يعرف انه إذا قتل فلا يوجد رجل في العالم الإسلامي يمكنه ان يتكلم بشيء ضد سياسة الأمويين مهما كان عظيماً حيث إنهم قطعوا الألسن وكمّوا الأفواه فكان قتله سدى وقد لا يعرف أحد من المسلمين ما جرى عليه.. فأراد الحسين عليه السلام ان يحمل معه ألسنة ناطقة بعد قتله لتنشر أنباء تلك

١ ـ المقرم،مقتل الحسين، ص ٢٧٦.

٢ ـ محمد بحر العلوم، في رحاب السيدة زينب، ص ١٠٨.

التضحية في العالم الإسلامي ومذياعاً سياراً يذيع تفاصيل تلك المأساة الإنسانية والجرائم الوحشية، فلم يجد سوى تلك المخدرات والعقائل اللواتي سبين وسيّرن بعد الحسين عليه السلام في ركب فظيع مؤلم يجوب الأقطار يلقين الخطب في الجماهير وينشرن الوعي بين المسلمين وينبهن الغافلين ويلفتن أنظار المخدوعين ويفضحن الدعايات المضللة حتى ساد الوعي وتنبه الناس الى فظاعة الجريمة وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والأمويين من كل الفئات والجهات[1]. وهذا بالضبط ما أراده الإمام من خلال حمله للنساء والعيال، وهذا ما حصل أيضاً إذ لولا وجود هذه الثلة المباركة لما تم كشف القناع عن يزيد ورفع الستار عن جرائم الأمويّين.

ان وجود المرأة في مناطق النزاعات غالباً ما يكون عامل تحريك للرأي العام وعامل تعريف بجرائم العدو، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا ما اراد ان يظهر بطش الحاكم وطغيانه فانه يعرض صوراً لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفال يبكون ويستصرخون ويصرخون.. صور من الممكن ان تهز الضمير الاجتماعي وتحدث فيه حركة باتجاه المطلوب، بمعنى ان وجود المرأة في النزاعات المسلحة والحروب غالبا مايكون عاملاً لكشف وحشية العدو ومجازره وبشاعته ولنا ان نستعرض في ذاكرتنا ما كان يبث من صور عن المعارك التي شهدها القرن المنصرم وبداياته والتي يستخدم فيها مونتاجاً خاصاً لعرض بكاء الامهات وذهول الزوجات وانين البنات. ولهذا اهتزت الكوفة لما جاء ركب الحسين عليه السلام وارتجت لمرأى الأطفال الذين ترتعد فرائصهم واصفرت وجوههم، وماجت للحرائر المخدرات اللواتي ارتسم الحزن على وجوههن وبان ثقل الدموع في مآقيهن وازداد الآلم حينما جادت عليهن الكوفيات بالإزر والمقانع وضج الناس بالبكاء والعويل حينما ازيح الستار عن القناع الاموي، فهؤلاء لسن سبايا

---

١ – الشيخ عبد الوهاب الكاشي، مأساة الحسين بين السائل والمجيب، ص ٨٠.

الخوارج والديلم كما قال ابن زياد انما هن سبايا آل البيت عليهم السلام!!.

على هذا يمكن الإقرار بأن الامام عليه السلام أخذ النساء معه كي يؤدين ادواراً مهمة لنصرة الثورة أو بالاحرى كانت ادوار النساء ضمن البرنامج التخطيطي لقائد الثورة الذي لم يكن يفكر بانه سيُنهي المواجهة بعدم مبايعته ليزيد، من ثم استشهاده بل لابد من توجيه الأمة إلى قيم جديدة وتربويات مطلوبة. ولم يكن لهذه المهمة الصعبة من يؤديها سوى هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام، وهذا يشير إلى ثقته الكاملة بأُخته وبأن هؤلاء النساءهن موضع اعتماد وهن قادرات على أداء التكاليف المطلوبة.

وقد ذكر المرحوم كاشف الغطاء: لو قتل الحسين هو وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات لما تحقق غرضه وبلغ غايته في قلب الدولة على يزيد.[1]

إذن كانت هناك أدوار مهمة ومسؤوليات خطيرة ولم يكن هناك من هو قادر على القيام بهذه المهام سوى السيدة زينب عليها السلام وباقي نساء أهل البيت. ولو اردنا ان نعرف ما هو التفاوت بين رؤية الإمام عليه السلام ورؤية المفكرين المعاصرين من خلال استعراض تجارب الإسلاميين أنفسهم والذين حملوا فكر الإسلام في وقت صعب وتحديات جسيمة، لكن مشكلتهم انهم لم يفهموا دور المرأة في الحياة والثورة ولم يحسبوا لها حساباً في ما قدموه من اطروحات نهضوية حصروا المرأة من خلالها في زوايا محددة وعزلوها عن شؤون نهضتهم. فعموم الحركات الإسلامية في القرن العشرين كانت تقصي المرأة عن جانب اهتماماتها تحت رؤى متعددة منها عدم تصور اهليتها وكفاءتها بل تصوروا ان مكانها بيتها فقط!. ومنها عدم الثقة بها؛ لأنهم كانوا يرونها

---

١ - حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢٩٨ - ٢ : ٢٩٧ - ٢.

عاملاً من عوامل افشاء الأسرار لا أكثر وبهذا طغت الهواجس والرؤى السلبية النابعة من الموروث الاجتماعي على خارطة تفكيرهم، وكم وجدنا قادة مسلمين كباراً ومراجع عظاماً لكن نساءهم لا يفقهن من الحياة شيئاً؛ إذ كانت عقولهن هواء وافئدتهن خواء!. وبهذا عطلوا المرأة عن الوعي والمعرفة والفهم. فكيف تستطيع امرأة لا يتجاوز تفكيرها جدران بيتها ولا يطال وعيها المساحات الدينية الواسعة للحياة ان تنشئ جيلاً إسلامياً سامياً قادراً على أداء ادوار عُلى؟.

بهذا يمكن القول: ان واقعة الطفوف كانت بحاجة إلى تواجد المرأة كي تنجح الثورة، وبحاجة إلى حضور نسائي متميز لا يجزي عنه الرجل أبداً. فمن المعلوم ان الإمام لو اصطحب الكثير من الرجال لأبيدوا بكاملهم وبهذا جاء حمل النساء كدلالة على تخطيط مستقبلي للثورة فيما يمكن ان تؤديه النساء من أدوار تدور ضمن مصلحة الإسلام الكبرى والإيمان بمبادئ الإمام في الإصلاح والتغيير، فهو إذن اجتياز للدائرة المحددة التي تشمل حياة المرأة الخاصة ضمن (حسن التبعل) ولكنها لا تلغي شخصية المرأة نفسها أو أهدافها الممتدة في الحياة أو مسؤولياتها العديدة. وكان الحضور النسائي متميزاً في نساء عرفن بالعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة والصبر الجميل إلى غير ذلك، وبذلك نجح الرجل (الإمام وانصاره) في تضحيته كما نجحت المرأة «زينب عليها السلام» في التبليغ والإعلام الموجه، ولم تكن الأدوار التقليدية للنساء كالأمومة والزوجية عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائرة الأهداف العامة ابدا بل كانت هذه الادوار سبباً لاضفاء مزيد من الحزن والتفجع على ما جرى في الطفوف، فهؤلاء النساء قدمن الغالي والنفيس بل ضحين بالولد والاخ والزوج لنصرة الثورة في زمن تقاعس فيه الاشاوس من الرجال عن نصرة الامام الذي كانوا يسمعون استغاثته!. وبهذا تحولت الأدوار التقليدية التي تضجر منها المرأة المعاصرة إلى أدوار رسالية ومحطات انطلاق لرسم هوية ثائرة للمرأة المسلمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أدوار النساء في ملحمة الطفوف

كان لنساء الطفوف ضمن المجموعتين اللتين عرضناهما أدوارٌ متعددة ظهر بعضها قبل الواقعة وبعضها في أثنائها وبعدها. وكانت الأدوار النسائية واضحة متميزة رغم ان عدد النساء اللائي يدخلن ضمن المجموعتين كان معدوداً ومحدوداً أيضاً.

اما أهم الأدوار النسائية في الواقعة فهي:

١ . دور نصرة الثورة.

٢ . دور المتابعة والحماية.

٣ . الدور القيمّي.

٤ . الدور الاعلامي.

٥ . رواية المقتل الحسيني.

٦ . اعلان الحداد العام.

١ - دور نصرة الثورة ودعمها بشتى الوسائل

ألف - دور حرائر أهل البيت في نصرة الإمام الحسين عليه السلام ونصرة ثورته

وهذا ما نلمسه من خلال اصرارهن على المجيء مع الإمام عليه السلام إلى كربلاء ومتابعة شؤون هذا السفر الطويل وهو ما سنمر عليه في تشعبات مستقبلية.

لكن العجيب ان الإمام عليه السلام لما خرج من المدينة لم يكن معه سوى عشيرته! ونفس الشيء حصل لما خرج من مكة!، لم يكن هناك الموالون الذين كان يُتوقع ان يذهبوا معه!، وقد بقي الناس في أماكنهم حتى لما جاءهم خبر عزمه على الذهاب الى كربلاء فيما بعد فلِمَ لم يتبعوه؟ وهذا أمر يثير التساؤل اذ يرى بعض كتاب

التاريخ ان مقولة الإمام عليه السلام لبعض من نهوه عن حمل النساء معه (شاء الله ان يراهن سبايا) انها كانت اعلانا عن ما ينتظرهم من تحديات ومنعطفات صعبة فهو سيقتل وهؤلاء النساء سيتم اسرهن، إذن الأمر يحتاج إلى نصرة.. وكأنه قدم رسالة لهم ان الحال هذه فلو نصرتموني ونصرتم نساء بيت الوحي لكان خيراً لكم، ولكن لم يفهم الناس هذه الرسالة وقتها أو ربما لم يريدوا فهمها او انهم فهموها فقدموا لانفسهم الاعذار فبقوا في ديارهم قاعدين!. وبعد ان استشهد الإمام عليه السلام عضوا أصابعهم من الندم!

جاء في المقتل الحسيني:

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال: يا ابن الحر ان أهل مصركم كتبوا إلي انهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وان عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك؟

قال: وما هي يا ابن رسول الله؟، فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله اني لأعلم ان من شايعك كان السعيد في الآخرة ولكن ما عسى ان اغني عنك، ولم اخلف لك بالكوفة ناصراً، فانشدك الله ان تحملني على هذه الخطة، فان نفسي لا تسمح بالموت! ولكن فرسي هذه «الملحقة» والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهي لك.

قال الحسين: أما اذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك وما كنت متخذ المضلين عضدا وإني أنصحك كما نصحتني، ان استطعت أن لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا اكبه الله في نار جهنم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام فأنشأ:

أيـا لـك حـسرة مـا دمـت حيّـاً   تـردَّد بيـن صـدري والتـراقي
غـداةَ يقـول لي بالقـصر قـولا   أتتركنـا وتعـزم بـالفـراق
حـسين حـين يطلـب بـذل نـصري   علـى أهـل العـداوة والـشقاق
فلـو فلـق التَّلـهُّف قلـب حـرٍّ   لهـمَّ اليـوم قلبـي بـانفـلاق
ولـو واسيتـه يومـاً بنفـسي   لنـلت كرامـةً يـوم التَّـلاق
مـع ابـن محمـد تفـديـه نفـسي   فـودع ثـم أسـرع بـانطلاق
لقـد فـاز الأولى نـصروا حـسيناً   وخـاب الآخـرون ذوو النفـاق[1]

لقد كانت هذه فرصة للكثير لتحصيل أعلى درجات الحياة الآخرة ولكنها لم تجد اذناً واعية!.

وبذلك تقدمت هؤلاء النساء العظيمات دون ان يبدين أي تردد أو تلكؤ لنصرة الإمام ومعهن أولادهن. والسيدة زينب عليها السلام وزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والذي كان مريضاً لكنه ارسل أولاده مع خالهم إلى معترك النضال. وأم البنين (على اختلاف الروايات في عمرها وفي زمن وفاتها) والتي ارسلت أولادها الأربعة ومنهم العباس حامل راية الإمام ورملة زوجة الامام الحسن المجتبى عليه السلام والتي جندت ولدها القاسم لنصرة الامامة.

باء - دلهم بنت عمير

وهي زوجة زهير بن القين وكانت امرأة صالحة وكانت معه في سفره وكان زهير عثماني الهوى مما جعله يتحاشى الامام في المسير. يقول السيد ابن طاووس:

---

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٩٠.

... ثمّ سار (عليه السلام) فحدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا: كنّا مع زهير ابن القين لّما اقبلنا من مكّة فكنّا نسائر الحسين عليه السلام حتّى لحقناه فكان إذا أراد النّزول اعتزلناه فنـزلنا ناحية فلمّا كان في بعض الأيّام نزل في مكان لم نجد بداً من أن ننازله فيه فبينا نحن نتغذّى من طعام لنا إذ اقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم ثمّ قال: يا زهير بن القين إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّ على رؤوسنا الطير فقالت له زوجته وهي ديلم بنت عمرو:

سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لا تأتيه؟ فلو اتيته فسمعت من كلامه فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام وقال لامرأته أنت طالق فانّي لا أحبّ ان يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لافديه بنفسي وأقيه بروحي ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك اسألك ان تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد منّي به.[١]

ويفرح زهير بولائه للإمام بقوله لعزرة الذي ارسله ابن سعد نحو الحسين عليه السلام: يا عزرة، إن الله قد زكاها وهداها فاتّقِ الله يا عزرة فاني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية.

ثم قال عزرة: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت على غير رأيهم قال زهير: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط

---

١ - السيد الجليل ابن طاوس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٧١ - ٧٣.

ولا أرسلت إليه رسولاً ولا وعدته نصرتي ولكن الطريق جمع بيني وبينه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه عدوه فرأيت أن أنصره وأن أكون من حزبه واجعل نفسي دون نفسه لما ضيعتم من حق رسوله.

زهير الذي كان يتحاشى الامام الحسين تراه يقف مدافعا عنه امام القوم حيث يدعوه الناس للتخلي عن النصرة في حين يقول: والله وددت اني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل كذا الف مرة، وان الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.[1]

ونال زهير وسام الشهادة وبقي اسمه خالداً مع الشهداء ومع انصار الحسين عليه السلام ولزوجته المؤمنة الموالية الاثر الكبير في ذلك فهي التي كانت تحثه على لقاء الإمام الحسين عليه السلام وهي التي كانت تعاتبه حينما كان معرضا عنه في المسير. فالمرأة الصالحة هي التي تدفع زوجها لتحصيل الجنان رغم ان الأمر ليس بالهين أبداً. فأواصر الحب الزوجي تبقى قوية يشوبها حرص اقوى على الشريك وخوف من الفقدان والفراق لكن كل العلاقات تذوب وتتسامى امام نصرة الدين والعقيدة، فكيف تسامت هذه المرأة لتجعل ارادة الله فوق ارادة قلبها ولتعود إلى قومها بمفردها تاركة الزوج الحبيب يحث الخطى نحو مذبح الشهادة. ولما ودعته قالت له: كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك ان تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام.

وبهذه الكلمات القصار تكشف عن ايمانها العميق بالله وعن ولائها لاهل البيت عليهم السلام.. انه قلبها الذي قال لها انه الفراق الأبدي والموعد الدار الآخرة ورغم ذلك زفت زوجها الى ميدان الحرب فاستحقت الأجر العظيم والخلود في ذمة التاريخ.

---

١ ـ المقرم، ٢١٤.

جيم - دور طوعة في نصرة مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام

طوعة يقال لها أم ولد كانت للاشعث بن قيس فاعتقها وتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا، كان مع الناس، وامه واقفة على الباب تنتظره وقف مسلم على باب البيت والحيرة تسيطر على مشاعره، والخجل يحوط شفتيه، طلب الماء منها، جاءته بالماء، شرب ثمّ جلس على باب الدار لا يدري أين يتوجّه؟ أثار وضعه الحائر، وسيماء الغربة عليه، وجلوسه عند باب البيت، انتباه طوعة، فراحت تتساءل، ألم تشرب الماء؟ إذن لِمَ لا تنصرف؟ فأجاب: انّه غريب ليس له دار، ولا أهل في هذا البلد، ثمّ عرفها بنفسه: (أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفير الحسين، ورسوله إلى الكوفة وابن عمه). فتحت له باب البيت ثمّ أدخلته فاختبأ ليقضي ليلته، وينظر ماذا سيكون الغد.[١]

استضافها فأضافته بعد ان عرَّفها انه ليس له في المصر أهل ولا عشيرة وأنه من أهل بيت لهم الشفاعة يوم الحساب فأدخلته بيتاً غير الذي يأوي إليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى وانكر ابنها كثرة الدخول والخروج لذلك البيت فاستخبرها فلم تخبره إلا بعد ان حلف لها كتمان الأمر.

وعند الصباح اعلم ابن زياد بمكان مسلم فأرسل ابن الأشعث في سبعين مع قيس ليقبض عليه، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف انه قد أُتي[٢] فعجل دعاءه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح ثم لبس لامته وقال لطوعة: قد أديت ما عليك من البر واخذت نصيبك من شفاعة رسول الله ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً.[٣]

---

١ - ذكر هذه الأحداث الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٧٧ و٢٧٨.

٢ - المقاتل لأبي الفرج وتاريخ الطبري، ج١، ص ٢١٠، ومقتل الخوارزمي، ج ١، ص ٢٠٨، فصل ١٠.

٣ - نفس المهموم، ص ٥٦.

والعجب انه ليس هناك بيت يؤوي مسلماً في الكوفة كلها!! فالشيعة الخُلص كانوا في السجون وباقي الناس اقعدهم الخوف واغراهم المال عن النصرة ولما استبدت الحيرة بمسلم لم يجد خيارا سوى ان يقف بجوار بيت لا يعلم من هم اصحابه! فتكون هذه المرأة الموالية هي الناصرة له وهي المضيفة له. ولكن ابنها الذي آثر الدنيا هو الذي يشي بمسلم ويرسل خبره إلى ابن زياد ويكون سبباً للايقاع به.

عجباً لهذه المرأة العظيمة التي لم يداخلها الخوف الذي جثم على قلوب الناس فأبوا ان يضيفوا من دعوه الى بيوتهم ومن وعدوه بالنصرة!! لكن الموقف يشير الى قوة التفكير وإلى دعم قوي للرسالة رغم خطورة المرحلة.

دال – دور ام وهب في نصرة آل البيت عليهم السلام

وهي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي المكنى بأبي وهب جاء في المقتل:

فلما اخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداك ابي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأراد ان يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعك دون ان اموت معك فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي إلى الخيمة فانه ليس على النساء قتال فرجعت.[١]

وحمل الشمر في جماعة من اصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً وشد عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن حي ساقه.

فأخذ أسيراً وقتل صبراً، فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك فقال

---

١ – الطبري، ج١، ص ٢٤٥؛ وابن الاثير، ج ٤، ص ٣٧.

الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.[١]

ويضيف المقرم في المقتل قائلا:

وقطع رأسه ورمى به إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء فردها الحسين وقال: ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد فرجعت وهي تقول: اللهم لا تقطع رجائي فقال الحسين: لا يقطع الله رجاءك.[٢]

وهنا لابد من تأمل صغير فقد كانت هذه المرأة حاضرة مع زوجها في كربلاء وقد همت بان تقاتل دفاعاً عن الحسين عليه السلام لكن الإمام لم يسمح لها بالقتال، فما على المرأة من قتال، لكن الشهادة كانت مذخورة لها فإذا بها المرأة الوحيدة التي قتلت مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام!. يالعظمة النساء يقتل الزوج والولد وتبقى تقاتل الرجال دفاعا عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

ولا أدري لماذا اصطحب ابو وهب زوجته وامه إلى أرض المعركة وهو يعرف ان قتالاً حامياً سيدور وقد جاء لنصرة الإمام وارجح الظن انه لما سمع ان الحسين عليه السلام جاء بعياله ونسائه إلى كربلاء اخذ هو أيضاً عائلته معه كي تكون إلى جوار حرائر الوحي في ذلك الوقت العصيب، وما أكثر الآفلين في موقع الخطوب! وما أكثر الأصدقاء الذين يفرون بعيداً حين تقع النائبات!.

وما أكثر الأخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

---

١ - الطبري، ج٦، ص٢٥١، وفي مسند أحمد ج٢، ص ١٠٠، طبعة أولى عن ابن عمر: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة غزاها بامرأة مقتولة فنهى عن قتل النساء والصبيان.

٢ - المقرم ، مقتل الحسين ص٢٤٢.

هاء – ام عمرو بن جنادة الانصاري

جاء في المقتل الحسيني:

وجاء عمرو بن جنادة الانصاري بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك قال الغلام: ان أمي امرتني فإذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وانشأت:

إِنّي عجوز في النسا ضعيفة   خاوية بالية نحيفة

اضربكم بضربة عنيفة   دون بني فاطمة الشريفة

فردها الحسين إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين.[١]

واو- دور مارية بنت منقذ العبدي

وهي «مارية» أبنة سعد أو منقذ على اختلاف الروايات وهي من الشيعة المخلصين ودارها مألف لهم يتحدثون فيه فضل أهل البيت وقد قتل زوجها وأولادها يوم الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام. ولما بلغها أن الحسين عليه السلام كاتب أشراف أهل البصرة ودعاهم إلى نصرته جاءت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبكي. حتى علا صراخها فقام الناس في وجهها وقالوا لها: ما عندك ومن أغضبك؟ قالت: ويلكم. ما أغضبني أحد. ولكن أنا امرأة ما أصنع. ويلكم سمعت أن الحسين ابن بنت نبيّكم استنصركم وأنتم لا تنصرونه. فأخذوا يعتذرون منها لعدم السلاح والراحلة. فقالت: أهذا الذي يمنعكم؟ قالوا: نعم؛ فالتفتت إلى جاريتها وقالت لها: انطلقي إلى

---

١ – المقرم، ص ٢٥٣.

الحجرة وآتيني بالكيس الفلاني، فانطلقت الجارية وأقبلت بالكيس إلى مولاتها. فاخذت مولاتها الكيس وصبته وإذا هو دنانير ودراهم. وقالت: فليأخذ كل رجل منكم ما يحتاجه وينطلق إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين.

قال الراوي: فقام عبد الله الفقعسي وهو يبكي - وكان عنده أحد عشر ولداً - فقاموا في وجهه وقالوا: إلى أين تريد؟

قال: إلى نصرة ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلى من حضر وقال: ويلكم هذه إمرأة أخذتها الحمية وأنتم جلوس؟ ما عذركم عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؟.

قال: ثم خرج من عندها وتبعه من ولده أربعة فأقبلوا يجدون السير. حتى استخبروا بأن الحسين عليه السلام ورد كربلاء. فجاء الشيخ بأولاده إلى كربلاء ورزقوا الشهادة.

وفي رواية اخرى انها لما قالت كلمتها قال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لأولاده وهم عشرة: أيكم يخرج معي؟ فانتدب منهم اثنان عبد الله وعبيد الله، وقال له أصحابه في بيت تلك المرأة نخاف عليك أصحاب ابن زياد، قال: والله لو استوت اخفاقها بالجدد لهان علي طلب من طلبني[1] وصحبه مولاه عامر وسيف بن مالك والادهم بن أمية[2] فوافوا الحسين بمكة وضموا رحالهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء وقتلوا معه.[3]

وقد ذكر ابن الأثير هذا الاجتماع وسجّله في كتابه الكامل في التاريخ:

---

١ - تاريخ الطبري، ج١، ص ١٩٨.

٢ المقرم عن- ذخيرة الدارين، ص ٢٢٤.

٣ - عبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الحسين، ص ١٤٤.

(واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعدة وكانت تتشيّع، وكان منزلها لهم مألفاً[1] يتحدّثون فيه، فعزم يزيد بن نبيط على الخروج إلى الحسين عليه السلام، وهو من عبد القيس، وكان له بنون عشرة، فقال لهم: أيكم يخرج معي؟ فخرج معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فساروا فقدموا عليه بمكّة ثمّ ساروا معه فقتلوا معه).[2]

زاء - دور النساء النادبات على الإمام عليه السلام في منع تعيين عمر بن سعد والياً على الكوفة

ذكر صاحب المقتل الحسيني:

وكان من صنع المختار معه (مع عمر بن سعد) انه لما أعطاه الامان استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر المارة إلى ان صاحب هذه الدار قاتل سيد شباب أهل الجنة، فضجر ابن سعد من ذلك وكلم المختار في رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسين البكاء عليه[3]، ولما اراد أهل الكوفة ان يؤمروا عليهم عمر بن سعد بعد موت يزيد بن معاوية لينظروا في امرهم جاءت نساء همدان وربيعة، إلى الجامع الأعظم صارخات يقلن ما رضي ابن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يتأمر فبكى الناس واعرضوا عنه.[4]

---

١ - مألفاً: مقرّاً للاجتماع.

٢ - المقرم ،مقتل الحسين ص١٤٤ نقلا عن الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٦٣؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢١.

٣ - العقد الفريد، باب نهضة المختار.

٤ - المقرم ص٢٠٦ نقلا عن مروج الذهب، ج٢، ص ١٠٥، في اخبار يزيد.

حاء - ام سلمة تبكي الإمام عليه السلام

رأت أم سلمة[1] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب.

فقالت له: يا رسول الله ما لي أراك أشعث مغبراً؟ قال: قتل ولدي الحسين وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه[2]، فانتبهت فزعة ونظرت إلى القارورة التي فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دما[3] وهو الذي دفعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها وأمرها أن تحتفظ به وزاد على ذلك سماعها في جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين عليه السلام فيقول:

---

١ - المقرم ص٢٩٠ نقلا عن ابن الأثير في الكامل ج٢ـ ص ٣٨: يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين، وفي الاصابة ج٤، ص٤٦٠ بترجمتها عن ابن حبان ماتت ام سلمة سنة ٦١، وقال أبو نعيم: ماتت سنة ٦٢ وهي آخر امهات المؤمنين، وعند الواقدي: ماتت سنة ٥٩ وفي تهذيب الاسماء للنووي ج٢، ص ٣٦٢ عن احمد بن ابي خيثمة: ماتت في ولاية يزيد بن معاوية وفي مرآة الجنان لليافعي ج١، ص ١٣٧: توفيت ام سلمة ام المؤمنين سنة ٦١، وابن كثير في البداية وان تبع الواقدي الا انه قال الأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدل على انها عاشت إلى ما بعد مقتله، وفي عمدة القاري للعيني شرح البخاري ج١، ص ٤٢٧ آخر بحث القنوت: ان ام سلمة ماتت في شوال سنة تسع وخمسين وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ج١، ص ٣٤١: عن الواقدي ماتت ام سلمة قبل مقتل الحسين بثلاث سنين ولكن في اصول الكافي عن أهل البيت: ان الحسين اودعها ذخائر الامامة واوصاها ان تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام وفي سير اعلام النبلاء للذهبي ج٢، ص ١٤٢: ام سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر من مات من امهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيراً ولم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله تعالى.

٢ - امالي الشيخ الطوسي ص ٥٦، وفي تهذيب التهذيب ج٢، ص١٣٩؛ وسير اعلام النبلاء للذهبي ج٢، ص٢١٣: ان ام سلمة رأت رسول الله في المنام واخبرها بقتل الحسين عليه السلام.

٣ - المقرم نقلا عن كامل ابن الأثير ج٤، ص ٣٨؛ ومقتل الخوارزمي ج٢، ص ٩٥.

أيهـــا القـــاتلون جهـــلاً حـــسيناً   أبـــشـروا بـــالعذاب والتنكيـــل

قـد لعنـتم علـى لـسان ابـن داود   ومـــوسى وصـــاحب الانجيـــل

كـلُّ أهـل الـسماء يـدعو علـيكم   مـــن نبـــيٍّ ومـــرسل وقتيـــل[1]

وكانت تسمع في جوف الليل أصوات نعي الحسين ولم تر أحداً فمن ذلك:

ألا يـــا عيـــنُ فـــاحتفلي بجهـــدٍ   ومَـنْ يبكـي علـى الـشهداء بعـدي

علـــى رهـــط تقودهُـــمُ المنايـــا   إلى متجبـــرٍ في مـــلك عبـــدِ[2]

ولما سمع ابن عباس بكاءها أسرع إليها يسألها الخبر فأعلمته بأن ما في القارورتين يفور دماً.[3]

وفي أصول الكافي أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أودعها ذخائر الإمامة وأوصاها ان تدفعها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

٩- ومما نضيفه هنا ان الإمام حينما اعطى الرخصة ليلاً لأصحابه كي يذهبوا عنه متسترين بهذا الليل كانت النساء قد سمعن الكلام، هؤلاء النساء اللاتي جئن مع اسرهن مثل أسرة عبد الله بن عمير الكلبي، وجنادة بن حرث الانصاري، ومسلم بن عوسجة الأسدي وغيرهم ولكن واحدة منهم لم تطلب الرحيل ولم تعلن ذلك أبداً بل بقين مع الرجال الى جنب الامام عليه السلام وهذه مكرمة عظيمة لهؤلاء النساء القويات في الدين والقويات في الارادة.

---

١ - المقرم ص٢٩١ نقلا عن تاريخ ابن عساكر ج٤، ص ٣٤١؛ وفي تاج العروس ج٢، ص ١٠٣؛ ذكر البيت الأول والثالث وفي روايته لعجزه «من نبي ومالك ورسول».

٢ - تاريخ ابن عساكر ج٤، ص ٣٤١

٣ - حديث القارورتين في معالم الزلفى ص ٩١ باب ٤٩؛ ومدينة المعاجز ص ٢٤٤؛ باب ٤٩: كلاهما للسيد هاشم البحراني.

طاء - مجالس العزاء

وقد اقيمت في الشام حينما كانت السبايا هناك وأيضاً في كربلاء بعد عودهن إليها في الاربعين وفي المدينة قبل وصول السبايا وبعده.

ومازالت مجالس العزاء حتى يومنا الحاضر تقيمها النساء المواليات النادبات للامام وهنّ الصورة الحاضرة لنساء الطفوف.

٢ - دور المتابعة والحماية

يكاد يكون هذا الدور خاصا بالسيدة زينب عليها السلام بوصفها مَنْ تولت أمور العيال بعد استشهاد اخيها عليه السلام ومرض الامام زين العابدين عليه السلام، ولنا ان نتصور ثقل المسؤولية التي حملتها السيدة زينب في هذا السفر الطويل الذي بدأ منذ خروج الامام عليه السلام من المدينة حتى عودة الركب إليها في شهر ربيع الاول وقد كانت مهمة جسيمة في وقت عصيب ومشحون بالتوترات وعدم الاستقرار في مكان واحد مع وجود الاعداء والحاقدين والشامتين .. وفي مسير مفعم بالحزن وبخاصة بعد استشهاد الامام وبدء رحلة السبي حيث يذكر المؤرخون انه كان في موكب السبايا ما يقارب العشرين امرأة واكثر من هذا العدد من الاطفال ومع قطع الرؤوس وحملها على الرماح امام موكب السبايا وذهول الامهات وأنين الزوجات والبنات وفي نفس الوقت رعاية المريض فقدكانت مهام قاسية وثقيلة ايضا.

وتعني مهمة المتابعة أو الحماية رعاية شؤون المرضى من النساء والأطفال وحماية الاطفال وتسلية النساء وإبقاء الصورة الحسينية في اطار الصلابة وعدم الخنوع أو نسيان العزة والكرامة.. ومن هذة الاشارة يمكن ادراك صلابة السيدة وسعة صدرها ومتانة البنيان الروحي عندها وحجم ايمانها بالثورة..

وسنمر على بعض المواقف التي توجهنا نحو الصورة بشكل سريع، واهمها:

١ . متابعة شأن الإمام الحسين عليه السلام نفسه حتى استشهاده، ونرى ذلك بوضوح في طول المسيرة التي كانت فيها معه ونورد هنا بعض المواقف الأساسية:

أ- موقف السيدة زينب عليها السلام في استعلام نوايا أصحاب الإمام عليه السلام.

جاء في المقتل:

ثم دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم فاني أخشى ان يسلموك عند الوثبة.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الاشوش الاقعس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن اخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة، قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة فهل لك ان تجمع اصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة، فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقركم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده ، فقالوا بأجمعهم والله الذي منَّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطبْ نفساً وقرَّ عيناً فجزّاهم خيراً.

وقال هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يغمدوها إلا في رقاب

من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم اقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: ايها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.[١]

ب - كانت متابعة لشؤون أخيها

وذلك حسبما نقله المقرم في المقتل:

قال علي بن الحسين:

سمعت أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أفٍّ لك من خليل	كم لك بالاشراق والاصيل
مِنْ صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وانّما الأمر إلى الجليل	وكل حيٍّ سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.

وأما عمتي زينب لما سمعت ذلك وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة! اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي فعزاها الحسين وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّي بعزاء الله واعلمي ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك الا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.

---

١ - المقرم ص٢١٩ نقلاعن الدمعة الساكبة، ص٣٢٥.

فقالت عليها السلام: أفتغصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي.

وبكت النسوة معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه وأماه واحسيناه واضيعتنا بعدك؟!

فقال الحسين: يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمة يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.[١]

٢ ـ حماية الإمام زين العابدين عليه السلام وقد كان مريضاً في أثناء المعركة وقد همَّ الأمويون بقتله غير أنّ زينب عليها السلام كانت الحمى له، وقد ورد في ذلك عدة مواقف منها:

أ ـ حينما بقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً خرج ينادي بأعلى صوته: هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء[٢].

ونهض السجاد عليه السلام يتوكأ على عصا ويجر سيفه؛ لأنه مريض لا يستطيع الحركة فصاح الحسين بأخته احبسيه؛ لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، فأرجعته إلى فراشه.[٣]

ب ـ حينما احترقت الخيام وهجمت الجند لسلبها أراد الشمر قتله

جاء في المقتل:

وانتهى القوم إلى علي بن الحسين وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض

---

١ ـ المقرم ،مقتل الحسين ص٢١٨

٢ ـ اللهوف، ص ٦٥.

٣ ـ المقرم، مقتل الحسين، ص ٣١٦.

وقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد، وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ انما هو صبي مريض! فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد في منعه خصوصاً لما سمع العقيلة زينب أبنة أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتى اقتل دونه فكفّوا عنه.[1]

جـ - في مجلس ابن زياد

قال الراوي:

التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين وقال له: ما اسمك؟

قال: انا علي بن الحسين.

فقال له: أو لم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام:

كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتله الناس.

فردَّ عليه ابن زياد بأن الله قتله. قال السجاد عليه السلام:

الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله.

فكبر على ابن زياد ان يرد عليه فأمر ان تضرب عنقه.

لكنَّ عمته العقيلة اعتنقته وقالت: حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت وهل ابقيت أحداً غير هذا فان اردت قتله فاقتلني معه.

فقال السجاد عليه السلام:

أما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لها عجباً للرحم ودَّت انها تقتل معه.[2]

---

١ -المقرم ص٣٠١.

٢ - المقرم ص٣٢٥ نقلا عن ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤.

د – في الشام حينما وضعهم يزيد في الخربة التي لا تقيهم من الحر

جاء في المقتل الحسيني:

ولقد احدثت خطبة العقيلة زينب هزة في مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذي غمرهم وانهم في اي واد يعمهون، فلم ير يزيد مناصاً إلا ان يُخرج الحرم من المجلس إلى خربة لا تكنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

وفي بعض الأيام خرج السجاد عليه السلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف امسيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام:

أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر على العجم بان محمداً منها، وامست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فانا لله وانّا إليه راجعون.

قال المنهال: وبينما يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى اين يا نعم الخلف؟ فتركني واسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب.[1]

هـ – مواساة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد ما رأى مصرع ابيه واخوته وباقي عشيرته

جاء في المقتل:

وأما علي بن الحسين فإنه لما نظر إلى أهله مجزرين وبينهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلك عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه زينب الكبرى بنت علي عليه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسليه

---

١ – المقرم ص٣٦٠.

وتصبره وهو الذي لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي واخوتي فوالله ان هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الاعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس اثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاعلواً».[1]

٣ - متابعة شأن رقية عليها السلام حتى دفنها في الشام:

حيث كانت السيدة زينب عليها السلام معها لما طالبت رؤية أبيها وجاءوها بالطشت ولما ماتت وغسلت.

٤ - متابعة شأن فاطمة بنت الحسين وبخاصة في موقف الشامي في مجلس يزيد:

نظر رجل شامي إلى فاطمة بنت علي فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيلة زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيلة: لا عليك انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوك واخوك! قالت زينب: بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوة الله! فرقت (عليها السلام) وقالت:

أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك وعاود الشامي الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً.[2]

---

١ -المقرم ص٣٠٨.

٢ - الطبري، ج٦، ص ٢٦٥.

وهنا لابد من ان نشير إلى ان جل مهام متابعة أفراد القافلة الحسينية وبخاصة بعد استشهاد الإمام كانت مسؤولية السيدة زينب بعدما أوصاها الإمام الحسين عليه السلام بذلك وعهد إليها بالمهام الأساسية.

٣ - الدور القيمي

لا يغيب عن بالنا ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة قيمية بكل معناها فقد كانت رحى الحرب تدور بين فريقين؛ أحدهما: آمن بقيم الإسلام ومثله وأخلاقه وسعى لاصلاح المجتمع وفق تلك القيم، والآخر: سعى لايجاد مجتمع آخر مبتعدا عن نهج الإسلام – وان حمل اسمه أمام الملأ – وبعيدا عن هذه القيم وتلك المثل التي حملها الحسين عليه السلام.

والقيم مشتقة من كلمة قيمة وهي مأخوذة من القيام الذي هو نقيض الجلوس ويأتي بمعنى آخر هو العزم وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ أي عزم.

ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات يقال أمة قائمة أي متمسكة بدينها. وقوّم السلعة أي قدّرها وفي ذلك الآية:

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.[1]

وتُعرّف القيم بانها معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشرية ويؤثر في سلوك أفراده حيث يتم من خلاله الحكم على شخصية الفرد ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل افكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته.[2]

---

١ – د. احمد كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص ١٣٣.

٢ – نفس المصدر، ص ١٣٥.

وتتميز القيم بانها تمثل انعكاساً لمعتقدات أفراد المجتمع، ومن ثم فهي تعكس هويته وصفاته المميزة.. وغياب القيمة أو عدم وضوحها يؤدي إلى ضياع الفرد ذاته ويؤدي به إلى فقدان الاحساس بالحياة وباهدافها. ويعدّ الدين من العوامل الأساسية المؤثرة في بناء القيم. كما وتعدّ المرأة احد أهم وسائل نقل القيم من جيل إلى آخر عبر التربية من جانب. ومن جانب آخر تكون المرأة اكثر صيانة للقيم؛ لأنها أقل تمرداً عليها وأكثر استجابة لها وأكثر اهتماماً بحفظها وحمايتها.

في عصر الإمام الحسين عليه السلام اهتزت المنظومة القيمية من خلال التكالب على الدنيا وسيادة روح الانهزامية والوشاية والسعاية وانتشر الفساد والانحراف في عموم مفاصل الدولة والامة على حد سواء. وبهذا كان عصر ما قبل ثورة الإمام عليه السلام يمثل ادنى درجات الانهيار الأخلاقي والفساد الاداري والاجتماعي والسياسي وهذا واضح وعلى اكثر من صعيد، وقد بلغ الهبوط القيمي مداه بشكل لا يمكن علاجه بالوعظ والكلمات، حتى كانت واقعة الطف التي أيقظت ضمير الامة وهزت البنية التحتية للنهج الاموي القائم على منظومة الفساد والتحريف وشراء الذمم والضمائر، ومن ثم افرزت الثورة قائمة طويلة من القيم الإيجابية العليا التي كان لها أثر كبير في تبديل أخلاق الأمة كلها ليس على مدى جيل واحد بل اجيال عدة وليس على الواقع الآني للامة بل على مستوى الحاضر والمستقبل. ونجحت في استبدال منظومة القيم فبدلاً من الرضا بحياة الذل والرضوخ للظالم اصبحت قيمة العز والتضحية والشهادة ضد الحاكم الظالم هي القيم الجديدة. وبدل الروح الانهزامية جاءت روح المبادرة والروح الإيجابية وهكذا.

ولا أريد استعراض كل قيم الثورة الحسينية فهذا مجال يطول الكلام عنه ولكني أريد ان أمر على القيم التي حملتها النساء إلى المجتمع من خلال تضحياتهن بحضورهن في أرض كربلاء، وهي بلا شك قيم كثيرة تركت اثرها على نساء زمانها وعلى نساء زماننا

وهي أكثر ما نحتاج إليه اليوم إزاء التحديات الجسام التي تحيط بالمرأة المسلمة.

والملاحظ ان هذه القيم قد ظهرت في وقت امتحان القيم وكان امتحاناً عسيراً واختباراً صعباً للغاية خسر فيه الكثير من صناديد الرجال لكن نجحت هذه المجموعة الصغيرة في بيانها وايضاحها – على الرغم من قلة الامكانات – لكن ارادة النساء صنعت المعجزات.[1]

وابرز هذه القيم:

ألف . الدفاع عن المقدس

لا بد من الاشارة أولا إلى ان الأمة الاصيلة والتي تتمتع بعوامل القوة والخلود هي التي تحافظ على مقدساتها وتعمل على صيانتها أمام التيارات والاتجاهات المخالفة والتي تسعى بكل الوسائل لأجل اضعاف وضعضعة البنى التحتية للامة القوية وأول خطوة في هذا المجال هو اختراق المقدس نفسه ومصادرة قدسيته واسقاطه كرمز ثابت وحيوي في عيون ابنائه ومن ثم تنفصل الأمة عن تاريخها وتراثها وعن احد اهم عناصر القوة فيها وتصبح مقطوعة الجذور متكسرة الدعائم. وهذا يفسر لنا سبب تزايد الموضات الجديدة في الرسوم الكاريكاتورية ضد رموز الإسلام العظيم والتي تدخل ضمن اطار الهجمة الشرسة على الاسلام ومقدساته، فاذا أُهين المقدس تختل خطوط التواصل بينه وبين الامة مما يمهد لبدء التشويش والتشكيك ضمن هذه العلاقة وفي المرة الأولى قد تصبح المعارضة قوية؛ لان العلاقة مازالت متأصلة لكن مع تداوم الهجوم تضعف ردود الفعل. ويصبح الامر اشد طامة فيما إذا تخلى العلماء والمثقفون عن ادوارهم في بيان استتباعات الاحداث، ولكن إذا ضعفت المواجهة فسوف تتوارى صور

١ – يقول مرتضى مطهري (ليس هناك أية واقعة في التاريخ تعكس الفضائل الإنسانية كواقعة كربلاء) الملحمة الحسينية،ج١، ص ٦٨.

المقدسات العليا خلف الرموز البديلة وتزداد ضبابية الصورة في عيون أبنائها شيئاً فشيئاً ولا يبقى للأبناء شيء يسمونه المقدس كي يحافظوا عليه!.

ولقد كان المسلمون في عصر الرسالة يشعرون بالقداسة الكبرى لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكننا نرى انكسار هذه القداسة من خلال الأحداث التي جرت بعده فالناس انشغلوا عن موته ودفنه بأحداث السقيفة وجاءوا بمن يرغبون ناكثين الولاء والعهد الذي قدموه يوم الغدير!. ثم جاءت شهادة الزهراء عليها السلام كأقسى انتهاك لصورة المقدس وفي زمن قصير بعد وفاة ابيها وبصورة مؤلمة للغاية.. حريق عند الباب، حصار، ضرب حتى ماتت ساخطة على الشيخين وعلى كثير غيرهما وكان تغييب قبر الزهراء عليها السلام بحد ذاته نوعاً من الاحتجاج الازلي على عدم حفظ المقدسات وعلى عدم احترام الأمة نفسها لمكانة العترة التي هي عدل القرآن كما جاء في الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي[1]، ويبقى هذا الاحتجاج جليا خالداً كنوع من وخز الضمير والتذكير بالمقدس المنتهك الحرمة.

وبهذا تجرأت الأمة على المقدس؛ إذ لم تبق هناك مساحات محرمة لا يمكن اختراقها واصبح المقدس نفسه في صورة اللا مقدس أو بالاحرى الشيء العادي الذي عندهم. وساد سوء الظن والفتنة والشك فكانت شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الشهر المقدس والمكان المقدس والوقت المقدس!!، وهو عليه السلام ايضا كان الامام المعصوم والقرآن الناطق فهو المقدس ولكن الامة لم تعد تنظر إلى الحدود الأولى للمقدس كما كان الأمر في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا نجد الإمام الحسن عليه السلام يعاني الأمرّين فانصاره يكنوه بـ(يا مذل المؤمنين) وأعداؤه

---

١ ـ صحيح مسلم١٢٢ / ٧ صحيح الترمذي٣٢٨ / ٥.

يتربصون لقتلهِ، وحتى لما استشهد بعد ان دست زوجته السم له (انظر إلى الساحة القريبة لاجتثاث المقدس) جاء التجرؤ على جسده في التابوت فكان رمي الجنازة بالنبال وكان المنع من دفنه إلى جوار جده الذي قال عنه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبني، ومن ابغضهما فقد ابغضني»[١]

في حين ان الميت المسلم حتى لو كان إنساناً عادياً جداً فله حرمة وله قداسة وهذه القداسة الخاصة تتطلب دفنه في المكان الذي يليق به والصلاة عليه وعدم اهانة جنازته! إلى غير ذلك.

ولقد افرزت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نمطين من التعامل مع المقدس:

نمطاً حفظ هذه القدسية وصانها وحماها..

ونمطاً استهان بها إلى أبعد الحدود فانتهك الحرمة واتى بكل قبيح ومنكر..

ففي واقعة الطف قتلوا سيد شباب اهل الجنة وريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستحلوا دمه ومثّلوا بجثته عليه السلام، ولا يجوز التمثيل حتى بالكلب العقور! وذبحوه ورفعوا راسه على الرمح يطوفون به في البلدان استبشارا وفرحا وسرورا!!.

وسبوا نساءه المسلمات المخدرات حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونساء بيت الوحي، ولا يجوز أصلاً سبي المرأة المسلمة، إلى غير ذلك من صور العنف القاسي ضد أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد عمل الامويون على تشويه صورة المقدس بدعوى ان الذي ثار عليهم كان خارجيا!! ولم يعلنوا عن الاسم الصريح له ومن أين جاء الى كربلاء!. فقد راعهم الاستقبال الكبير الذي اعده اهل الكوفة لما سمعوا باقبال الحسين اليهم:

---

١ – سنن ابن ماجة في فضائل الحسن والحسين ، ومسند احمد٢\٢٨٨و٤٤٠ و٥٣١

... ولكن الناس لما ذهبوا لاستقباله (الامام الحسين) عند مدخل المدينة، فدخَلها (ابن زياد) في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تَلَثَّم بها، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول الله! (تصوروه الحسين) قدمْتَ خير مَقْدَم، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصَّنَ فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال يومك يا نعيم، وحَسَرَ اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحَصَبوه بالحصباء، ففاهم ودخل القصر!!.[1] إذ ان الذي استقبلوه كان ملثما وقد تصوروا انه الحسين في حين انه كان عبيد الله بن زياد الذي جاء لتولي منصبه الجديد واليا على الكوفة!!. هذه الحادثة كشفت للامويين عن مكانة الامام في قلوب الناس فوضعوا خططا جديدة لتقويض الحركة الحسينية واولها اخفاء اسم الثائر وتشويه ثورته. وإذا كان هناك من يجهل من هو الثائر فكيف بالذي عاش معه دهرا!!. كعمر بن سعد فهؤلاء يعرفون من هو الحسين عليه السلام ويعرفون انه المقدس ولكنهم تمردوا عليه بتلك الصورة الوحشية!. وقد حاول الامام عليه السلام ان يذكرهم بالقداسة لما خرج يوم عاشوراء، إذ كان قد ارتدى عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لإلقاء الحجة عليهم.

وفي الصورة الأولى نجد أصحاب الإمام عليه السلام قمة سامية في التفاني والفداء صيانة للمقدس، ونجد وصاياهم كلها تدور حول نصرة الإمام عليه السلام والتضحية دونه.[2] فلقد تفانى الجميع رجالا ونساء في تقديم الدعم للامام ولم يتخلَّ

---

١ - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، ص ٦٦.

٢ - راجع المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ٢١٢ - ٢١٤.

واحد او واحدة عن نصرة الامام رغم ان التحدي كان خطيرا، فهذا وهب الكلبي بالغ في الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا امّه أرضيت ام لا؛ فقال الأم: ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام؛ وقالت امرأته بالله عليك لا تفجعني بنفسك؛ فقالت له امّه يا بنيّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيمة فرجع فلم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه فاخذت امرأته عموداً فاقبلت نحوه وهي تقول فداك ابي وأمي قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون ان أموت معك فقال الحسين عليه السلام جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى النساء رحمك الله فانصرف إليهنّ ولم يزل الكلبي يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.[1]

وهذه ام عمرو بن جنادة الانصاري تدفع ولدها لحماية المقدس:

فعندما جاء عمرو بن جنادة الانصاري بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك قال الغلام: ان أمي امرتني؛ فإذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم.[2]

وماريا التي جادت بالمال لنصرة المقدس.

ويمكن مراجعة أدوار النساء في نصرة آل البيت عليهم السلام والتي تدخل ضمن صيانة المقدس والدفاع عنه. وقد سعت حرائر أهل البيت عليهم السلام إلى كشف

---

١ - ابن طاووس، اللهوف، ص١٠٥.

٢ - المقرم، ص٢٥٣.

اللثام عن خداع بني امية حينما القت السيدة زينب عليها السلام خطبتها في الكوفة فعرف الناس انهم حاربوا المقدس وهتكوا حرمة القداسة ولهذا انطلقت الثورات بعدها فكانت ثورة التوابين والمختار إلى غير ذلك.

قالت السيدة زينب في خطبتها:

وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. ومدرة حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

وقالت ام كلثوم:

وأي دماء سفكتم وأي كريمة أصبتموها وأي صبية أسلمتموها وأي أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبي ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.

وقالت فاطمة بنت الحسين:

حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقية، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

باء . قيم حماية المرأة

كشفت الواقعة عن سمو السلوك الانساني لدى الامام في تعامله مع النساء، وعن تدني السلوك الاموي في هذا التعامل. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الرؤى المعاصرة تعدّ التعامل مع المرأة وما عليه من اوضاع اجتماعية من تدهور أو تخلف أو ارتقاء مقياسا لتفسير تخلف المجتمع أو تقدمه استطعنا ان نصل الى فهم اعمق لواقعة الطف من خلال

هذه المعادلة. ففي الوقت الذي يبذل الامام عليه السلام جهده في ان لا يُقحم النساء في الحرب العسكرية يسعى التيار الاموي الى تسليط مزيد من الضغوطات على الامام من خلال استفزاز النساء واحراق الخيام فيما بعد والطواف بهن في البلدان !!. وفي الوقت الذي نرى الرؤى المعاصرة تبتز قداسة المرأة الانسان والخليفة نجد الاسلام يحرص على حماية المرأة ضمن الدائرة الانسانية.

وعموما تتجلى قيم صيانة المرأة في جانبين:

فمن جهة ان الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى صيانة المرأة المتواجدة في أرض المعركة وتمت هذه الصيانة والحفظ لمكانة المرأة من خلال عدة أمور منها:

١ ـ منع الإمام الحسين عليه السلام النساء من القتال

عندما اخذت ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط عموداً واقبلت نحو زوجها وهي تقول فداك ابي وامي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأراد ان يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون ان اموت معك فقال الحسين عليه السلام جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى الخيمة فأنه ليس على النساء قتال فرجعت[1]... وعندما رد ام عمرو بن جنادة الانصاري إلى الخيمة بعد أن اصابت بالعمود رجلين.

٢ ـ خاطب الإمام الأعداء بان لا يتعرضوا للنساء فهو الذي يقاتل

قال مخاطبا أعداءه:

ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، قال فناداه شمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمة، فقال اني أقول أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس

---

١ – المقرم ص٢٣٩.

عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً[١]...

٣ ـ حفر الخندق حول الخيام

ثم انه عليه السلام أمر أصحابه ان يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل، فيكون القتال من وجه واحد.[٢]

٤ ـ منع النساء من الخروج من الخيام حتى استشهاده عليه السلام

ولم تخرج النساء من الخيام حتى احتراقها على أغلب الروايات. والدليل مجيء فرس الحسين ناعيا راكبه عند باب الخيمة التي تجمعت فيها النساء وهو يصهل بحزن وفي ذلك يعلق مرتضى مطهري في ملحمته ان النساء كن في الخيام وكلما سمعن صوت الامام شعرن بالامن والسكينة وانما بقين في الخيام طاعة لوصاياه عليه السلام ويضيف مطهري: ان اوامر الامام كانت صارمة في عدم تجاوز الخيمة. نعم هناك بعض الروايات عن خروج السيدة زينب عليها السلام وبعض النساء عن الخيام لأمور طارئة ولدقائق معدودة منها:

١ـ خروج السيدة زينب عليها السلام لما استشهد علي الاكبر.. وروى الطبريّ: عن حُميد بن مسلم الأزدي قال: سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بُنيّ، ما أجرأهم على الرّحمن وعلى انتهاك حرمة الرّسول، على الدّنيا بعدك العفاء. قال: وكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مُسرعة كأنّها الشّمس الطالعة تنادي: يا أُخيّاه ويا ابن أخاه! قال: فسألتُ عنها فقيل: هذه زينب أبنة فاطمة بنت رسول الله،

---

١ ـ اللهوف، ص١٢٠.

٢ ـ الطبري، ج١، ص ٢٤٠.

فجاءت حتّى أكبّت عليه، فجاءها الحسين، فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه فقال: إحملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يديّ الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.[1]

٢- خروج أم وهب إلى الميدان فردها الحسين الى الخيمة (جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي إلى الخيمة).

٣- رواية يذكرها ارباب المنبر الحسيني حول تقديم الجواد للامام لما سقط على ارض المعركة.

٤- خروج ام عمرو بن جنادة الانصاري، (فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم).[2]

ولعل هناك مواقف أخرى مختلفاً في صحتها لكن الأعم ان النساء بقين في الخيام طاعة للحسين عليه السلام حتى جاء الجواد باكيا.

٥ ـ مراعاة مشاعر النساء

ا- الامام يصبّر ابنته سكينة:

قال المقرم في مقتله عليه السلام:

والتفت الحسين إلى ابنته سكينة التي يصفها الحسن المثنى «بأن الاستغراق مع الله غالب عليها» فرآها منحازة عن النساء باكية نادبة فوقف عليها مصبراً ومسلياً ولسان حاله يقول:

هــذا الــوداع عزيــزتي والملتقــى   يـوم القيامـة عنـد حـوض الكـوثر

---

١ - العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ص ٤٣٤.

٢ - المقرم، ص٢٥٣.

فـــدعي البكـــاء وللأســـار هَيَّـــأي واستشعري الـصبر الجميـل وبـادري

وادا رأيتـــيني علـــى وجـــه الثّـــرى دامـي الوريـد مبـضَّعـاً فتـصبَّري[1]

ب- ويتألم الامام لبكاء النساء فيطلب من العباس وابنه الاكبر اسكاتهن:

قال المقرم في مقتله عليه السلام:

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم:

أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هـو حـق لكـم علـي، وحـتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قـولي وأعطيتمـوني النـصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكـم علـيَّ سـبيل وإن لم تقبلـوا مـني العـذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إن وليي‍ِّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

فلما سمعّت النساء هذا منه صحْنَ وبكيْنَ وارتفعت اصواتهنَّ فأرسل إليهنَّ أخـاه العباس وابنه علياً الأكبر وقال لهما: أَسكتاهنَّ فلعمري ليكثرنّ بكاؤهنَّ.[2]

ج- ثم انه عليـه الـسلام ودع عيالـه ثانيـاً وامـرهم بالـصبر ولـبس الأزر، وقـال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم...

د- مقولته عليه السلام لما رأى عمروبن جنادة الانصاري يستأذنه للحرب: هـذا غلام قتل ابوه بالحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك....

هـ- لما همّ بالخروج مـن المدينـة اجتمعـت النـساء باكيـات فمـشى إلـيهن الحـسين وسكتهن وقال: أنشدكن الله ان تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله...[3]

---

١ - المقرم، ص ٢٧٧.

٢- المقرم، ص ٢٢٧.

٣ - المقرم، ص١٣٧.

٦ـ اسناد مسؤوليات حماية العيال والنساء إلى السيدة زينب عليها السلام وكان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأنها قادرة على توجيه النساء أنفسهن الوجهة المتناسبة مع قيم الثورة وأخلاقها وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

٧ـ ولقد استغل الاعداء انشغال الامام بعياله فقال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض ازر النساء فدهشْنَ وارعبْنَ وصحْنَ ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فيقتله والسِهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره.[1]

ولما وصل الماء ليشرب منه تركه لما سمع بتجاوز الاعداء على خدر النساء عندما قصده القوم واشتد القتال:

وقد اشتد به العطش، فحمل عن نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان في أربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء فلما همَّ الفرس ليشرب قال الحسين: انت عطشان وانا عطشان فلا اشرب حتى تشرب! فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مد الحسين يده ليشرب ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟ فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة.[2]

وللنساء في هذه الواقعة مواقف انسانية رائعة ضمن قيم خاصة منها:

١ ـ امرأة من الكوفيات تجمع الأزر والمقانع للنساء:

---

١ ـ المقرم، ص ٢٧٧.

٢ ـ المقرم، ص ٢٧٥.

جاء في المقتل: فاشرفت إمرأة من الكوفيّات فقالت من أي الأسارى أنتنّ فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.[١]

٢ ـ في سبي النساء تطلب السيدة ام كلثوم ان يمر بطريق قليل النظارة: ولما قربوا من دمشق أرسلت أم كلثوم إلى الشمر تسأله أن يدخلهم في درب قليل النظّار ويخرجوا الرؤوس من بين المحامل لكي يشتغل الناس بالنظر إلى الرؤوس فسلك بهم على حالة تقشعر عن ذكرها الابدان وترتعد لها فرائص كل انسان.[٢]

٣ ـ في الشام تتصدى السيدة زينب عليها السلام لصيانة فاطمة بنت الحسين في موقف الشامي الذي ارادها جارية وتعلنها ثورة ضده في مجلسه:

نظر رجل شامي إلى فاطمة بنت علي فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيلة زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيلة: لا عليك انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوك واخوك! قالت زينب: بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوة الله! فرقت (عليها السلام) وقالت: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك وعاود الشامي الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً.[٣]

٤ ـ السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام تطلب من سهل بن سعد الساعدي ان يقدموا الرؤوس امام النساء:

---

١ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، ص١٤٤.

٢ ـ المقرم، ص ٣٤٧.

٣ ـ الطبري، ج٦، ص ٢٦٥.

جاء في المقتل:

ودنا سهل بن سعد الساعدي من سكينة بنت الحسين وقال: ألك حاجة فأمرته ان يدفع لحامل الرؤوس ان يجعل الرؤوس أمام النساء، كي تنشغل الناس بالنظر إلى الرؤوس عن النظر إلى أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففعل «سهل».[1]

٤ - في مواجهة السيدة زينب عليها السلام مع يزيد تذكره بالقيم الخاصة بالمرأة وحجابها بالقول:

امن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وابديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمي ولا من رجالهنَّ ولي....

جيم . ادب التعامل مع المصاب الجلل

في واقعة الطف استشهد آل البيت كلهم فضلاً عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكتف الحال بالقتل بل كان التمثيل بالجثث الذي ربما كان اقسى من فاجعة القتل نفسها، ولكن حرائر بيت الوحي تعاملن مع الموقف القاسي بكل صبر وتجلد ولا ينقل التاريخ ان اي واحدة بدر منها ما يخالف الشريعة في السلوك. ولنا ان نستعرض المواقف الآتية لنكون على بينة من ذلك.

- فقد جاء في المقتل:

ان الامام عليه السلام لما ارتجز الأبيات سمعت ذلك السيدة زينب عليها السلام (... وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة! اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي فعزاها الحسين

---

١ - المقرم، ٣٩٤.

وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّي بعزاء الله واعلمي ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك الا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.

فقالت عليها السلام:

افتغصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي.

وبكت النسوة معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه وأماه واحسيناه واضيعتنا بعدك؟!

فقال الحسين:

يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمة يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.

ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانياً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال:

استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم...[١]

هذا حصل قبل مقتله اما ما حصل بعد استشهاده عليه السلام فقد جاء في المقتل:

فقلن النسوة: بالله عليك إلا ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطعي الأوصال قد طعمتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن ولطمن الوجوه وصاحت زينب:

يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.[٢]

---

١ - المقرم، ص٢١٧.

٢ - المقرم، ص٣٠٧.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت:

إلهي تقبل منا هذا القربان[١]..

- بكاء النساء على مصرع العباس:

ورجع الحسين إلى المخيم منكسراً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، اما من خائف من النار فيذب عنا! فأتته سكينة وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت:

وا أخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك!

وبكيت النسوة وبكى الحسين معهن وقال:

وا ضيعتنا بعدك!![٢]

- موقف السيدة مع ابن زياد

جاء في المقتل:

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهي متنكرة لكن جلال النبوة وبهاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟

قيل له: أبنة أمير المؤمنين «زينب العقيلة».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

---

١ - المقرم ص ٣٠٧.

٢ - المقرم، ص ٣٧٠.

فقالت عليها السلام:

الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً، انما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام:

ما رأيت إلا جميلاً.[١]

دال . ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة

غالباً ما تتهم النساء بأهن منغمسات في ذواهن أو اهن يعشنَ فقط لمصالحهن الشخصية!! ويقيم هؤلاء الدليل على ما يقولون من خلال مايرونه من تهافت النساء على الموضة واستنفاذ المال والوقت والجهد من أجل التجمل وتحسين الصورة والمظهر واهمال البعض لمهامهن الأسرية. غير ان هذا لا يجد له إلا صدى محدوداً؛ اذ ان البعض يحاول الرد على هذه التهمة الأزلية بما تفرزه صورة الأمومة من تضحية وفداء وإيثار على النفس بشكل لا يقبل الجدل فالام نموذج سامٍ للتضحية ونكران الذات. غير أنّ آخرين يفسرون الأمومة أيضاً باها إشباع لغريزة ذاتية تنطلق ايضا من ذات المرأة وما تقدمه من تضحيات وعناء وفداء انما تحصد نتائجه هي أولاً قبل غيرها . وأياً كانت الآراء فمما لاشك فيه ان المرأة كالرجل تعيش اهدافها الايمانية والوطنية وهي تقدم ابناءها وزوجها لما آمنت به من مثل، وهذا يعني ان لا تفاوت بين الجنسين في التنازل عن المصالح الذاتية من اجل المصالح العليا. وقد افرزت الواقعة عن هذه القيمة العظيمة عند النساء أنفسهن فهؤلاء النساء اللائي خرجن مع الإمام الحسين عليه السلام في رحلته الطويلة انما كن يبغين أهدافاً عليا في نصرة الإمام وصيانة عقيدة الولاء ولم يكن

---

١ - المقرم ٣٢٤.

الإمام نفسه يمثل نفسه بالنسبة لهن بمعنى انه الأخ أو الزوج أبداً فحسب، بل ان الإمام كان يمثل القيادة والإمامة والشرعية ولهذا كان الدفاع عن الإمام دفاعاً عن الإسلام كله ودفاعاً عن مقدساته.

يقول الشيخ مرتضى مطهري: الشيء الوحيد الذي لا يمكن ان نراه مطلقاً في منطق الإمام الحسين عليه السلام هو منطق المنفعة والمصلحة الذاتية. فكربلاء كلها كانت سيراً إلى الله.[١]

وعادة في كل سفر نروم القيام به فلابد ان نبحث عن ادوات الراحة من خلال وسيلة السفر والمكان الذي نقصده والظروف المحيطة بالسفر. في حين ان هؤلاء النساء لما خرجن مع الإمام لم يسألن عن مفردات الراحة وقد تركن بيوتهن لنصرة الإمامة كما تركت السيدة زينب عليها السلام بيتها وزوجها المريض لنصرة الإمام. فهؤلاء خرجن في سفر صعب وشاق للغاية، فقد كان الجانب الأمني في هذا السفر مبهماً ولا يمكن تثبيته أبداً، فهو سفر محفوف بالمخاطر وإليه اشارت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السابقة التي تنذر بكارثة في نهاية المطاف. ثم هو سفر طويل في ظروف صعبة وحرجة. والغاية من هذا السفر هو نصرة الإمامة والدين.. وهو هدف كل البعد عن الغايات الذاتية المحددة.

على هذا لا نجد في قاموس الذين خرجوا مع الإمام من المدينة رجالاً ونساء هدفا واضحا سوى مصلحة الدين وحماية الإمامة لا أكثر. وبذلك ضربت هؤلاء النساء أعلى درجات التسامي في هذا الإيثار الكبير الذي خاب فيه الكثيرون. فالإمام عليه السلام كتب لبني هاشم وصية: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح[٢]. ورغم

---

١ ـ مطهري الملحمة الحسينية.

٢ ـ المقرم ص٦٦.

ذلك فقد خرج بهذا العدد القليل الذي شكلت فيه النساء الحضور الكبير.

وإذا أردنا ان نأخذ دلالات أخرى على هذه القيمة نجد ذلك في أمور:

١ . الأم تحث ولدها على الشهادة لنصرة الإمام

كما حصل مع ام وهب الكلبي..قال الراوي:

.. وبالغ وهب في الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال يا امّه أرضيت أم لا فقالت الأم ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين (عليه السلام)، وقالت امرأته بالله عليك لا تفجعني بنفسك فقالت له أمّه يا بنيّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيمة[1].

٢ . ام عمرو بن جنادة الانصاري

وجاء عمرو بن جنادة الانصاري بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك قال الغلام: إن أمي امرتني فأذن له فما أسرع أن قتل.[2]

٣ . دلهم تحث زوجها على الالتحاق بالحسين عليه السلام

فقالت له زوجته وهي دلهم بنت عمرو: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لا تأتيه؟ فلو اتيته فسمعت من كلامه، فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق، فانّي لا أحبّ ان يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لافديه بنفسي وأقيه بروحي ثمّ أعطاها ما لها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت

---

١ ـ السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص١٠٥.

٢ ـعبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٥٣.

كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك ان تـذكرني في القيمـة عنـد جـدّ الحسين عليـه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد منّي به.[١]

ولا توجد زوجة محبة لزوجها تدفع زوجها إلى هذا المنعطف الخطير وهي تعلم انه لا يعود أبداً، إلا إذا كان إيمانها عظيماً. وقـد اشـاع الامويـون سـابقا عـن مجـيء جـيش عظيم لمهاجمة الكوفة فكانت النساء تسحب أولادهنّ وأزواجهن من الشوارع وتعيدهم إلى البيوت!!.

وفي هذه القيمة تغيب الانا ونجد نكران الذات يتجلى في كثير مـن المواقـف فهـذه زينب عليها الـسلام تتـابع الإمـام في شـؤون الحـرب وتتفقـده وتتناسـى أو ربمـا تقـصي أمومتها فلا تسأل حتى عن اولادها الذين استشهدوا قبل الامـام! والامثلـة علـى ذلـك كثيرة.

هاء . القيم الانسانية والاخلاقية

وهي كثيرة أشير إلى البعض منها:

أـ قيمة الوفاء

١ - وتتجلى هذه القيمـة في بقـاء النـساء إلى جنـب الثـائر في أصـعب الظـروف، وتتضح الصورة أكثر حينما اعطى الإمام الرخصة لمن كـان معـه بـان يتخـذ هـذا الليـل جملا وينصرف في ليلة العاشر، وهنا نسمع تبـاري الانـصار في بيـان مواقـف الاسـتماتة وكانت النساء حاضرات سواء النساء اللائي جئن مع الإمام أو اللائي جئن مع اسرهن كأم وهب وأم عبد الله بن عمير الكلبي وغيرهن. فالكـل سمعـوا بالرخـصة لكـن احـداً لم ينصرف ولم نسمع أبداً أن هؤلاء النساء قد شجعن الرجال (الازواج والأبناء) على ترك الإمام بل العكس هو الصحيح.

---

١ - السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٧١ - ٧٣.

٢ – وتتجلى هذه القيمة أيضاً في وفاء السيدة زينب عليها السلام في عهودها مع الإمام في حفظ العيال وفي حفظ مظاهر العز إلى غير ذلك.

ب ـ قيمة استنكار الظلم

ولها أكثر من مورد خاصة وان استنكار الظلم الذي لحق بآل البيت نجده بوضوح بعد الواقعة في أمور منها:

١ . موقف نساء ربيعة ومضر من عمر ابن سعد في توليه الإمارة

جاء في المقتل:

وكان من صنع المختار انه استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر المارة إلى ان صاحب هذه الدار قاتل سيد شباب أهل الجنة، فضجر ابن سعد من ذلك وكلم المختار في رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسين البكاء عليه، ولما اراد أهل الكوفة ان يؤمروا عليهم عمر بن سعد بعد موت يزيد بن معاوية لينظروا في أمرهم جاءت نساء همدان وربيعة، إلى الجامع الأعظم صارخات يقلن ما رضي ابن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يتأمر فبكى الناس واعرضوا عنه.[1]

٢ – موقف النوار

ولما رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: اعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد اتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً فقال:

سلي تخبري عنّي وأنت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع

---

١ – مروج الذهب، ج٢ / ١٠٥ في اخبار يزيد.

الم آت اقصى ما كرهت ولم يخل علي غداة الروع ما انا صانع[١]

٣ - موقف العيوف

وكان منزل خولى الذي حمل رأس الحسين على بعد فرسخ من الكوفة فأخفى الرأس عن زوجته الانصارية لما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام الا أنها لما رأت من التنور نوراً راعها ذلك؛ إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين بأشجى ندبة، فحدثت زوجها وخرجت باكية ولم تكتحل ولم تتطيب حزناً على الحسين[٢].

٤ - موقف نساء المدينة لما جاء خبر استشهاد الامام عليه السلام

... وخرجت بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم يوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتمو عترتي أو كنتُمُ غيبا والحق عند وليِّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند الله مشفوع

ما كان عند غداة الطَّف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبكت من حضر ولم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.[٣]

وكانت أختها زينب تندب الحسين بأشجى ندبة وتقول:

---

١ - عبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢٥٠.

٢ - أنساب الاشراف للبلاذري، ج ٥، ص ٢٣٨.

٣ - امالي ، الشيخ الطوسي ص ٥٥، وسماها ابن شهراشوب في المناقب، ج ٢، ص ٢٢٧ اسماء.

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أنْ تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[1]

٥- امرأة من بني بكر بن وائل

لم نعرف اسمها وعرفنا عشيرتها وكانت مع زوجها في جيش عمر بن سعد يا للعجب!!. اذ روى حميد بن مسلم قال: رأيت أمرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام وفسطاطهنّ وهم يسلبونهنّ اخذت سيفاً واقبلت نحو الفسطاط وقالت يا آل بكر ابن وائل أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا حكم إلا الله يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذها زوجها وردّها إلى رحله.[2]

تُرى كيف صانت هذه المرأة ولاءها وزوجها على غير مذهبها؟ وكيف اعلنت صرختها غير خائفة ولا وجلة؟. لقد قالوا يوما ان المرأة على دين زوجها لكنها هنا اقوى من زوجها في ايمانها وقوة شخصيتها.

٦- موقف أُم عبد الله ابنة الحر...

روى الطبري، قال: ومكث الحسين عليه السلام طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره ان يتولى قتله وعظيم اثمه عليه قال: وان رجلاً يقال له مالك بن النسر من بني بداء أتاه وضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه فامتلأ البرنُس دماً، فقال له الحسين:

لا أكلت بها ولا شَرِبت، وحشرك الله مع الظالمين.

---

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٣٣٥.

٢ - اللهوف، ص ١٣٢.

قال: فألقى ذلك البُرنس ثمّ دعا بقلنسوة فلبسها واعتمّ وقد أعيا وبلّد، وجاء الكندي حتى أخذ البرنُس وكان من خزّ، فلمّا قدم به بعد ذلك على امرأته أُمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت الحسين بن الحرّ البدّي، أقبل يغسل البُرنس من الدمّ فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدخل بيتي؟! أخرجه عنِّي. فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً حتّى مات.[1]

٧- ما ظهر من مواقف السيدة زينب عليها السلام مع ابن زياد ويزيد

وكشاهد على ذلك في خطبتها امام اهل الكوفة:

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له ابرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ واي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

كذلك ماورد في خطبتها في قصر يزيد.

٨- موقف امرأة في قصر يزيد

قال الراوي: ثم جعلت امرأة من بين هاشم كانت في دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين (عليه السلام) وتنادي يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.[2]

٩- موقف نساء أُخريات لم يكنّ مواليات ولكن لم يدُرْ في خلدهن ان يزيد سيقوم بارتكاب هذه الجريمة البشعة كزوجة يزيد

قال الراوي: ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهي يسطع منه ودمه طري لم يجف ويشم منه رائحة طيبة دخلت المجلس

١ - العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ص ٤٤٥.

٢ - السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٧٩.

مهتوكة الحجاب وهي تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..[١]

ج ـ قيمة الصدق

فقد كان الاعلام الحسيني قائماً على الصدق وكان ذلك واضحا في كلمات النساء وفي خطبهن وفي ما اثرنه ضمن اجواء المصيبة عكس الرجال الأمويين الذين اعتمدوا الكذب والتزوير لتشويه الحقائق واخفائها ولكنهم فشلوا.

د ـ قيمة حفظ العز

١ – موقف السيدة زينب من الشامي الذي اراد فاطمة بنت الإمام جارية.

٢ – موقف السيدة زينب في أخذ الطعام من الصغار رغم جوعهم الشديد. جاء في المقتل: وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم كلثوم[٢]: إن الصدقة علينا حرام ثم رمت به إلى الأرض.[٣]

٣ – الاعتزاز بالشهادة

وهذا واضح من خطب النساء في الكوفة والشام وقول السيدة زينب عليها السلام لابن زياد ما رأيت إلا جميلاً، وغير ذلك.

هـ ـ قيم العطاء

وهي واحدة من سمات أهل البيت عليهم السلام، غير أنها في الواقعة تجلت في يوم عصيب يشيب الولدان أهمها كرم السيدة زينب عليها السلام مع بشير بن حذلم لما وصلوا المدينة.

---

١ – المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٥٦.

٢ – وفي كتاب: في رحاب السيدة زينب لمحمد بحر العلوم انها زينب الكبرى.

٣ – المقرم ص٣١٠.

قال ابن الأثير واصفاً العودة: «فخرج بهم (بشر) فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه. فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت علي لأختها زينب:

لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟

فقالت:

والله ما معنا ما نصله به إلا حُليّنا.

فأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بهما إليه واعتذرتا فرد الجميع وقال: لو كان الذي صنعتُ للدنيا لكان في هذا ما يُرضيني، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم».[1]

و ـ قيمة الإيثار والتضحية

وهذا يبدو واضحاً من خلال هجرة النساء مع الإمام مع كل مشقات السفر وفقدان الراحة والخطر المحدق ولنا ان نتصور أوضاع النساء في الخيام مع الأطفال وقد قطع الماء عن الجميع، وقد ضحت هؤلاء النساء بأولادهن وازواجهن واخواتهن في سبيل نصرة الإمام، وكانت كلمات الفخر بالشهادة هي الظاهرة على الشفاه اليابسة ولم يسجل التاريخ ان السيدة زينب سألت عن اولادها ابدا.

وتذكر الروايات ان امرأة واحدة استشهدت في الواقعة حيث منع الإمام عليه السلام النساء من القتال وهي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، الذي أخذ أسيراً وقتل صبراً، (فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك فقال الشمر لغلامه رستم:

---

١ ـ الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٨٨.

اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.[1]

كما استشهد أطفال كثير ومنهم الطفلة رقية التي استشهدت في الشام.

ز ـ قيمة الصبر

وهو احتمال المكاره من غير جزع ولعمري فالصبر من اكثر السجايا والقيم وضوحاً وظهوراً بالنسبة للنساء ويكفي انه رغم كل ما مر بهن من صعوبات وازمات ولكنهن بقين يكظمن الغيظ ويحبسن النفس عن الجزع ووضح هذا الأمر حتى من النساء العاديات جداً اللائي استشهد رجالهن أمامهن في المعركة ونقرأ في الزيارة:

«سلام على قلب زينب الصبور سلام على من تظافرت عليها المصائب والكروب وذاقت من النوائب ما تذوب منه القلوب».

وفاضت زينب بالصبر على من كان معها فهذا الامام زين العابدين يتزايد المه وحزنه وقلقه لمرأى تلك الاجساد الطاهرة على الرمضاء تصهرها حرارة الشمس وقد فرق بين الرؤوس والأبدان وغابت الأبدن تحت اكوام السهام والطعنات فقد جاء في المقتل:

وأما علي بن الحسين فانه لما نظر إلى أهله مجزرين وبينهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلك عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه زينب الكبرى بنت علي عليه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسليه وتصبره وهو الذي لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي فوالله ان هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه

---

١ ـ المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢٤١.

الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس اثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً».[١]

ولا أدري هنا كيف اصف ألموقف وكيف اُعبر أهل هو الثبات أم الصبر أم المواساة من أم المصائب وهي أمام المصائب كلها.

ها هو الامام السجاد يجود بألمه بعد مرضه وهذه زينب تجود بصبرها بعد اكوام الجراح. انها مؤشرات تعرّف بعظمة امرأة.

واو . قيم تكامل الشخصية

(وهي القيم التي تتعلق بشخصية الفرد وسلوكه وشعوره الداخلي الذي ينعكس في حركاته وتصرفاته).[٢]

وهذه القيم تتيح للشخص التعامل السليم مع الظروف المختلفة وتنعكس على سلوكه الخارجي. ومن البديهي أن الإعداد لها يتم منذ الصغر كيما يتم تنضيج الشخصية من خلال البناء السليم والمتوازن، وأهم هذه القيم:

أ ـ التكيف الذكي

ويعني القدرة على التأقلم مع الظروف المختلفة فضلاً عن الصعبة والحرجة والأزمات. وهذا التكيف (أو ما يعبر عنه احياناً بالتوافق الاجتماعي) يُجنب الإنسان الأمراض النفسية أو الانهيارات العصبية التي تطيح حالياً بالإنسان المعاصر نتيجة عدم

---

١ ـ المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٠٨.

٢ ـ د. احمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية.

قدرته على مواكبة التغييرات في الأوضاع والشؤون العامة والخاصة وهو مما يضاعف من نسبة الانتحار كتعبير سلبي عن عدم القدرة على التوافق. أما الذين يعيشون أهدافاً عليا وكبيرة ومهمة فيكون التكيف عندهم أسرع من حيث ان وجود الأهداف يخفف من حدة الصواعق التي يتعرض لها الفرد.

ولقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى الضغوطات ولأقسى أنواع العنف السياسي المتعدد لكنهن أثبتن مهارة عالية في التكيف مع الأوضاع الصعبة التي عاشتها وبخاصّة في السبي والأسر وفي قصر يزيد وابن زياد وخربة الشام وهذه المرونة العالية في التكيف والتأقلم مع سمو الأهداف ازاحت كل خوف أو قلق.

ويسهم البناء السليم للشخصية والتعود التدريجي على مواجهة الصعاب والمكاره مع عمق الإيمان بالله على التأقلم مع الظروف الصعبة والحوادث القاسية والتي غالباً ما تكون القاطع العرضي لخط الحياة الطولي. وهذا يسوقنا إلى بحث تربوي وهو ان التربية التي تقوم على الحماية الزائدة تقلل من قابلية التأقلم.

ب ـ التصميم والإرادة

وتعني قدرة الفرد على المضي في رأيه بكل قوة وحزم وصلابة وشجاعة وجرأة وثبات واصرار وبسالة وقدرة على مواجهة الصعوبات والاخطار.[1]

وهذا واضح منذ بداية مسير النساء مع الإمام انهن كن ذوات ارادة واضحة ولم يحُلْ منع المانعين للإمام عن حمل النساء من ارادتهن أو تصميمهن. ورغم كل الصعوبات فقد بقين على ثبات واحد وعدم تراجع أو تردد طوال المسيرة. والذي يتابع مسيرة النساء في المدينة والعودة إليها لا يجد موقفاً واحداً يدل على خوف أو ضعف أو تردد بل كانت الشجاعة كلها والثبات كله.

---

١ ـ نفس المصدر.

ج ـ الأمل بالمستقبل

ورغم كل ما تعرضن إليه فلم يجد اليأس إليهن سبيلاً، وهو ما كان يريده الأمويون من خلال تشديد العنف ضد النساء بكل أشكاله، ولكننا لا نجد صورة لليأس أبداً؛ اذ كان التفاؤل واضحاً في كلمات السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد:

فكد كيدك، واسع سعيك، فوالله لن تمحو ذكرنا أبداً..

وهذا أيضاً يأتي من الإيمان بالله وبالأهداف الرسالية العليا .

د ـ الثقة بالنفس

وتعني شعور الفرد بالتكامل الداخلي وبانه قادر على ان يعتمد على نفسه،[1] ومن خلال مسيرة النساء لم يظهر عليهن أي تردد أو خوف بل القوة والشجاعة كانت واضحة حتى عند أولئك النساء اللائي جئن مع ازواجهن إلى أرض الطفوف كأُم وهب.

وكانت حرائر أهل البيت عليهم السلام على ثقة كاملة بالله وبالنفس في انهن سيؤدين أدوارهن كاملة فتقدمن لالقاء الخطب والبيان كاشف عن هذه الثقة.

هـ ـ الجرأة الشخصية

وتعني شعور الفرد بالقدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وقبول التحدي والصعوبات والاسراع باقتراح المبادرات النابعة من قناعة وإرادة وتصميم بعيداً عن الهروب والانطوائية.[2]

ولعل في ايواء طوعة لسفير الحسين مسلم بن عقيل أكبر دليل على هذه القوة الإيجابية التي باتت في وقت تهاوى فيه ولدها وبقية الصناديد عن تقديم العون لمسلم خوفاً من العقاب الأموي.

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ نفس المصدر.

٤ - الدور الإعلامي

وهو من أهم الأدوار التي حملتها هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام وهو أيضاً أحد أهم الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام إلى اصطحاب نسائه وعياله إلى أرض المعركة، وقد كان للدور الإعلامي النسوي الأثر الكبير في نشر وقائع الثورة والتعريف بشخوصها، واستطاعت اقتحام مركز قوة العدو؛ لتميط اللثام عن الحقائق التي حاول النظام اخفاءها من خلال حملة التشويه التي قام بها ضد شخوص الثورة، والإعلام بان هؤلاء سبايا الترك والديلم، وان الذي قتل في كربلاء هو من الخوارج. ولولا هذا الدور العظيم لماتت الثورة وأهدافها كما ماتت الكثير من الأحداث المهمة التي شهدها التاريخ والتي يعود سبب الضياع الأصلي إلى عدم وجود من يتولى المسؤولية الإعلامية.

ويمكن القول: إن هذا الدور قد بدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام وقد استمر حتى وصول السبايا إلى الشام ومن ثم المدينة حيث اقيمت مجالس العزاء التي هي إحدى صور هذا الخطاب. غير ان البعض يرى ان هذا الخطاب مازال مستمرا إلى يومنا هذا وهو سيستمر حتى الظهور حيث تظهر فيه الأمور على حقائقها الناصعة[١].

واذ يعد الإعلام أحد أهم المؤسسات التربوية في المجتمع حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً في تشكيل الرأي العام أو توجيهه نحو مسار معين، ويسهم الإعلام الهادف أيضاً في القضاء على الشائعات والتي نجد لها صدى شعبياً واسعاً عند الناس ويعتمد في ذلك أسلوب بث المعلومات الصحيحة وتقديمه الأدلة والمستندات حول ما يعلنه أمام الملأ.

وقد اعتمد الأمويون سياسة الإعلام المضلل لتبرير استيلائهم على السلطة

---

١ - راجع محمد مهدي الآصفي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية للثورة الحسينية.

ولتبرير الكثير من الممارسات اللا أخلاقية التي قاموا بها في اضطهادهم للكثير من المؤمنين الموالين، بل وحتى سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر اعتمدوا في إبقائه كسنة ثابتة أيام حكمهم على ما بثوه من أحاديث كاذبة تنتقص من مكانة أمير المؤمنين عليه السلام – والعياذ بالله – وتمسح عنه كل فضيلة وكل آية تذكره بمدح عظيم. ويمكن القول ان كل الأحداث التي جرت بعد الواقعة وبعد استشهاد الإمام من ثورات ومن تنامٍ للحقد على الأمويين يعود بالدرجة الأولى إلى الدور الإعلامي الذي اظهر مظلومية أهل البيت عليهم السلام وبشاعة اعدائهم وهدّم منظومة القيم التي روجها الأمويون من خلال إعلامهم المضلل كالانهزامية والجبرية والسكوت عن ظلم الحاكم الجائر إلى غير ذلك.

ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاثة مقاطع زمنية متتابعة:

١ . المرحلة الأولى وتبدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام إلى أسر النساء وحمل السبايا إلى الكوفة وإلى مجلس عبيد الله بن زياد.

٢ . والمرحلة الثانية تبدأ منذ خروج هذه القافلة من الكوفة في رحلة المسير إلى الشام والى قصر يزيد.

٣ . والمرحلة الثالثة هي مرحلة عودة السبايا من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينة المنورة.

فهذا الدور الخطير يمر عبر هذه المراحل الثلاث المتتابعة زمنياً ومكانياً وهذه السعة والامتداد في الأماكن والأوقات هو الذي أسهم في تحقيق النجاح لهذا الدور.

كما ان الذين اشتركوا في هذا الخطاب المهم هم السبايا والأسرى الذين حملهم عمر بن سعد إلى قصر الطاغية في الكوفة ثم الشام. فحرائر بيت الوحي هن اللاتي حملن مسؤولية هذه المهام مع الإمام زين العابدين عليه السلام والذي كان مريضاً لا

يقوى على القتال ولكنه كان يقوى على تقديم الخطاب المطلوب. وعلى رأس الحرائر تأتي السيدة زينب عليها السلام لتكون صاحبة الثقل الأكبر في هذا الخطاب.. والمتأمل لهذه المراحل يرى انه لا توجد بينها فترات استراحة أو فترة هدنة مؤقتة بل يستمر الألم من مرحلة إلى مرحلة ولنا ان نتصور حال هؤلاء النساء في كل الأحداث الصعبة التي مرت بهن.

المرحلة الأولى

وتبدأ هذه المرحلة منذ استشهاد الإمام عليه السلام.. حيث كانت النساء في الخيام وقد علمن بمصرعه عليه السلام من خلال صوت الفرس الذي عاد باكياً، ومن ثم هجوم قوات العدو على معسكر الحسين عليه السلام فاحرقوا الخيام مما أدى إلى فرار النساء مذعورات خائفات من خيمة إلى خيمة حتى تم جمعهن فكنّ عشرين امرأة حملن إلى ابن زياد سبايا ضمن أربعين جملاً حملت العيال كلهم من النساء والأطفال مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

ويمكن عرض أهم محطات هذه المرحلة الإعلامية:

ألف ـ مجيء النساء إلى أرض المعركة بعد الاستشهاد

قال الراوي:

بعد ان سير ابن سعد الرؤوس الى الكوفة بقي هو ليدفن قتلاه تاركا سيد شباب اهل الجنة على الرمضاء، فقالت النسوة: بالله عليك إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين، ولما نظرن إليهم مقطعي الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن وصاحت زينب: يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهي تقبل منا هذا القربان.[1]

قالت السيدة كلمتها هذه أمام الجيش الذي كان يعيش فرحة الانتصار وتداعب مخيلاته صور العطايا التي سيحصل عليها من ابن زياد من مال وثروة وجاه وامارة للري مرجوة عند قائد الجند.. لكن الحوراء عليها السلام قوضت نشوة الانتصار هذه من خلال رسالتها الكلامية القصيرة فلم تجعل كلماتها همساً لا يسمعه أحد بل لابد للجميع ان يسمعوا ولا بد ان تُهَز ساعة الانتصار هذه بوخز الضمير فجاءت كلماتها حمما حارقة لاحلام النشوة. وربما أجاز عمر بن سعد المرور على مصارع القتلى؛ لأنه توقع انهيار عزائم النساء أمام الصورة المحزنة لمصرع الحسين عليه السلام وبانهن سيتهاوين أمام الجند الفرحين بحطام الدنيا وبهذا تتكامل نشوة الانتصار ويشعر بالفرح العظيم في انه اقترب من حلمه!. غير ان المشهد انقلب فكانت صلابة السيدة وصبرها وافتخارها بالشهادة قد كسر نشوة الانتصار المزيف وكان خطابها أمام الجند والذي ينقله صاحب اللهوف مضيفاً إليه قائلا:

فوالله لا أنسى زينب بنت عليّ عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا حسين مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتك سبايا إلى الله المشتكى والى محمد المصطفى والى علي المرتضى والى فاطمة الزهراء والى حمزة سيّد الشهداء واكرباه اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا وفي رواية: يا محمداه بناتك سبايا وذرّيّتك مقتّلة تسفى عليهم ريح الصبا وهذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء بأبي من اضحى عسكره في يوم

---

١ - المقرم ص٣٠٧

الاثنين نهبا بأبي من فسطاطه مقطّع العرى بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى بأبي من نفسي له الفداء بأبي المهموم حتّى قضى بأبي العطشان حتّى مضى بأبي من شيبته تقطر بالدماء بأبي من جدّه محمد المصطفى بأبي من جدّه رسول اله السماء بأبي من هو سبط نبيّ الهدى بأبي محمّد المصطفى بأبي خديجة الكبرى بأبي عليّ المرتضى عليه السلام بأبي فاطمة الزهراء سيّدة النساء بأبي من ردّت له الشمس صلّى. وقال الراوي: فابكت والله كلّ عدوّ وصديق...[1]

هذه الكلمات الملفعة بالحزن تنطلق كسيل جارف يذيب رعشات الانتصار المؤقت.. زينب عليها السلام بكل هذه الصلابة تقدم شكواها من هذه الأمة الباغية إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي يدعي الجميع طاعتهم له! وتنقل له صورة ريحانته المقطع الأوصال المحزوز الرأس المحترقة خيامه المنهوبة عياله.. شكوى عظيمة قدمتها السيدة أمام الملأ الغارق في الدنيا وهنا نخرج بخلاصة من الأمور كلها حول هذا الموقف:

١ـ ان ماحصل كان قد كسر نشوة الانتصار لدى الجند الذي سمع الملامة الأولى والتقريع الخالد قبل ان يسمع تبريك الفوز!.

٢ـ كلامها عليها السلام كان أمام المجرمين أنفسهم الذين قتلوا وذبحوا وأحرقوا وأسروا وهو بمنزلة وخز للضمير الميت الذي ربما لم يلتفت وقتها إلى ما قدّم لكن الأحداث التالية هزت مضجعه.

٣ـ كان كلامها أمام عمر بن سعد نفسه.. فقد جاء في المقتل:

وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه! فصاحت: أي عمر أيقتل ابو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه

---

١ ـ اللهوف، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

عنها ودموعه تسيل على لحيته.[١] وهو اول توبيخ لقائد الجيش الذي حقق انتصاره بقتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى وهو في فرحة ونشوة!! فلا بد إذاً من تقريع أولي على ما قدمت يداه فهو الملام الاول الذي كان حاضرا في ارض المعركة لتنفيذ أوامر اسياده ساحقا كل المقدسات! قال الراوي: فكأنّي أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته، وقال: وصرف بوجهه عنها.[٢] فلقد ذكّرته زينب عليها السلام بالرسول وبالحسين وبالمدينة التي تركها للفوز بولاية شبر من الدنيا!! لقد كانت كلماتها صفعة له أمام جنده. والموقف كان من الفجاعة والالم بحيث ان الإمام زين العابدين عليه السلام يشتد قلقه لما يرى جسد ابيه واخوته واعمامه بتلك الحالة..

باء ـ عند باب الكوفة

ثم تبدأ مسيرة القافلة الطويلة.. مسيرة الحزن والأسى من كربلاء باتجاه الكوفة ونساء بيت النبوة وحرائر الرسالة ومعهن الامام السجاد وابنه الباقر عليه السلام، وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الاصحاب وكنَّ عشرين امرأة، وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبي الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد علي بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة، ومعه ولده الباقر، وله سنتان وشهور،[٣] والجميع في وضع لا يحسدون عليه أبداً.. اركبوهن على الجمال بلا غطاء، ولا وطاء .. وهن النساء المرهقات اللائي لم تغفُ عيونهن ليلة الأمس ولم يشعرن بطعم

---

١ ـ الكامل، ابن الأثير ج ٤، ص ٣٢؛ و تاريخ الطبري ج ٦، ص ٢٥٩ طبع أول؛ ومقتل الحسين للمقرم، ص٢٨٤.

٢ ـ العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ص٤٤٧.

٣ ـ المقرم، ص ٣٠٥.

الراحة وكلهن مفجوعات حائرات يرثين الأحبة في القلوب فهذه ترثي ولدها وأخرى أباها وثالثة أخاها.. موكب حزين يسير مع القتلة والمجرمين الذين قتلوا الأحبة ومثّلوا باجسادهم حقداً عليهم!... وهم يسيرون ما بين ضرب السياط وشماتة الأعداء!!. (واخذ زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.[1]).

لله.. هؤلاء السبايا!!

ويصل الموكب الحزين إلى الكوفة، وقد تجمع الناس من كل حدب وصوب بعد ان أعلن ابن زياد انهم سيأتون برأس الخارجي الذي خرج على ابن زياد.. ولنا ان نتصور الموقف فهذه زينب عليها السلام تعود إلى الكوفة التي كان ابوها حاكما لها وكانت لها فيها مجالسها الثقافية مع نساء المدينة.. وإذا بها تدخلها اليوم أسيرة مغلولة الايدي مع جمع من النساء المسبيات وليس لهن حول ولا قوة.. وقد جاء الناس من كل حدب وصوب لرؤية اسرى الترك كما اعلن ابن زياد.. وهذا الجمهور المستغرق في التيه قاده الفضول إلى بوابة الكوفة ليطالع السبايا والرؤوس.. كأي حالة تستهوي الناس وتدفعهم للنظر والتطلع. وكان ابن زياد قد نشر إعلامه المضلل الذي يتحدث عن انتصاره وفرحه لقتل الخارجي الذي خرج على ابن زياد ويزيد.. وكانت الناس لا تدري من هو الخارجي بدليل ما جاء في مقتل الحسين للمقرم (وأشرفت عليهن امرأة من الكوفيات ورأتهن على تلك الحال التي تشجي العدو الألد فقالت: من أي الأسارى أنتم؟ قلن: نحن أسارى آل محمد!!).[2]

الناس إذاً مجتمعون يدفعهم الفضول للنظر والتطلع. وموكب نساء أهل بيت

---

١ - المقرم، ص ٣٠٩.

٢ - ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٤٥.

النبوة موكب حزين مفجع تتقدمه الرؤوس الشريفة وتعلو الصفرة وجوه الصغار ويكاد يطيح الإرهاق بنفوس الجميع لكنه رغم كل هذه الاوجاع موكب يعرّف بشمائل الاسرى من خلال معالم الهيبة والوقار التي جللتهم.

وابتدأت السيدة زينب عليها السلام خطابها العظيم، إذ يقول المقرم في مقتل الحسين: ولقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام للناس خبث ابن زياد ولؤمه في خطبتها بعد أن أومأت زينب عليها السلام إلى ذلك الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنّ على رؤوسهم الطير وليس في وسع العدد الكثير ان يسكن ذلك اللغط أو يردَّ تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدي الذي جلّل «عقيلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوي: لما اومأت زينب ابنة علي عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية.[1]

[فكانت خطبتها العظيمة] فقالت صلوات الله عليها:

الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف[2] والعجب والكذب والشنف[3] وملق الاماء[4]، وغمز الأعداء[5]، أو كمرعى على

---

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣١٠ - ٣١١.

٢ - الصلف بفتحتين: الذي يتمدح بما ليس عنده، والنطف القذف بالفجور.

٣ - الشنف: المبغض بغير حق.

٤ - الملق: التذلل.

٥ - الغمز: الطعن بالشر.

دمنة[١]، أو كقصعة على ملحودة[٢] ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

اتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له ابرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ واي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

ولقد أتيتم بها خرقاء. شوهاء. كطلاع الأرض وملء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل، فانه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربكم لبالمرصاد[٣].

وهنا أمر على الهيبة الزينبية فهي (ما ان أومأت إلى الناس ان اسكتوا) فسكتوا.. يا للعظمة مجرد ايماءة! فلم تطلب منهم بلسانها بل بمجرد ايماءة!! وكان سكوتهم عظيماً

١ - الغرض التعريف بان الدمنة وان زها ظاهرها بالنبت الا انه لا يفيد الحيوان قوة لأنها مجمع الأوساخ والكثافات السامة القاتلة فنتاج الدمنة لا يكون طيباً.

٢ - (قصعة) بالقاف المثناة والصاد المهملة : وهي الجص تتناسب مع الملحودة التي هي القبر.

٣ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣١١ - ٣١٢.

(فسكنت الأنفاس والأجراس!!) وحينما نمر على الموكب الحسيني أمام بوابة الكوفة وقد اجتمع الناس من كل حدب وصوب للتفرّج عليهم. فان ثقل الفاجعة سيكون عظيما محبطا شديد الاحباط ومخرسا للجميع. وكثيرا مايكون من عوامل الخرس هو الازدحام الجماهيري وبخاصة ان النفوس مرهقة مستغرقة في شجون تهد الجبال هداً. في هذه المحنة القاسية تنبري السيدة إلى تقريع الناس ولومهم على تخاذلهم ونقضهم للعهود وجبنهم عن نصرة الامام الذي دعوه للثورة وكان الناس يومها احوج ما يكونون لهذا العتاب الساخن كي يستيقظوا.. فما يكفي ان يعرفوا ان هذا الرأس المرفوع على السنان هو رأس ابن بنت المصطفى وسيد شباب أهل الجنة؛ اذ لابد من ان تهتز الضمائر وتتحرك الآهات وتعاد بلورة الحزن وتحويله إلى حزن فاعل مثمر للثورات فيما بعد. لقد كانت خطبة السيدة زينب أمام جمهور الكوفة أول تعليق رسمي يصدر عن لسان أهل البيت عن الفاجعة ثم كانت خطبة السيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام وخطبة أم كلثوم ثم خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام. وقد تميزت خطبة السيدة زينب عليها السلام بالقصر ولكنها حوت على معانٍ جليلة أهمها:

١ . العتاب مع الموالين المتخلفين عن النصرة (ويلكم يا أهل الكوفة).

٢ . بيان مقام الإمام الحسين عليه السلام (وانّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة).

٣ . تعزيز الشعور بالاثم (فلقد ذهبتم بعارها وشنارها)، (فتعسا ونكسا وبعداً لكم وسحقا).

٤ . التذكير بالآخرة والعذاب المنتظر (ولعذاب الآخرة أخزى).

وسيأتينا شرح الخطبة الكاملة في نهاية الكتاب ونفس هذه الميزات الأربع كانت في الخطب التالية التي القيت في الكوفة.

نعم القت السيدة حمماً حارقة على أهل الكوفة في أول لقاء جماهيري، فاحترقت القلوب واكتوت بنار المصيبة حتى استطاعت تلك النار ان تذيب ركام الاثم الذي سببه تخلفهم وتقاعسهم عن نصرة الإمام عليه السلام فانطلقت الثورات جارفة لكل القتلة إلى محط اللعن الأبدي.

وتكرار الخطب يعني تكرار اللوم والتقريع ويعني تكرار عرض الحقائق فالذي فاتته الخطبة الأولى سيهتز عند الثانية والذي فاتته الثانية لابد من ان ينحدر باكياً عند الثالثة.. ثم ان هذه الخطبة كانت نموذجاً لخطاب سياسي بليغ ومؤثر ويسلط الضوء على المطلوب في العملية الإعلامية وهذا واضح من تأثيره على المتلقي الذي شعر بالانهيار أمام الحقائق المعلنة، ثم ان التكرار هو أحد أساليب تغيير البرمجة الفكرية والعقلية ولا ننسى أبداً ان هذه الخطب جاءت من قلوب مفجوعة فاستقرت في قلوب بدأت تتفجع للمأساة.

ويمكن استقراء النتائج الأولية لخطب النساء في ما اورده صاحب اللهوف حيث يصف تفاعل الناس مع خطبة السيدة زينب عليها السلام:

قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول بأبي أنتم وأمّي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزى.[1]

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأُؤمن به وأتوكل عليه، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده

١ - السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٤٨ - ١٤٩.

ورسوله. وان أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

اللهم اني اعوذ بك أن افتري عليك، وان أقول عليك خلاف ما انزلت من اخذ العهود والوصية لعلي بن أبي طالب المغلوب حقه المقتول من غير ذنب «كما قتل ولده بالامس» في بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فانا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا. فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق الله تفضيلاً.

فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد مقتدم، قرت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونَّكم أنفسكم إلى الجدل بما اصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فان ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة «في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور».

تباً لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل بكم وتواترت من

السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم. اتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟ وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم، وطبع الله على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم وسوَّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تباً لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله قِبلَكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وبنيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم.

نحن قتلنا علياً وبني علي ... بسيوف هنديَّة ورماح

وسبينا نساءهم سبي ترك ... ونطحناهُمُ فأيّ نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب[1] افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فاكظم واقْعَ كما أقعى أبوك فانما لكل امرىء ما اكتسب. وما قدمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

يقول الراوي: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا: حسبك يا ابنة

---

١ ـ في تاج العروس: الاثلب بكسر الهمزة واللام وفتحهما والفتح أكثر الحجر وقيل دقائق الحجارة، وقال شمر الاثلب بلغة الحجاز الحجارة وبلغة تميم التراب وهو دعاء! وفي الحديث: الولد للفراش وللعاهر الاثلب وفيه ص ٦٤٠: الكثكث كجعفر وزبرج دقائق التراب ويقال: التراب عامة يقال بفيه الكثكث أي التراب.

الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت.[١]

وقالت أُم كلثوم:

صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم. فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواهٍ دهتكم واي وزر على ظهوركم حملتم. وأي دماء سفكتم وأي كريمة أصبتموها وأي صبية أسلمتموها وأي أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبي ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.[٢]

وعن خطبة أم كلثوم:

قال الراوي: فضج الناس بالبكاء والنّوح ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكية وباك أكثر من ذلك اليوم.[٣]

جيم ـ في مجلس ابن زياد

حيث كانت أوامره بان تدخل السبايا مع الرؤوس إلى مجلسه العام!. نوعاً من التشفي بمصائب أهل البيت ونوعاً من بيان حقدهم عليهم واستخفافهم بكل ما هو مقدس، بل هو نوع من استعراض العضلة الأموية أمام هذا الركب الذي يقوده مريض

١ ـ المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٠٥.

٢ ـ المقرم، ص ٣١٦.

٣ ـ نفس المصدر، ص ١٥٦.

عاجز عن حمل السلاح! قال الراوي:

لما رجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل قصر الامارة ووضع امامه الرأس المقدس أذن للناس إذناً عاما وأمر بادخال السبايا مجلسه فادخلت عليه حرم رسول الله بحالة تقشعر لها الجلود.

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهي متنكرة لكن جلال النبوة وبهاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟

قيل له: أبنة أمير المؤمنين «زينب العقيلة».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت عليها السلام:

الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا، انما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام:

ما رأيت إلا جميلا.[١]

ويمكن ان نفهم تداعيات الموقف من خلال ما جرى فيما بعد في الكوفة نفسها، فقد جاء في المقتل:

ولما وضح لابن زياد ولولة الناس ولغط أهل المجلس خصوصاً لما تكلمت معه زينب العقيلة خاف هياج الناس فأمر الشرطة بحبس الأسارى في دار إلى جنب المسجد

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

الأعظم قال حاجب ابن زياد: كنت معهم حين أمر بهم إلى السجن فرأيت الرجال والنساء مجتمعين يبكون ويلطمون وجوههم.[١]

وقد هاجم ابن زياد عدداً من الموالين معلنين بذلك عن استنكارهم لعمله كما في موقف زيد بن الأرقم وموقف ابن عفيف الازدي وجندب بن عبد الله الازدي رحمهم الله.

وبعد كل الذي حصل خاف ابن زياد على حكومته وعلى نفسه فأمر بارسال السبايا إلى الشام مع الرؤوس وارتجت الكوفة كلها لتوديع أهل البيت عليهم السلام (وعجت نساء همدان بالبكاء)[٢] وضجّ الناس بالبكاء عندما غادر موكب أهل البيت

---

١ – المقرم، ٣٢٦.

٢ – حياة الإمام الحسين للشيخ باقر القرشي، ج٣، ص ٣٦٨.

يعلق الشيخ الآصفي على ذلك بالقول: ان الذي حدث لها ولأهل بيتها حَدَثَ بعلم الله وسلطانه فقد كان الله يعلم بما يحدث في كربلاء، وكان قادراً على أن يحول بينهم وبين ما صنعوا بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى جميل، رؤوف بعباده، ولو كان الذي حدث لآل البيت يضرّ بهم، لحال الله تعالى بينهم وبين ما يريدون، وكان الله تعالى على ذلك قديراً، ولم يخرج الطاغية في بطشه وفتكه عن قبضة سلطان الله تعالى.

ولكن الله تعالى جعل ابتلاء المؤمنين بالخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس والثمرات طريقاً إلى رضوانه وصلواته ورحمته... وقد جعل الله تعالى أهل البيت على طريق رضوانه ورحمته وصلواته: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

ولن يسلك الإنسان الطريق إلى رضوان الله ورحمته إلا من خلال هذه الضرّاء والبأساء، وما يصيب الإنسان في أزمات الابتلاء من زلزال في النفوس ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

إنّ هذه الهزّات والزلازل التي تصيب المؤمنين وهذه البأساء والضرّاء والقتل هو السبيل السالك إلى رضوان الله ورحمته، وهذه مشيئة الله تعالى، وليس في مشيئة الله إلا الجميل.

والسيدة زينب (عليها السلام) تدرك هذه البصائر من كتاب الله، وتعرف أن أخاها وأهل بيتها خرجوا ←

عليهم السلام الكوفة مغلولين، قد أوثقوا بالحبال بحالة تقشعر من ذكرها الأبدان، وترتعد مفاصل الإنسان بل الحيوان، كما يقول الفاخوري.[1]

وكان علي بن الحسين عليهما السلام يقول:

«تنوحون وتبكون فمن الذي قتلنا».[2]

ويذكر الشيخ الصدوق في الأمالي عن حاجب الطاغية: (ان الطاغية بعدما سمع اعتراض الناس ورأى سخطهم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغل وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا في سجن وطبق عليها).[3]

وتسير قافلة الحسين عليه السلام إلى الشام في صورة محزنة وكان العتاة والقتلة

← يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقد قدّر الله تعالى وكتب لهم القتل، فبرزوا إلى مصارعهم بأمر من الله تعالى ورضاه وابتغاء لمرضاته، فلا ترى فيما أراد الله تعالى به وبها وبأهل بيتها إلا الجميل. وهي مطمئنة إلى ذلك، واثقة بذلك، فتقول وبكل ثقة واطمئنان في جواب الطاغية: «ما رأيت إلا جميلا» ولكن أنّى يدرك الطاغية البليد هذا الجمال.

وبهذه البصيرة الصافية النفّاذة تتجاوز عواطفها وآلامها وتتقبل المصاب الفجيع بسكون واطمئنان وقوّة وثقة بالله تعالى. وهي تعلم ان الله تعالى سوف يجمع بين أخيها الإمام الشهيد (عليه السلام) وبين الطاغية الذي اسكرته نشوة النصر ومصرع الطيبين من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهناك ينقلب الحال، ويخزى الطاغية ومن أمّره، ويفلح الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

فتقول له، وهو في نشوة النصر، وسكرة الغرور: «وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن يكون النصر يؤمئذٍ».

١ ـ الآصفي الخطاب الحسيني نقلا عن تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام: ٨٤.

٢ ـ المقرم نقلاً عن تحفة الانام من مختصر تاريخ الإسلام، ص ٨٤.

٣ ـ آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية للثورة الحسينية، ص ٩١.

معهم وكلما دمعت عين واحد منهم ضربوه بالرمح كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وسنمر على الموضوع في تفصيل أكثر في حادثة السبي.

لقد منعوا الإمام الحسين من دخول الكوفة كي لا تحصل ثورته فيها وأبعدوه إلى صحراء كربلاء حيث لا ناس هناك ينصرونه ولا مكان لبيوت أو منازل آهلة فيهبون لنجدته وتقديم العون إليه وبذلك تكون ثورته عقيمة ميتة لكن النساء نقلن الثورة إلى الكوفة كلها وبعدها إلى الشام كله والى كل المدن التي كانت في المسير ونجحن في هذا المشروع الكبير كما سيأتينا.

المرحلة الثانية من الدور الإعلامي

وهي تبتدئ منذ وصول السبايا إلى الشام وتستمر حتى خروجهم منها في مدّة قصيرة ربما هي ثلاثة ايام لكن ثقلها في المنظومة الحسينية كان عظيماً.

فلقد كان يزيد على أحرّ من الجمر لرؤية هذا السبي النبوي الذي يسيح جراحاً، وليسترجع الشعور بالنشوة والتعويض عن عقدة الحقارة التي استقرت في الظل الباطن للامويين على مدى عقود طويلة ولهذا استعد يزيد أكثر من استعداد ابن زياد لإقامة الاحتفال الكبير الذي انتظره طويلا.

وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق فأوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور ودنا رجل من «سكينة» وقال: من أي السبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

وقد دخلوا مجلس يزيد في حالة مؤلمة للغاية فقد أوثقوهم بالحبال فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينب وام كلثوم وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلما قصروا عن المشي ضربوهم حتى اوقفوهم بين يدي يزيد وهو على سريره فقال علي بن الحسين عليه السلام: ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذا

---

١ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٤٨.

الحال؟ فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت.[1]

ويمكن مراجعة المقتل الحسيني ليكون هناك اطلاع عن كثب على حال السبايا لما دخلن المجلس وعن فرح يزيد وشماتته بهن واظهار حقده الدفين على أهل البيت عليهم السلام.

ثم كانت خطبة السيدة في المجلس:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول:

﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.[2]

اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ان بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، انسيت قول الله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.[3]

أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وابديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الاعداء من

---

١ – نفس المصدر السابق، ص ٣٥٠.

٢ – سورة الروم، الآية ١٠.

٣ – سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

بلد الى بلد ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمي ولا من رجالهنَّ ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلَّوا واستهلَّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردنَّ وشيكا موردهم ولتودَّنَ انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردنَّ على رسول الله صلى عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمُّ شعثهم، ويأخذ بحقهم

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.[1]

وحسبك بالله حاكما، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيما، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوَّل لك ومكَّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وايكم شر مكاناً، واضعف جنداً.

ولئن جرَّت علي الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك واستعظم

---

١ - سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفرها امهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما، لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربُّك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعول.

فكدْ كيدك، واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فندٌ وأيامك إلا عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وقد اشتد الموقف في الشام كما حصل في الكوفة بعد خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام وخطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد.. فقد احدثت هذه الخطبة هزة في مجلس يزيد (وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذي غمرهم وانهم في أي واد يعمهون)، فلم ير يزيد مناصاً إلا ان يخرج الحرم من المجلس إلى خربة لا تكنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام[1] ثلاثة أيام.[2]

وفي بعض الأيام خرج السجاد عليه السلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: أمسينا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر على العجم

---

١ ـ تاريخ الطبري، ج١، ص ٢٦٦؛ والبداية لابن كثير ج٨، ص ١٩٥.

٢ ـ اللهوف ص ٢٠٧.

بان محمداً منها، وامست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فانا لله وانّا إليه راجعون.[١]

قال المنهال: وبينما يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى اين يا نعم الخلف؟ فتركني واسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب.[٢]

محطات من خطاب السيدة زينب عليها السلام في قصر يزيد

لقد كان خطاب السيدة زينب عليها السلام خطاب احتجاج امام الحكومة الاموية وعلى رأسها حاكمها فهو اذاً خطاب احتجاج واعتراض وتأنيب وتذكير بالوعد الالهي وأهم محطاته:

١ . التذكير بأن الكرامة الإلهية لا تقاس بالمظاهر الخارجية التي كانت موجودة فشتان ما بين سبي النساء وسوقهن من بلد إلى بلد مع الرؤوس وبين ما كان عليه يزيد من نعيم وملك.

٢ . التذكير بقيم صيانة المرأة التي ما زال المجتمع حتى تلك الساعة يعتز بها ويحافظ عليها (تخديرك حرائرك وإماءك...). وهذا الأمر حينما يصدر من المرأة المتعرضة للحادث يكون اشد تأثيراً فكيف وان الاحتجاج انطلق من عقيلة الهاشميين للخليفة يزيد وأمام الملأ؟.

٣ . بيان مكانة أهل البيت عليهم السلام، اذ تقول:

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب.

---

١ - المقرم ص٣٦٠

٢ - المقرم ص٣٦٠.

٤ . التأكيد على الانتصار الحتمي لأهل البيت (فكد كيدك...) وهذا يعرّف بمقدار الأمل العظيم الذي كان عند النفوس المعذبة، وبمقدار يقينها ووعيها بأهدافها ورسالتها.

ومن البديهي ان خطبة السيدة زينب عليها السلام وخطبة الإمام زين العابدين عليه السلام كانتا بمنزلة الكشف الواعي عن المخطط الأموي كله في ساحة تكنّ العداء لأهل البيت عليهم السلام، وكانت فرحة بانتصار الخليفة على من خرج على سلطانه وظلمه، ولكن النتائج جاءت معاكسة لذلك فاهتزت الشام.. ولقد احدثت خطبة العقيلة زينب هزة في مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذي غمرهم ..

وقد استنكر عمله المقربون له منذ بداية دخول السبايا إلى مجلسه واستنكر الحاضرون في المجلس وقال ابو برزة الأسلمي: اشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: انتما سيدا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلكما ولعنه واعد له جهنم وساءت مصيراً فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً.[١]

وقال يحي بن الحكم بن ابي العاص اخو مروان وكان جالساً عنده:

لَهامٍ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن ... زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أم لك.[٢]

والتفت رسول قيصر إلى يزيد وقال: إن عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى ونحن نحج إليه في كل عام من الاقطار ونهدي إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم

---

١ ـ نفس المصدر، ص٣٥٥.

٢ ـ تاريخ الطبري ج١، ص ٢٦٥؛ وكامل ابن الأثير ج٤ص٣٧.

فأشهد انكم على باطل[١] فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله فقام إلى الرأس وقبَّله وتشهد الشهادتين وعند قتله سمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً «لا حول ولا قوة إلا بالله».[٢]

ثم جعلت امرأة من بين هاشم كانت في دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين (عليه السلام) وتنادي يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمداه يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.[٣] ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهي يسطع منه ودمه طري لم يجف ويشم منه رائحة طيبة دخلت المجلس مهتوكة الحجاب وهي تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..[٤]

وكان من أشد الناس انكاراً له ولده معاوية. فأخذ يزيد يثوب إلى عقله عندما أكثروا عتابه ولومه، وتكرر عليه انكار الناس، وقد ذكروا أن مروان كان يومئذٍ بالشام، فقال ليزيد – وهو يرى تردي الحالة الاجتماعية والسياسية وتصاعد انكار المسلمين على بني أمية –: (لا يصلح لك توقف أهل بيت الحسين عليه السلام في الشام فأعدّ لهم الجهاز، وابعث بهم إلى الحجاز).[٥]

وشعر يزيد بالندم فقال: ما كان عليّ لو احتملت الأذى وانزلته – أي الحسين – معي في داري، وكلمته فيما يريد. لعن الله ابن مرجانة، فقد بغّض بقتله إليّ المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغّضني إلى البرّ والفاجر بما استعظم الناس في قتلي حسيناً،

١ – المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٥٥.

٢ – المصدر نفسه ص٣٥٠.

٣ – السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٧٩.

٤ – المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٥٦.

٥ – الآصفي، آية الله الشيخ محمد مهدي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية، للثورة الحسينية، ص ١١٤.

مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه.[١]

ثم اقام مجالس العزاء في الشام وأفرد يزيد لأهل البيت عليهم السلام، داراً قريبة من قصوره (دار الحجارة) وأذن لهم بإقامة العزاء والنياحة على الحسين عليه السلام، من بعد ما كان ذلك محظوراً عليهم. فأقمن المأتم على الحسين سبعة أيام، وكان يجتمع عندهنّ كل يوم جماعة كثيرة لا تحصى من النساء.[٢] فلم تبق هاشمية، ولا قرشيّة إلا لبست السواد حزناً على الحسين عليه السلام.[٣]

وأيضاً روى المفيد في الإرشاد: إن الطاغية أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة معهن أخوهنّ علي بن الحسين، فأفرد له داراً يتصل بدار يزيد فأقاموا أيّاماً[٤].

وأقمن المآتم عليه ثلاثة أيام.[٥]

وروى سبط ابن الجوزي في التذكرة قال:

قال الزهري: لما دخلت نساء الحسين عليه السلام وبناته على نساء يزيد قمن إليهن، وصحن، وبكين، وأقمن المآتم على الحسين عليه السلام.

وقال الشعبي: لما دخل نساء الحسين عليه السلام على نساء يزيد قلن:

واحسيناه، فسمعهنّ يزيد، فقال:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون الموت على النوائح[٦]

---

١ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني نقلاً عن تاريخ الطبري: ١٩/٧؛ وابن الأثير: ٣٠٠/٣.

٢ ـ نفس المهموم: ٤٥١ عن كامل البهائي: ٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢.

٣ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني، ص ١١٥.

٤ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني، نقلاً عن الإرشاد للمفيد: ٢٣١.

٥ ـ نفس المصدر عن جلاء العيون لسيد شبر: ٢٦٤/٢.

٦ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني نقلاً عن تذكرة الخواص: ١٥٠.

وكانت نتائج ذلك كله ان يزيد أمر بارجاع السبايا إلى المدينة.. لما خشى الفتنة وانقلاب الأمر عليه عجل باخراج السجاد والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم، ومكّنهم مما يريدون وأمر النعمان بن بشير وجماعة معه أن يسيروا معهم إلى المدينة مع الرفق.[1]

المرحلة الثالثة من الدور الإعلامي

وساحتها المدينة المنورة ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

١ - القسم الأول يتحدث عن الدور الإعلامي المحدود قبل وصول السبايا

٢ - القسم الثاني يتحدث عن الدور الإعلامي بعد وصول السبايا وعودة الركب الحسيني إلى المدينة.

ألف ـ القسم الأول

وحيث اراد ابن زياد ان يعلن (انتصاره) في المدينة فقد ارسل إليها من يخبرها بما جرى على الحسين عليه السلام وآل بيته قال الراوي: وكانت نساؤه وعياله سبايا فارسل ابن زياد عبد الملك بن الحارث السلمي إلى المدينة ليبشر عمرو بن سعيد الاشدق بقتل الحسين فاعتذر بالمرض فلم يقبل منه وكان ابن زياد شديد الوطأة «لا يصطلى بناره» وأمره أن يجدَّ السير فان قامت به الراحلة يشتري غيرها ولا يسبقه الخبر من غيره فسار مجدًّاً حتى إذا وصل المدينة لقيه رجل من قريش وسأله عما عنده فقال له: الخبر عند الأمير ولما أعلم ابن سعيد بقتل الحسين فرح واهتز بشراً وشماتة.

وأمر المنادي أن يعلن بقتله في ازقة المدينة فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على سيد شباب أهل الجنة واتصلت الصيحة بدار «الاشدق» فضحك وتمثل بقول عمرو بن معد يكرب:

---

٦ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٦١.

عجَّــت نــساء بــني زيــاد عجَّــة كعجــيج نــسوتنا غــداة الأرنــب

ثم قال: واعية بواعية عثمان.[١]

وقد سمي بالاشدق لأنه اصابه اعوجاج في حلقه إلى الجانب الآخر لاغراقه في شتم علي بن ابي طالب عليه السلام[٢]، وكانت ردود الفعل ان المدينة اهتزت بالأمر فخرجت بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

مـاذا تقولـون إن قـال النبـي لكـم يوم الحساب وصدق القـول مسموع

خــذلتمو عتــرتي أو كنتُــمُ غيبــا والحــق عنــد وليِّ الأمــر مجمــوع

اسـلمتموهم بأيـدي الظالميــن فمـا مـنكم لـه اليـوم عنـد الله مـشفوع

ما كان عنـد غـداة الطَّف إذ حضروا تــلك المنايــا ولا عنهــنَّ مدفــوع

فأبكت من حضر ولم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.[٣]

وكانت أختها زينب عليها السلام تندب الحسين عليه السلام وتقول:

مـاذا تقـولـون إذ قـال الـنبي لكـم مـاذا فعلتــم وأنتــم آخــر الأمــم

بعتــرتي وبــأهلي بعــد مفتقــدي منهـم أسارى ومنهـم ضـرّجوا بـدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكـم أنْ تخلفوني بسوء في ذوي رحمـي[٤]

---

١ – المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٣٤.

٢ – المقرم، مقتل الحسين عليه السلام نقلاً عن معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٣١.

٣ – أمالي الشيخ الطوسي ص ٥٥.

٤ – المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٣٣٥.

فأجابها ابو الأسود، وهو غارق في البكاء والشجون:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[١]

وأخذ يقول:

أقول، وزادني حنقاً وغيظا	أزال الله ملك بني زياد
وابعدهم، كما بعدوا وخانوا	كما بعدت ثمود وقوم عاد
ولا رجعت ركائبهم إليهم	إذا وقفت بهم يوم التناد[٢]

وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين العزاء على الحسين عليه السلام، وكانت نساء بني هاشم يجتمعن عندها للعزاء والنياحة.[٣]

باء ـ القسم الثاني

إنّ الدور الإعلامي في المدينة يبدأ مع عودة السبايا حيث اقيمت مجالس الحداد والعزاء باشراف أهل البيت أنفسهم.

وكان للحالة الأولى من وصول الخبر إلى المدينة أثره الكبير في تهيئة الأرضية لما جرى من حوادث في القسم الثاني. فقد علم أهل المدينة بما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته واقاموا مجالس العزاء.. روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: أن عبد الله بن عباس كان في الحرم، إذ أسرّ إليه شخص بالحادث المفجع في العراق فذعر، واجهش بالبكاء. فسأله محمد بن عبد الله: ما حدث يا أبا العباس؟

قال: مصيبة عظيمة نحتسبها عند الله، وارتفع صوته بالبكاء، وانصرف إلى

---

١ ـ سورة الأعراف، الآية ٢٣.

٢ ـ حياة الإمام الحسين للقرشي: ٤١٩/٣.

٣ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني.

منزله، واقام في منزله مأتماً على الحسين عليه السلام واقبل الناس يعزّونه بمصيبة الحسين.[١]

وكذلك عبد الله بن جعفر فقال ابن جرير: لما ورد نعي الحسين جلس عبد الله ابن جعفر للعزاء وأقبل الناس يعزونه فقال مولاه (ابو اللسلاس)[٢]: هذا ما لقيناه من الحسين!! فحذفه بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول ذلك؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى اقتل معه، والله انه لمما يسخى بنفسي عن ولديَّ ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ علي المصاب بمصرع الحسين أن لا أكون واسيته بنفسي، فلقد واساه ولداي[٣]..

وهذا قد مهد لأن يكون هناك تجمع حاشد لأهل المدينة ما ان سمعوا بمقدم الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة.. يقول الراوي: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة قال بشير بن حذلم فلمّا قربنا منها نزل عليّ بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله اباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ فقال بلى يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّي لشاعر فقال عليه السلام ادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام، قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة فلمّا بلغت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء وانشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدار

---

١ – الآصفي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية للثورة الحسينية، نقلاً عن تاريخ ابن عساكر: ٨٦/١٣.

٢ – في الإرشاد للشيخ المفيد وكشف الغمة للاربلي ص ١٩٤: ابو السلاسل.

٣ – تاريخ الطبري ج٦، ص ٢١٨.

قال ثمّ قلت هذا عليّ بن الحسين عليه السلام مع عمّاته واخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسول إليكم اعرّفكم مكانه، قال فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهنّ مخمّشة وجوههنّ ضاربات خدودهنّ يدعون بالويل والثّبور فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدي ناع نعاه فاوجعا	وأمرضني ناع نعاه فأفجعا
فعينيّ جوداً بالدموع واسكبا	وجودا بدمع بعد دمعكما معاً
على من دهى عرش الجليل فزعزعا	فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبيّ الله وابن وصيّه	وإن كان عنّا شاحط الدّار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جدّدت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل فمن أنت رحمك الله؟ فقلت أنا بشير بن حذلم وجّهني مولاي عليّ بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله عليه السلام ونسائه قال: فتركوني مكاني فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب الناس حتّى قربت من باب الفسطاط وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخلا فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسيّ فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجواري والناس يعزّونه من كلّ ناحية فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة.[1]

وأما نساء آل البيت عليهم السلام فقد هاجت بهن ذكريات الأمس القريب مع الأخوة والأعزة كيف خرجوا من المدينة جمعاً من الرجال والنساء ناصرين للإمام في ثورته العظيمة فعادت النساء باكيات يندبن رجالهن..

---

١ ـ السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٩٧ ـ ٢٠٠.

وكان من رثائهن في أبي عبد الله عليه السلام:[(١)]

مدينـــــة جـــــدّنا لا تقبلينـــــا	فبالحـــسرات والأحـــزان جينـــا
خرجنـــا منـــك بـــالأهلين جمعـــاً	رجعنـــا لا رجـــال ولا بنينـــا
وكنـــا في الخـــروج بجمـــع شمـــل	رجعنـــا حاســـرين مـــسلبينا
وكنّـــا في أمـــان الله جهـــراً	رجعنـــا بـالقطيعـــة خائفينـــا
ومولانـــا الحـــسين لنـــا أنيـــس	رجعنـــا والحـــسين بـــه رهينـــا
فـــنحن الـــضائعات بـــلا كفيـــل	ونحـــن النائحـــات علـــى أخينـــا
ألا يـــا جدّنـــا قتلـــوا حـــسيناً	ولـــم يرعـــوا جنـــاب الله فينـــا
ألا يـــا جدّنـــا بلغـــت عدانـــا	منـاهـــا واشـتفى الأعـــداء فينـــا
لقـــد هتكـــوا النـــساء وحمّلوهـــا	علـى الأقتـاب قهـراً أجـمعينـا[(٢)]

ثم أخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت:

- يا جَدَّاه إِنّي ناعية إليك أخي الحسين.

وصاحت سكينة: يا جَدَّاه إليك المشتكى مما جرى علينا فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين.[(٣)]

وأقمْنَ حرائر الرسالة المأتم على سيد الشهداء ولبسْنَ المسوح والسواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد يعمل لهن الطعام.[(٤)]

---

١ - الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني، ج٢، ص ١٥٨.

٢ - الآصفي، الخطاب الحسيني، نقلاً عن منتخب الطريحي: ٣٥٧.

٣ - المقرم نقلا عن رياض الأحزان، ص ١٦٣.

٤ - المقرم نقلا عن محاسن البرقي ج٢، ص ٤٢٠، باب الإطعام والمأتم.

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام:

ما اختضبت هاشمية ولا ادهنت ولا أُجيل مرود في عين هاشمية خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.[1]

وأما الرباب فبكت على أبي عبد الله حتى جفَّت دموعها ومما قالته في رثاء زوجها الحسين عليه السلام:

إنَّ الذي كان نوراً يُسْتَضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبيِّ جزاك الله صالحة	عنّا وجنبت خسران الموازين
قد كنتَ لي جبلا صعباً ألوذ به	وكنتَ تصحبنا بالرحم والدّين
مَنْ لليتامى ومَنْ للسائلين ومَنْ	يغني ويأوي إليه كلُّ مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركمُ	حتى أُغيَّب بين الرمل والطِّين[2]

وكانت زينب بنت علي عليه السلام لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلّما نظرت إلى علي بن الحسين عليه السلام ابن أخيها تجدّد حزنها وزاد وجدها.[3]

ومن ثم اقيمت مجالس العزاء في المدينة برعاية أهل البيت عليهم السلام واستمرت هذه المجالس في توجيه الناس نحو قيم الثورة الحسينية حتى وقتنا الحاضر.

الدور الإعلامي في الميزان

كربلاء تمثل حادثة منفردة في كل احداثها وشخوصها وزمانها ومكانها وحتّى حضور النساء في هذه الواقعة كان متميزاً ومختلفاً عما سواه. فمن المعلوم انه كانت

---

١ ـ مستدرك الوسائل ج٢، ص ٢١٥ باب ٩٤.

٢ ـ المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٧٦.

٣ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني، نقلاً عن منتخب الطريحي: ٣٥٨.

للنساء مشاركات في المعارك فيما سبق، اذ يحضرن اما عاملاً لتقوية المعنويات كما حصل في معركة أحد حيث حضرت نساء قريش خلف المقاتلين وهن يرتجزن:

نحـــن نـــساء طـــارق نمـــشي علـــى النمـــارق

ان تقبلـــوا نعانـــق أو تـــدبروا نفـــارق

والهدف من كل ذلك هو دفع الرجال للقتال. واما ان تحضر النساء في الحروب للتمريض كما في صورة رفيدة التي كانت تضمد جراحات المسلمين.. وغالباً ما ينتهي دور النساء بانتهاء المعارك وعودة المقاتلين، اما في واقعة الطف فالأمر كان متبايناً جداً فقد كان حضور النساء إلى كربلاء هو لأداء أدوار جديدة وتولي مهام استمرت حتى بعد انتهاء المعركة. فالملاحظ ان الدور الإعلامي استمر حتى وصول النساء إلى المدينة حيث اقمن مجالس العزاء وكشفن عن الصورة الواقعية لمقتل الامام عليه السلام الأمر الذي دفع والي المدينة إلى إخراج السيدة زينب عليها السلام عن المدينة، فضاق الوالي الأموي بذلك ذرعاً، وكتب إلى يزيد كتاباً يقول فيه:

«ان وجود زينب ابنة علي بين أهل المدينة مهيج للخواطر، فانها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين، فعرفني رأيك».[1]

على هذا يمكن القول ان هذا الدور قد اعطى للمرأة صورة جديدة عن أدوار مستقبلية يمكن ان تؤديها، وأهم ما نلاحظه في هذا الدور هو قدرة النساء على تهييج مشاعر الناس وايقاظ الحس الإيماني والانساني وتجميع الطاقات وشحذ الهمم بشكل فعال أدى إلى قيام الثورات على الأمويين وظهورها وأولها ثورة التوابين عام ٦٢ هـ. أي بعد أمد يسير من معركة الطف وهذه اشارة إلى نجاح الدور الإعلامي وتحقيق أهدافه الخالدة.

---

١ ـ محمد بحر العلوم، في رحاب السيدة زينب، ص ١٩٧.

ولقد تميزت خطب النساء وكلماتهن في هذا الدور بأمور نذكر أهمها :

١ . ان عموم الخطب والكلمات كانت تحمل منظومة قيمية جديدة أسهمت وإلى حد كبير في تغيير المنظومة السابقة التي زرعها الإعلام الأموي الكاذب فبدل الاستكانة اصبح الجهاد والتضحية من أجل الشهادة وبدل الخوف من اظهار الولاء كان هناك الاعلان عن محبة آل البيت عليهم السلام بدليل ان الثورات كلها انطلقت من مبدأ الولاء لآل البيت عليهم السلام، وبدل الخضوع للدنيا والركون إليها والرضا بالظلم كان التفكير بالآخرة والتسابق نحو الشهادة ورفض الظلم واعلان الثورة عليه.. وهذا يشير إلى مقدار الكم القيمي الذي حملته النساء والذي ظهر واضحا من خلال السلوك والأفعال، اذ اننا لا نجد في هذه الخطب والكلمات أي شيء يتنافى مع الأدب العام أو اللياقة. فليس هناك فحش أو سب، أو شتم بل هو خطاب يتعالى عن كل هذه الصفات. وهذا يوصلنا إلى مطاف آخر ان ثورة الإمام كانت قيمية أخلاقية تغييرية كبرى أدت إلى إعادة النظام الأخلاقي للناس بعد انهياره وغرق الناس في مستنقع الفوضى والفساد الأخلاقي.

٢ . ولأنه كان خطاباً قيمياً فقد استقر على اعمدة الصدق والصراحة. إذ لم تنقل هؤلاء النساء كذباً أو زوراً والعياذ بالله، بل نقلن الحقائق المؤلمة التي مرت بهن، ونقلن الصورة كما هي من خلال أوضاع السبي والانتقال من بلد إلى آخر فكانت خير صورة ناطقة لما جرى من أحداث، في حين اعتمد الإعلام الأموي على التضليل والتشويه ومهما استعان هذا الإعلام بمقدرات القوى الظاهرية فانه خطاب لا يدوم؛ لأنه لا يستقر على أعمدة قوية وأهمها الصدق.

٣ . ثم انه كان خطاباً انسيابياً إذ لم يكن هناك أي تكلف في مفرداته أو في إيصاله إلى المتلقي؛ فقد كان الخطاب هو نقلاً لصورة مستقرة في قلوب أُضيئت بأنوار الهداية

إلى البشر الغارقين في سرادق الوهم. ولهذا لم تكن هناك حاجة للتكلف الزائد؛ لأنه انعتاق الحقيقة إلى النور فهو إذاً خطاب القلب المجروح. ولأنه خطاب نابع من القلب، فلا بد أن يستقر في القلوب التي خرجت تبحث عن الحقائق فجاءتها كسحاب مطر شديد بعد ازمة جفاف.

٤ . وهو أيضاً لم يكن خطاباً فكرياً بحتاً استهدف خطاب العقل معتمداً على النظريات والأدلة والنتائج بشكل يثقل على الإنسان البسيط والعادي فهمه. كما انه لم يكن خطاباً عاطفياً مجرداً يهمه تصوير المأساة بشكل خاوٍ دون تحريك العقل البشري، فهو إذاً خطاب فكري عاطفي اراد ان يحقق انتصاراً فكرياً في التعريف بأصحاب الثورة وفي التأكيد على مبدأ الولاء لأهل البيت عليهم السلام وفي التعريف بمتطلبات هذا الولاء، كما انه حقق انتصاراً عاطفياً من خلال صور الحزن التي رافقت المشهد الثقافي. ولهذا نجح الخطاب في تحريك القلوب والعقول، ومن ثمَّ فلا بد من حركة سلوكية واضحة تعبر عن فهم الخطاب واستيعابه وبهذا تكون مؤشرا على نجاحه فكانت الثورات القاصمة للوجود الأموي وكانت مجالس العزاء نموذجاً خالداً لهذا الفهم.

٥ . كما انه لم يكن خطاباً عادياً أبداً، لم يكن مجرد كلمات بسيطة كما هي العادة فيما تتفوه به النساء. بل كان خطاباً بليغاً بل هو قمة في الفصاحة والمتانة الأدبية والصياغة اللفظية بما يوحي انه انبعث من أناس على درجة عالية من الفهم والوعي الثقافي وهذا نجده في كل الخطب. وقد اشاد الإمام السجاد عليه السلام بخطاب عمته زينب عليها السلام فقال لها: انت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة.[1]

لقد القت النساء خطبا عديدة وهن في مراحل عمرية متفاوتة كما ان نسبتهن مع الشهداء كانت مختلفة. فقد كانت السيدة زينب عليها السلام في الخمسين في حين كانت

---

١ ـ المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين، نقلاً عن الاحتجاج الطبرسي ص١٦٦.

فاطمة بنت الحسين عليه السلام في الثلاثين لكن مع ذلك لا نجد تفاوتاً ثقافياً أو بلاغياً واسعاً بين الخطب.

٦. وهو أيضاً لم يكن خطاب اناس قانطين او اناس استبدبهم اليأس فأرادوا تفريغ حمولتهم ابداً فقد كان نبراس الأمل معهم في كل أدوارهم[1]. ونحن نلمس مواقع عدة للأمل والتفاؤل بمستقبل يسحق بني أمية ويُعلي من شأن آل البيت عليهم السلام ونذكر لذلك مثالاً هو خطاب السيدة زينب عليها السلام مع يزيد (كد كيدك، واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا أبداً ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك الا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد).

٧ . ثم ان الخطاب أكد على قيمة الانتصار، انتصار الإمام وانتصار مبادئه وانتصار خط الولاء رغم ان الإعلام الأموي ابتهج بانتصار الخليفة على الخارجي واعلن الفرح والزينة.. وتأكيد الانتصار يبدو في أكثر من موقع واشارة وهو اذ أكد الانتصار فانه أكد مظلومية أهل البيت عليهم السلام واستعرض مكانتهم بشكل شد العقول إلى الكلمات فكانت ثورات.. كما تقول فاطمة بنت الحسين عليه السلام في خطبتها: «كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم».[2]

---

١ - راجع مواساة السيدة زينب عليها السلام للإمام السجاد عليه السلام، المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ص ٣٠٨.

٢ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣١٤.

٨ . والعجيب ان هذا الخطاب كان شجاعاً قوياً قال كلمته في الوقت الذي تراجع فيه الصناديد عن بيان آرائهم او اعلان ولائهم ونصرهم لمن يطلب النجدة بشكل لا يتناسب حتى مع الاخلاق العربية المعروفة. كان الخطاب شجاعاً أمام المجرمين والقتلة وكل واحدة منهن كانت امرأة عزلاء خاوية من كل سلاح إلا سلاح الإيمان والقيم امام هذه الجموع المصفوفة أمامها الشاهرة سيوفها وحرابها.. هؤلاء النساء صببن الحمم الخطابية البلاغية في وقت غفلة الناس وجبنهم وتخاذلهم وتراخي قواهم فجاءت هذه الكلمات لتُحيي الشجاعة في نفوسهم، ولهذا مررنا فيما تقدم من البحث على مواقف قوة وشجاعة ظهرت في مجالس الحاكمين وأحياناً خارجها من أناس عزل.. لقد اكتسبوا الشجاعة بفعل الخطاب الشجاع...

٩ . ثم ان هذا الخطاب كان منوّعاً متعدد الوجوه والمسالك وهو يعطي لكل شريحة ما تحتاجه من الخطاب؛ فمع الموالين لابد من وخز الضمير وتعزيز الشعور بالاثم كي يعودوا أدراجهم محاسبين أنفسهم عن تقصيرهم في نصرة الإمام. في حين امام الاعداء كان الخطاب فاضحاً لأفعالهم متوعداً بخيبة خططهم منذراً بأفول دولتهم وعاكساً للاعتزاز بالشهادة والتضحية والتفاخر بآل البيت حسباً ونسباً وموقفاً وهذا ان دل على شيء فانما يدل على قوة الذكاء لدى هؤلاء النساء والقدرة العالية على تشخيص ما هو مطلوب وضروري لكل حدث وواقعة.

١٠ . ويمكن القول في نهاية المطاف: إن هذا الخطاب قد نجح في كسر الصورة النمطية التي سادت آنذاك عن المرأة، وهي صورة سلبية لامرأة ضعيفة بعيدة عن هموم المجتمع غارقة في ذاتها، عاجزة عن اتخاذ أي موقف له اثره في حياة الناس والأمة فإذا بهذا الإعلام النسائي يقدم لنا صورة المرأة القوية في الله.. الحاملة هموم الأمة والساعية لتغيير الواقع عبر مجابهة الظالمين، وقدم لنا المرأة التي تعيش الولاء خطا ورسالة وفكراً

ومنهجا لا مجرد تمتمات لسان .. وبهذا نقف في الدور الإعلامي أمام نساء عظيمات لهن القدرة على احتمال المصائب وابتلاع الهم وتغيير أمور الناس.. فهل تصل نساؤنا المعاصرات إلى هذه الصورة؟.

يقول الشيخ مطهري في الملحمة الحسينية: حول تأثير شخصية عيال الحسين عليه السلام في التبليغ وهو التبليغ الذي حمل دورين؛ دور التعريف بالإسلام، ودور اعلام الناس ووضعهم بالصورة الصحيحة عما كان يجري وأحداث العمل الآخر الذي تمكن أهل البيت عليهم السلام من انجازه هو تحقيق الاتصال الجماهيري والتحدث إلى الجمهور وعلى منبر العدو نفسه في الوقت الذي لم يكن مثل ذلك الأمر ممكنا قبل الحادثة واثناءها لخوف الناس وعدم تجرئهم على الاتصال بآل البيت عليهم السلام بسهولة.(١)

٥ - رواية المقتل الحسيني

كيف كان بامكاننا ان نفهم ما جرى في كربلاء إزاء التضليل الإعلامي وتزييف الحقائق والوقائع الذي اعتمدته السياسة الأموية ورصدت له مبالغ ضخمة وامكانيات عظيمة ؟ وكيف نعرف ما هي الأحداث التي حصلت يوم العاشر من محرم؟ .

يجيب الشهيد السيد محمد الصدر في كتابه أضواء على الثورة الحسينية على كل هذه التساؤلات بالقول:

ان الرواة الأوائل لحادثة الطف هم:

١ . الأئمة المعصومون.

٢ . النساء من ذرية الحسين وذرية أصحابه، فمن الممكن ان يتحدثن عما رأينه عن تلك التفاصيل.. وتُعَدُّ كل واحدة منهن شاهد حال حاضر للواقعة.

---

١ – مطهري، مرتضى: الملحمة الحسينية، ج٣، ص ٢٣٧.

فلقد تكلمت النساء في كل مكان وصلن اليه عما جرى في كربلاء، وعن حكاية الرأس المرفوع على السنان والتعريف بالسبايا واستخدمن في ذلك كل ما لديهن من قدرات كلامية وبيانية في التعريف بالمقتل الحسيني وبهذا نبذ الناس الرواية الأموية التي بثوها عن الإمام ومقتله عليه السلام وتمسكوا برواية هؤلاء النساء في الكشف عن أحداث الواقعة المأساوية الكبرى. فأمام التضليل الأموي كان كلام النساء هو الوحيد الذي رد على التشويه في الحقائق وصوت النساء هو الصوت الاول الذي اخترق الحصار الاموي للاعلام.

ورغم ان البعض يحجم هذا الدور باعتبار ان النساء كن في الخيام ولا يمكنهن سرد كل الوقائع حيث ان السيد محمد الصدر يعقب على ذلك بالقول: ومع ذلك يجب ان لا نبالغ في ذلك لأمرين الأول ان النساء كن موجودات في الخيام ولسن مشرفات على الواقعة ولا متابعات للحوادث ولا يعرفن أشخاص الرجال الأجانب باسمائهن؛ الثاني كانت المصلحة الدينية والاجتماعية تقتضي اقامة المزيد من المآتم على واقعة الطف بعد عودهم إلى المدينة المنورة.

وأقول ربما يكون هذا صحيحاً لكنّ هناك أموراً يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار منها:

١ . ان نساء أهل البيت كن في الخيام ولكن النساء الاخريات خرجن إلى أرض المعركة وعدن إليها بعدما طلب الإمام الحسين منهن ذلك.

٢ . ان تتابع الشهداء كان واضحاً وكان الإمام يجمعهم في خيمة واحدة وكانت النساء تتابع الوقائع وترى عودة الجثث الطواهر.

٣ . الامام الحسين عليه السلام هو آخر من استشهد وبتتابع سقوط الشهداء كان لابد وان تكون هناك صورة اولية عن استشهاد كل واحد، ولا ننسى ان النساء في أي دور كانوا تابعوا خروج الاحبة ومن ثم استشهادهم.

٤ . ان النساء قد نقلن وقائع عديدة جرت ربما بعد الواقعة، وليس مهماً ان تعرف الاسماء كلها فروايات النساء مع الآخرين الذين شهدوا الواقعة ودونوها مثل حميد بن مسلم كانت هي الحجر الاساس في التعريف بالمقتل الحسيني ومن ثم فأمام التضليل الأموي كان كلام النساء هو الوحيد الذي رد على التشويه في الحقائق. والملاحظ ان الإمام زين العابدين عليه السلام كان أيضاً مريضاً في الخيمة ولكنه نقل الوقائع بعد ذلك!!

والمهم في كل ذلك التعريف بالوقائع الاصلية اما الجزئيات فقد وصلت الينا فيما بعد حتى من الذين حاربوا الامام وممن كانوا في الجيش الاموي.

وقد اقيمت مجالس العزاء في المدينة وسعت من خلالها نساء الطفوف في التعريف بما جرى في كربلاء. ويمكن القول: إن هذا الدور يأتي مكملاً لما قام به أهل البيت عليهم السلام من روايتهم للمقتل الحسيني ونحن اعتمدنا على كل ما جاءنا من روايات بعد التدقيق فيها حتى وصلنا إلى الصورة الصحيحة للمقتل الحسيني.

٦ - اعلان الحزن العام (الحداد الرسمي)

وقد اقيمت مجالس العزاء في الشام ومن ثم في كربلاء فقدكانت هناك صور واضحة لاظهار الحزن وبعد العودة إلى المدينة أيضاً اقيمت مجالس العزاء لذكر مصائب آل البيت عليهم السلام، وقد هجرت النساء الزينة والخضاب كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق: ما اختضبت هاشمية ولا ادهنت ولا أجيل مرود في عين هاشمية خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.[1]

واقمن حرائر الرسالة المأتم ولبسن السواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد عليه السلام يعمل لهن الطعام[2]، انه حزن جماعي نسائي رجالي عام، وأما علي بن

---

١ ـ المقرم، مقتل الحسين، ص٣٧٦.

٢ ـ نفس المصدر السابق.

الحسين فانقطع عن الناس انحيازاً عن الفتن وتفرغاً للعبادة والبكاء على أبيه ولم يزل باكياً ليله ونهاره فقال له بعض مواليه: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين فقال عليه السلام: يا هذا إنما اشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ان يعقوب كان نبياً فغيَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أَنّه حيٌّ فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وانّي نظرت إلى أبي واخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني، واني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي واخواتي ذكرت فرارَهُنَّ من خيمة إلى خيمة.[١]

الكل اعلن الحداد وكان الحداد نفسه تحدياً للسلطة الظالمة التي أراقت دم الإمام وأصحابه في أرض الطفوف.

وقد اتخذ الحزن مظاهر عدة منها إقامة مجالس العزاء نفسها؛ إذ اقام الإمام السجاد مجالس خاصة، وقد تهيأت المدينة للحداد منذ ان جاء خبر مقتل الامام؛ إذ ارسل الوالي من يعلن عن قتل الامام يقول الراوي:

ارسل المنادي يعلن عن قتله في ازقة المدينة فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على سيد شباب أهل الجنة.[٢]

وقال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهنّ مخمّشة وجوههنّ ضاربات خدودهنّ يدعون بالويل والثّبور فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه ثم قالت: أيها الناعي جدّدت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل[٣].. وقد عرضنا لموقف ابنة عقيل

---

١ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٧٧.

٢ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٣٤.

٣ - ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

في شعرها (ماذا تقولون) كواحد من مظاهر الحداد التي سبقت وصول السبايا وفي الشام أيضاً كانت هناك مظاهر حزن [فأقمن المأتم على الحسين سبعة أيام، وكان يجتمع عندهنّ كل يوم جماعة كثيرة لا تحصى من النساء.[١] فلم تبق هاشمية، ولا قرشيّة إلا لبست السواد حزناً على الحسين عليه السلام].[٢]

ولما عرج الدليل على كربلاء اقامت النساء مجالس نياحة كصورة لاعلان الحداد العام، والمعروف ان المرأة أظهر للحزن من الرجل من خلال لبس السواد وترك الخضاب والبكاء ونعي الامام وهذا ما حصل في المدينة بعد عودة السبايا ولهذا بان الحداد واضحا في المدينة واستفادت النساء من كل هذه في التعريف بمقتل الامام واماطة اللثام عن القناع الاموي الحاقد. وكان الامام السجاد عليه السلام يندب أباه واخوته وابناء عشيرته في كل مناسبة حتى عد احد البكّائين الخمسة. وقد اشتد الحزن في المدينة بعد ان تركت الواقعة ردود فعل واضحة مما جعل الحاكم الاموي يخشى الفتنة فأمر باخراج السيدة زينب عن المدينة بوصفها المسبب عن التعريف باحداث الطفوف وبشكل مكثف وصريح وهذا الابعاد والنفي للسيدة كان محاولة للسيطرة على زمام الامور.

السبي.. المأساة الكبرى

... وسيق موكب الأسرى والسبايا فكان أبشع موكب شهده التاريخ منذ كان.. بهذه الكلمات تصف الكاتبة (بنت الشاطي) موكب السبايا.. والحق انه أيضاً افجع موكب شهده التاريخ. ويبدأ سبي النساء منذ استشهاد الإمام عليه السلام حيث هجم الأعداء على معسكر الإمام واحرقوا الخيام واعتقلوا كل من كان فيها..

---

١ ـ نفس المهموم: ٤٥١.

٢ ـ الآصفي، الخطاب الحسيني، ص ١١٥.

يقول الراوي: لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النار فيها وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات، وان المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من اصبعها وقرطها من اذنها والخلخال من رجلها. فقد أخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم اذنها، وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي قالت له: مالك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله قالت له: دعني، قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ورأت رجلا يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد اخذ ما عليهن من اخمرة واسورة ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما افاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكي.

أُزْعِجَت من خدرها حاسرة ... كالقطا رُوِّع من بعد هجود
تندب الصون الذي قد فقدت ... صبرها فيه إلى خير فقيد[1]

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب وكنّ عشرين امرأة وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبي الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد علي بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة ومعه ولده الباقر وله سنتان وشهور.[2]

وأتاهن زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.[3]

١ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

٢ - نفس المصدر السابق، ص ٣٠٥.

٣ - نفس المصدر ٣٠٩.

وتسير قافلة السبايا في طريق طويل يبتدئ من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام ثم العودة من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينة في مسيرة طويلة قدرها أصحاب المقاتل بما يقارب الشهرين!!

لقد كانت رحلة طويلة، قاسية، صعبة، محزنة، مفجعة وثقيلة بكل ما فيها من ضغوطات نفسية وبدنية واجتماعية لكنها كانت حقاً عدل القتل والتمثيل.[١]

نقل عن ابي الجوزي عن جده انه قال: ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسيناً وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على اقتاب الجمال.[٢]

وإلى هذه الصورة يشير مغنية في كتابه قائلا: لقد رأى الناس في السبايا من الفجيعة أكثر مما رأوا في قتل الحسين وهذا بعينه ما أراده الحسين من الخروج بالنساء والصبيان.[٣]

وإلى هذه الحال يشير البعض الى ان فاجعة كربلاء لها عدلان رئيسان يكمل أحدهما الآخر عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأمة وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعدل السبي والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللائي يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته.[٤]

---

١ – السيد محمد باقر الحكيم، دور المرأة في النهضة الحسينية.

٢ – يراجع محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء، ص ٣٥.

٣ – نفس المصدر.

٤ – الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: دور المرأة في النهضة الحسينية، ص ٦٤.

وهذا هو الجانب الأول في هذه المأساة اما الجانب الثاني منها فهو ان كل أدوار نساء أهل البيت عليهم السلام ظهرت في هذه المرحلة، فضلاً عن الدور الإعلامي الكبير والعظيم والخطير، فلولا تنقل ركب السبايا من بلد الى بلد لما استطاعت النساء تصدير الحقائق في الامصار والبلدان التي وصلوا إليها. هذا الامر يضاف إلى ما اظهرته النساء من مرونة عالية في التكيف مع الأحداث فحولت النساء حالة السبي من حالة شلل اجتماعي وضغط نفسي فادح إلى حالة عطاء اعلامي ضخم وإلى حركة ثورية فعالة استطاعت ان تزيح النقاب عن الوجه الأموي المقيت.

وعادة حينما تحدث الحروب في أي مكان فان النساء والأطفال هما أكثر الشرائح تضرراً من انعكاسات الحرب ورغم التفاوت الموجود بين الحروب المعاصرة والسابقة من حيث قوة الفتك وسعة الانتشار والتقنيات إلى غير ذلك لكن تبقى النساء والأطفال شرائح سهلة التصدع إزاء المؤثرات الخارجية القاسية، وعادة ما تعيش هذه الشرائح انعكاسات نفسية قاسية تظهر واضحة في ارتفاع نسبة الخوف والتوتر وزعزعة الأمن النفسي والشعور بالاحباط والاكتئاب والشك بالقضية وبقدسية الثورة أو المعركة التي خاض غمارها.

وتنتاب النساء مشاعر اقسى خاصة إذا كانت مع الأولاد اوإذا كان الأولاد ضمن الأسرى أو تعرضوا لحوادث حيث يسيطر الخوف أكثر وتزداد المحاولات الساعية للمحافظ على الموجودين الأحياء مما يضاعف من نسبة التوترات والقلق والهواجس ويزيد الارباك.

مضافاً إلى ذلك ان النساء تتأثر بمشاهد العنف وبخاصة عنف الحروب بشكل أكبر وأكثر من الرجال بسبب البناء الفزيولوجي، ولأن ذاكرة النساء تمتد زمناً أطول مع الحفاظ على امتيازها بالقدرة على الاحتفاظ بالجزئيات الصغيرة فان عامل التذكر يتخذ

له مدى أطول مما يعني معايشة الصورة المؤلمة للوقائع التي حصلت في الحرب ويزداد الحال تأثراً إذا ازدادت مدة المعايشة مع هذه المشاهد المرعبة. ورغم ان الإيمان بقدسية المعركة يخفف الالم لكن يبقى الإنسان بشراً ذا عواطف ومشاعر جياشة ويبقى يتذكر ويبكي ويذرف الدمع رغم حرصه على ان لا يوحي للآخرين بانه يائس أو ذليل.

على ضوء هذه الدراسة المبسطة لانعكاسات الحروب على النساء يمكن ان نفهم وضع السبايا بشكل أعمق فمن ناحية ان هؤلاء النساء كن قد عشن كل مظاهر القسوة والعنف التي مورست ضد أهل البيت عليهم السلام فقد رأين الأحبة صرعى مجزّرين على أرض المعركة، شاهدوا عطش العيال، ذبح الرضيع، وحصار القوم وقتل الانصار ومقتل علي الأكبر والعباس بشكل مأساوي مؤلم للغاية اضافة إلى قطع الرؤوس وتعليقها على الرماح أمام موكب السبايا طوال المسيرة الطويلة. ولنا ان نتصور أحوالهن عندما مرّوا بهن على مصارع الشهداء في مسيرهم إلى ابن زياد وكيف أكل الحزن قلوبهم وتعالت استغاثاتهم وهم في كل ذلك بين الرؤوس والدمع والألم والجوع والعطش تقودهم زمرة ابن زياد وعمر بن سعد وشمر، أي انهن كن يرينَ القتلة الذين كانوا يرقصون على اشلاء الضحايا الذين كانوا من سلالة بيت النبوة وفيهم سيد شباب أهل الجنة!. وهم يظهرون الشماتة والفرح أملاً وانتظاراً للجائزة الكبرى التي سيحصلون عليها تقديرا لهم لقيامهم بكل تلك الافعال الشنيعة!. يُظهرون كل ذلك أمام مجموعة نساء اسيرات ثكالى فقدن الأحبة في وقت واحد وبصورة تقرح القلوب وسرن مقهورات بل حتى لم يتمكنّ من دفنهم!. ولنا ان نتصور أحوال النساء هذه والواقع اخطر من الكلمات المكتوبة. ولم يكن السفر من الكوفة الى الشام بالسهل اليسير، فقد عرف الطريق الوعورة والمصاعب، ولم يكد السائر فيه يبلغ الشام حتى يقطع من عمره أكثر من شهر على الابل الصابرة المجدة.

ولكن ابن زياد أراد أن يكون الطريق بأقل بكثير من هذه المدة ليضرب عصفورين

بحجر واحد: أولاً - الامعان في اجهاد السبايا، واذلالهم، وثانياً تفادياً لكل الاحتمالات التي تنشأ من تنقل الموكب - حسب طبيعته في القرى والمدن التي يمر بها، وخشية ردود الفعل فيها، قال الراوي:

«لقد كان مسيرة الطريق شهراً للابل ذوات الصبر والقوة، ولكن الحداة الغلاظ ارهقوا قدرها، وأوجعوا صبرها، فقطعت الإبل في عشرة أيام أو دونها ما كان عليها أن تقطعه في شهر أو أكثر، وكأنما سالت امام الإبل عثرات الطريق لتحط عن قريب بعض أوزار القوم، ولولا أنها كانت تحمل عفافاً وطهراً ليس مثله في الأرض عفاف وطهر، لألقت بأحمالها حين كانت تفزعها أصوات الحداة، وكأنها حست بما تحمل، وحنت لرنة الحزن من فوقها فسارت وأسرعت، كأنها لم تسمع من قبل برنة حزن كما سمعت في هذا البكاء.

وسير بالسبايا في اعتساف وارهاق ليل نهار، وسير بهن من خلف الرؤوس عما كان يسار بالسبايا من الحروب، وكان سير شمر بن ذي الجوشن أميراً لهذا الركب سبباً في أن يصوم أهل البيت عن الكلام، فما نبست منهن نابسة بكلمة ولا أشارت واحدة منهن باشارة، وكان إذا حدث أحد نفسه بالكلام أو علا صوته بالبكاء قرعه الفرسان بالرماح!.

وجعل ابن ذي الجوشن كلما مر ببلد أرسل إليه قبل أن يدخله أنه موكب رجل خارجي خرج على أمير المؤمنين، فإذا جازت الكذبة على القوم مرّ بالبلد، وإذا لم تجز الكذبة، أو خيف البلد مال منه، ولم يعرج عليه.

وطالما مال الركب عن الطريق التي تسلكها الإبل، وخاصة البرية والرمال خوفاً من غضب الناس إذا علموا فثاروا، فإذا خرج ابن ذي الجوشن من بلد وقرية ليلاً أصبح يتفقد أثواب الركب، فلعل أهل البلد جاءوا بشيء زائد فيأخذه منهم».[1]

---

١ - محمد بحر العلوم، في رحاب السيدة زينب، السيرة والتاريخ (٣)، ص ١٧٣ - ١٧٥.

اننا الآن مع كل هذه الطرق المعبدة لنشعر بالتعب في السفر البري في حافلات مكيفة ومريحة فكيف كان السفر في ذاك الزمان؟ خصوصا وان شمرا لعنه الله كان لا يسير ضمن الطرق الرئيسة خوف الاذى الذي يتوقع ان يتعرضوا له! معنى هذا انهم ساروا في طرق فرعية صعبة ومرهقة للغاية.. ولنا ان نتصور اوضاع الركب الحسيني وبخاصة النساء الثكالى المرهقات.. كان من الممكن ان يصبن بانهيار أو يتملكهن خوف أو رعب لكن الأمر كان عكس ذلك تماماً فقد ابدين قدرة عظيمة في اداء الدور الاعلامي بشكل يدهش السابقين واللاحقين.. فها هي العقيلة زينب عليها السلام ما ان تدخل الكوفة حتى تهاجم أهلها بخطابها العظيم وتصب عليهم حمماً من الكلمات الضارية التي أوجعتهم فانتبهوا. بل وتجعل كل الحاضرين يغرقون في بحر الدموع والآهات والحسرات ثم جاءت باقي الخطب كذلك. ان هذا يعكس لنا أموراً منها صلابة هؤلاء النساء وثباتهن وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى ثقتهن بالقضية التي جئن من أجلها وإلى نمط التربية وإلى قدرتهن على تحمل الشدائد التي أبت الجبال حملها وإلى إيمانهن العظيم بالله تعالى والذي قدّر الامور.

ومن البديهي ان قول الإمام الحسين عليه السلام (شاء الله ان يراهن سبايا) كان قد رسم لهن صورة ذهنية عما ينتظرهن من أدوار قادمة وخطوب جسام. ويرى العلماء المعاصرون ان من عوامل نجاح الشخصية هو توقعها لحوادث مستقبلية وحوادث صعبة وثقيلة وتهيئة الذات للاستعداد لمواقف كهذه. وهذا النمط من التفكير يحرر من المسير الروتيني للحياة ويكسب الفرد قوة ازاء مواقف عارضة ويعلمه ادوات الصلابة والثبات. بمعنى آخر إنه يمنحه سرعة التكيف ازاء الأحداث المفاجئة، فكيف إذا كانت هي أحداثاً متوقعة ومنتظرة ودار الكلام عنها منذ أمد بعيد؟.

ومن هنا كان للسبي انعكاسات وأبعاد إيجابية كثيرة على واقع الثورة. فلقدكان

هدف السلطة الأموية من سبي النساء هو إرسال رسالة إلى كل الذين يفكرون في الثورة على النظام أو الذين لا يدينون بالولاء للحكم الأموي مفادها: اننا لا نرحم أياً كان حتى لو كان الخارج علينا من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو سيد شباب أهل الجنة.. وكان الأمويون يخططون لرسم صورة مشوهة لهؤلاء السبايا في صورة الذل والانكسار وطلب الرحمة لكن الأمر أصبح عكس ذلك تماماً فهذه كلمات النساء تتوعد الحاكم الظالم وتعاتب الناس (بقسوة) على تخلفهم عن النصرة ومن ثم فما خطط له الإمام عليه السلام من اصطحاب النساء معه في المعركة كان صحيحاً وحكيماً، لأنه أسهم في عرض قداسة الفكرة التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام وهذه بذاتها كانت رسالة معاكسة للرسالة الأموية وكانت أقوى تأثيراً لما اصطحب المشهد العام من مناظر مؤثرة وصور مؤلمة.

وكان الإعلام الأموي قد أعلن في كل مكان قبل وصول السبايا إليه ان هؤلاء سبايا الترك والديلم. ولكن النساء قلبن هذه الدعاية وغيّرن الحال لما رأى الناس مظاهر الحشمة والوقار عليهن فعلموا ان هؤلاء النساء من أهل بيت النبوة ولنا ان ندرس هذه الشواهد:

جاء في المقتل: أشرفت امرأة من الكوفيّات فقالت: من أي الأسارى أنتنّ؟ فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.

ولما همت السيدة زينب بإلقاء خطبتها (أومأت زينب عليها السلام إلى ذلك الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنَّ على رؤوسهم الطير وليس في وسع العدد الكثير ان يسكن ذلك اللغط أو يردَّ تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدي الذي جلّل «عقيلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوي: لما اومأت زينب ابنة علي عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندما اندفعت بخطاها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية.[(١)]

وبعبارة اخرى (جاء أهل الكوفة ليتفرجوا على أسرى الخوارج في مدينة علي وإذا بصوت علي ينطلق هادراً بين الناس فانكشفت الخدعة وبدأ الناس بالبكاء والعويل).

جاء في المقتل: وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق فاوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور ودنا رجل من «سكينة» وقال: من أي السبايا أنتم؟ قالت:

نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ودنا شيخ من السجاد عليه السلام وقال له: الحمد لله الذي اهلككم وأمكن الأمير منكم!. فقال عليه السلام له:

يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى، قال عليه السلام:

أقرأت:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

وقرأت قوله تعالى:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟

---

١ – المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣١٠ – ٣١١.

قال الشيخ: نعم قرأت ذلك. فقال عليه السلام:

نحن والله القربى في هذه الآيات.

ثم قال له الإمام:

اقرأت قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾؟

قال: بلى. فقال عليه السلام:

نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليك انتم هم فقال عليه السلام:

وحق جدنا رسول الله انا لنحن هم من غير شك.

فوقع الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد الإمام مما فرط في القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله.(١)

لقد نشر موكب السبايا فكر الثورة في كل مكان وصلوا إليه بالخطب المجللة وبالكشف عن وقائع المعركة والأحداث الدامية التي حصلت وكان هذا بحق سبقاً إعلامياً ونشراً خبرياً وبثاً واسعاً إلى أماكن متعددة حيث كانوا مضطرين إلى المرور بالقرى والبلدان؛ لأن الرحلة طويلة والمؤن لا تكفي ووسائل النقل كالبغال والحمير لا تتحمل المشي الطويل وهذا الانتقال من بلد إلى بلد أسهم في نشر الواقعة. وهذا ما اكده المؤرخون من هياج الوضع في الشام والتوصية بإخراج أهل البيت عليهم السلام منه بسرعة.

وتبعا لذلك فقد ازدادت نسبة التفاعل الجماهيري مع هذه القافلة المتعبة التي فيها أطفال جياع صفر الوجوه ونساء باكيات نادبات مرهقات وعليل مريض يجر نفسه جراً

---

١ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٤٩.

. وكان منظر السبايا المؤلم قد عزز من مظلومية أهل البيت عليهم السلام وزاد من حجم الجناية الأموية عليهم أمام الناس فكل امرئ طالع موكب السبايا اعتصره الألم والحزن على ما يرى وحينما يعلم ان هؤلاء هم حرائر بيت الوحي والنبوة يصاب بالاحتراق والانكسار الأمر الذي أوجد كمّين عاليين: كماً عالياً من المظلومية المنتشرة أمام الناس وكماً عالياً من بيان وعرض للوحشية من قبل يزيد وبقية أزلامه.. وهذا التفاعل زاد من مساحة التواصل النفسي. فهذه الصورة المؤلمة زادت في تهييج المشاعر وزيادة النقمة على الحكم الأموي ولهذا لما خرج الركب من الكوفة أخذ يتعمد عدم دخول المدن الآهلة بالناس لكي يكون بمنأى عن استتباعات الحال.

لقد خرجت هؤلاء النساء بإرادتهن مع الحسين عليه السلام وخرجن ناصرات للإمام داعمات له في ثورته الكبرى في وقت تقاعست فيه الأمة والفطاحل من الرجال عن نصرة الامام عليه السلام!!..

وهؤلاء النساء أسهمن في تغيير الصورة النمطية التي كانت عليها المرأة. فالمرأة المسلمة هنا تبدو مسؤولة عن دينها ورسالتها ومكلفة بالدفاع عن المقدسات وقد تقاعس الرجال عن نصرة الإمام وقلّ الناصرون منهم. ولكن هذا الأمر لم يغير من عزائم النساء أو يضعف هممهن ابداً... ورغم ان نساء أهل البيت عليهم السلام هن النموذج الأكمل للعفاف والستر لكنهن خرجن لنصرة الدين حينما تطلب الأمر ذلك.. فلقد كانت هذه رسالة المرأة والرجل ومسؤوليتهما على حد سواء.

على هذا يمكن القول: إن قافلة السبايا هي التي أسهمت في نشر فكر الثورة وتعزيز الشعور بالأثم لدى الناس، ومن ثم مهدت الطريق لاشتعال الثورات بعد ذلك ومن ثم سقوط الدولة الأموية.

لقد نجحت السبايا في تغيير حالة السبي من حالة ألم إلى حالة انطلاق ومن حالة

انين فردي إلى انين جماهيري ومن حالة مشاعر ذاتية محصورة إلى مشاعر مجتمعية عامة واضحة في بكاء الناس وتطلعهم للثأر والتوبة عما سلف.

وبهذا لم يذهب دم الحسين عليه السلام هدراً.. لقد كان النظام الأموي يريد ابعاد الثورة عن المدن الكبيرة (الكوفة) وحصرها في صحراء كربلاء لكن موكب السبايا نقل وهج الثورة إلى كل المدن والبلدان التي نزلوا فيها وبهذا استنزلوا حقد الناس وغضبهم على ابن زياد ويزيد وعلى الامويين قاطبة. ولأن الإمام الحسين رسم الخط الفيصل في حياة عزيزة لا ذل فيها فقد استرخص الناس ذواتهم وانطلقوا في ثورات كثيرة..

مطهري: تاريخ كربلاء انما احياه وخلده الاسرى اي ان الاسرى هم الذين تمكنوا من المحافظة على هذا التاريخ وان جهاز الحكم الاموي قد ارتكب خطأ بالغاً في عملية اسر أهل البيت والانتقال بهم من ساحة المعركة.[1]

وفي نهاية هذا المقال احببت ان انقل رأياً اعجبني للسيد محمد باقر الحكيم رحمه الله في كتابه دور المرأة في النهضة الحسينية حيث يقول: فنحن نجد في الفقه الإسلامي حكماً يتعلق بالبغاة – وهذا تعبير قرآني والبغي من يبغي على الحاكم العادل – وهو أن الباغي يجوز قتله، ولكن تبقى عيالات الباغي إذا كان مسلماً في مأمن من الأذى فلا يجوز أن تؤسر، أو تصبح غنائمَ، وبهذا تفترق نساء البغاة وأطفالهم عن نساء الكفار وأطفالهم، فإن عيالاتهم يتحولون إلى سبايا، ورجالهم يتحوّلون إلى أسارى، وأموالهم تتحول إلى غنيمة.

وأول من بيّن هذا الفرق في الحكم هو: (الإمام علي عليه السلام، وذلك في أعقاب حرب الجمل، عندما طلب بعض المقاتلين منه أن يقسم الغنائم التي استولوا عليها بعد المعركة بينهم، فرفض الإمام علي عليه السلام ذلك، وكان جوابه قوياً

---

١ – الملحمة الحسينية، مطهري، ص١٨١.

وشديداً، بعد أن نهاهم ونهرهم عندما ألحوا عليه، فأجابهم: من يقبل منكم أن تكون غنيمته أمه عائشة - باعتبار أن عائشة أم المؤمنين كانت من جملة الأسارى - فوجدوا أن الإجابة صحيحة، فمن يقبل أن تكون غنيمته أمه، حيث قال: «..أما علمت أنّ دار الحرب يحل ما فيها وأنّ دار الهجرة يحرم ما فيها ألا فمَهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدّقوني وأكثرتم عليّ - وذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد - فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه؟!» وفهموا أن الحكم الشرعي بالنسبة إلى بغاة المسلمين، يختلف عن الحكم الشرعي بالنسبة إلى الكفار. والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوى، ويقبلون هذا الحكم الشرعي.

ولكن في كربلاء نجد الأمويين يسلكون سلوكاً آخر، حيث قاموا بسبي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسرهنّ!! وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، وعدّوها غنائم حرب!!.[1]

أمير المؤمنين عليه السلام زار السيدة عائشة بعد وقعة الجمل وودعها أكرم وداع وسار في ركابها أميالاً وارسل معها من يخدمها ويحف بها.[2]

وقد بقيت ذاكرة السبي المؤلم عند أهل البيت عليهم السلام فهذا الإمام السجاد عليه السلام يقول في وصف ذلك المشهد:

«**والله ما نظرت إلى عمّاتي وأخواتي إلا وخنقتني العبرة، وتذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، ومنادي القوم ينادي: احرقوا بيوت الظالمين**».[3]

---

١ - محمد باقر الحكيم، دور المرأة في النهضة الحسينية، ص ٧٣ - ٧٥.

٢ - محمد الصدر: أخلاق أهل البيت، ص ٣٠٩، نقلاً عن عبقرية الإمام للعقاد.

٣ - حياة الإمام الحسين ٣: ٢٩٩.

الفصل الثالث

نساء الصفوف في دائرة الضوء



الموازنة بين أدوار الجنسين

نساء الطفوف كن شرائح متنوعة من المجتمع النسائي فيهن العالمة المعلمة. وبينهن من لم تحظ إلا بالحد الأدنى من حفظ بعض السور القرآنية. وفيهن الكبيرة في السن والفتاة الشابة والطفلة الصغيرة ومن كانت ذات حسب رفيع وضمن اعلى البيوتات ومن كانت من اسرة عادية جداً. وفيهن من اسلمت توا وبينهن من شبعت حبا وحنانا في حجر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفيهن الزوجة والأخت والبنت والأم والبعيدة كل البعد عن هذه الانساب.

ومع تعدد الشرائح النسوية من حيث العمر والصلة والقرابة والوعي والفهم كان تعدد الأدوار واضحاً ومفيداً. وكلٌ قد أدى دوره حسب ما وصل إليه وعيه وحسب قدرته وحسب ما اتيح له. ولهذا نجد انه كانت هناك أدوار ثقيلة ومهام جسيمة كأدوار السيدة زينب عليها السلام وهناك أدوار اخف ثقلا في الصورة لكنها كانت ذات ثقل واضح في المعركة المصيرية.. وهذا التنوع أسهم في تعريف كل شريحة بدورها وبمهامها وبتوقعات الزمن وبما تستطيع ان تقدمه المرأة من اسهامات لتثبيت عقيدة الولاء والتمهيد لانتصار الاطروحة المهدوية العالمية مستقبلا.

وتبعاً لهذا كان تنوع الأساليب التي اتبعتها النساء في التعبير عن الولاء والمظلومية واضحاً. وهذا التنوع أسهم في تعريفنا بمساحات العمل النسوي المتعدد الادوار والمسؤوليات والاساليب واعطى للمرأة رسالة خالدة عما تستطيع القيام به.

لقد كانت واقعة كربلاء ثورة مجتمع صغير متعدد الشرائح بكل ما فيه من رجال ونساء، شيباً وشباباً، كهولاً وصبية، فتيات وأرامل امام قيادة المجتمع الكبير ولكن أحد أهم المعالم المميزة للأدوار عموماً هو ان كلا الجنسين (الرجال والنساء) انطلقوا من هوياهم الاصلية ولم يتجاوز أحد على هويته الخاصة. وبمعنى آخر أكثر تفصيلاً ان النساء انطلقن من خلال أدوارهن محافظات على هويتهن الانثوية وكذلك الرجال. فالإمام عليه السلام اصطحب اخوته (العباس وعبد الله وجعفر وعثمان..) ليقاتلوا ويحملوا السيوف وينزلوا ليوثاً إلى ميادين الوغى في حين حمل اخواته معه ليكن مقاتلات ولكن بالكلمة فسيوفهن كانت كلماهن التي تحولت إلى نبال ورماح حادة استقرت في الصدر الأموي فمزقته. ولم تخرج النساء مقاتلات ولم يسمح الإمام لهن بذلك.

قال الراوي: واخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداك ابي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأراد ان يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعك دون أن أموت معك فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً ارجعي إلى الخيمة فانه ليس على النساء قتال فرجعت.[١]

ولم تطالب النساء بان تخرج إلى ساحات القتال بل على العكس من ذلك فأوامر الإمام كانت عدم تجاوز باب الخيمة حتى استشهاده واطاعت النساء الأوامر ويظهر ذلك من مواقف عدة فقد ودعت السيدة زينب عليها السلام أخاها عليه السلام الوداع الثاني وجاءت إليه بالجواد ولكنها عادت ادراجها إلى المخيم وليس في ذلك أي غضاضة أو انتقاص بل أدت السيدة كل أدوارها كاملة. واستشهد العباس عليه السلام فلم يأذن

---

١ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٢٣٨، نقلاً عن الطبري ج٦، ص ٢٤٥، وابن الأثير ج٤، ص٣٧.

الإمام لأحد بالذهاب إلى جسده الذي بقي في موضع استشهاده.

وحينما ندرس أدوار الرجال نراها تدور بالدرجة الأولى حول النصرة والقتال في حين كانت أدوار النساء التبليغ والإعلام وبهذا نجح كلا الفريقين في تأدية المطلوب. ان واحداً من أهم مشكلاتنا المعاصرة هي مشكلة الدور. فلقد عاشت المرأة صراعاً طويلاً ضد أدوارها التقليدية (كالأمومة) ولكن الحال أدى إلى انتكاسة كبرى لتخلي المرأة عن واحدٍ من أدوارها الاساسية والاصلية والقديمة. (فالمرأة الجديدة) تنظر إلى هذه الأدوار على انها انتقاص لحرية المرأة في جسدها وفي حياتها، وتطالب بأدوار أكبر كدورها في المناجم وفي غسل الشوارع! وهذا يعود إلى ما روّج له الفكر المعاصر من انتقاص حاد للأنوثة بكل أدوارها وتعظيم للذكورة بكل أدوارها واعمالها وتصوير الرجل بانه الكمال المطلق فاندفعت المرأة تبذل الكثير وتضحي بالكثير كي تصل إلى النجاح في تصورها على حساب وأد الانوثة في ذاتها بيدها هي!.

فإذا اردنا ان نفهم أنفسنا وما هو المطلوب منا فلنفكر في شخوصنا.. من نحن؟ والى أين؟ وماذا نستطيع ان نفعله؟.. علينا ان نتقبل ذواتنا كما خلقها الله ولا نعيش اوهاماً زائلة وسرابا خداعا.

العنف السياسي ضد نساء الطفوف

يعدّ العنف السياسي اخطر انواع العنف الممارس ضد المرأة وربما يعود الى الميزات الخاصة التي يتصف بها من الشدة والسعة والتنوع والامتداد والعوامل النفسية الضاغطة. يعرّف العنف عادة بانه احد انماط السلوك العدواني تجاه المرأة ويتمثل في استخدام القوة والقهر والتهديد لالحاق الاذى والضرر بالاشخاص والممتلكات ومن ثم فهو كل ممارسة تعتمد القوة وتستهدف الحاق الاذى النفسي والاجتماعي والبدني بالمرأة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. أما العنف السياسي فهو يختلف عن باقي أنواع العنف؛ إذ إنه

يرتبط بجهة سياسية وهي التي تتولى ممارسة العنف باشكاله المختلفة ضد المرأة. وقد تكون هذه الجهة متمثلة في النظام الحكومي الذي يلجأ الى سن القوانين التي تسبغ الشرعية على صور العنف ضد المرأة كالقانون الذي يعفي القاتل في جريمة شرف من القصاص أو يمنع المرأة المتزوجة من العمل أو يمنع الحجاب وهذا شكل واحد يتميز باسباغ الوضع القانوني على الاحوال السيئة والمضطهِدة للمرأة. أو في القوانين التي سنّها الأمويون لمحاربة أهل البيت عليهم السلام والموالين لهم والتي شملت النساء والرجال دون فرق. ويكون القمع السياسي بأشكاله المختلفة من السجن والتهجير والطرد من العمل ومصادرة الاموال والاقامة الجبرية أيضاً من مظاهر العنف السياسي ضد المرأة والتي تأخذ طابع تأييد ودعم ورعاية من حكومة البلد، الامر الذي يفرز صفة المقاومة احياناً بشكل المطالبة بالحقوق أو التضحية من اجل التغيير واستبدال النظام.

لقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى اشكال العنف السياسي - والذي كان بشكل مباشر - متخذا صورا عدة منها الضرب، الشتم، حمل الرؤوس أمام النساء، قطع الماء، حرق الخيام، قتل الصغار، كشف الوجوه، السبي، قتل الأحبة والتمثيل بهم.. الى غير ذلك. وقد سبق ذلك صور أخرى لهذا العنف في اقصاء اهل البيت عن الحياة العامة وفي مطاردة انصارهم والتنكيل بهم وفي سن القوانين المحاربة لاهل البيت عليهم السلام ابتداءً من سب أمير المؤمنين على المنابر وهو أول مسلم يسب هكذا وبعلانية. وقد كانت مدة العنف طويلة أيضاً فقد سبق الواقعة واستمر بعدها وقد صاحب هذا العنف حرباً نفسية قاسية كانت تستهدف معنويات أهل البيت عليهم السلام بالدرجة الأولى عبر وسائل عدة منها تشويه صورة الثورة والإمام والتعريف بانه خارجي ومعاملة النساء كأنهن سبايا من الكفار - ولسن من أهل بيت النبوة - اضافة إلى مرافقة الأعداء والقتلة للعترة الطاهرة. والتظاهر بالقوة والغلبة عبر آليات كرفع الرؤوس أمام النساء ووضع رأس الحسين عليه السلام في الطشت واعلان الفرح والزينة إلى غير ذلك.

والحرب النفسية امتدت مع السبايا الى الأماكن والبلدان التي وصلوها وهم يرون فرح أعدائهم وعبثهم ولهوهم، ولكن معنويات النساء العالية والدعم الاجتماعي والنفسي الذي كان بينهن وتوكيل الأمور إلى الله قلب الحرب النفسية إلى مسار مضاد لما خطط له أعداؤهم ألا وهو إزاحة عقدة الخوف والتعريف بمظلومية آل البيت عليهم السلام.

التعامل مع الضغوط

وهذا كله قد ضاعف من نسبة الضغوطات التي عاشتها هؤلاء النساء بالاخص عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام، فقد عاشت السيدة مريم عليها السلام ضغطاً اجتماعياً واضحاً ظهر في ترددها من اعلان مولد المسيح عليه السلام على الملأ وعبّرت عن الحال بالقول (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) في حين عاشت السيدة آسية عليها السلام ضغطاً سياسياً واضحاً ظهر في طغيان فرعون ومحاولته في اجبارها على التخلي عن عقيدة التوحيد بشتى أنواع العذاب الذي صبه عليها. في حين عاشت هؤلاء النساء ضغوطاً واسعة اجتماعية وسياسية ونفسية وثقافية أيضاً. بانت من خلال معاناة الأطفال في قطع الماء وفي إبادة الأحبة بابشع الوسائل دموية وألماً وأقساها وأكثرها، وبانت في مسيرة السبايا الطويلة مع الرؤوس والثكالى والدخول إلى قصور الطواغيت والقتلة ولكن هؤلاء النساء نجحن في ايجاد آليات صحيحة في التعامل مع الضغوط عرفّها لنا العلماء المعاصرون.. وأهم هذه الآليات:

١ ـ الاسناد الجماعي الذي قدمته السيدة زينب بالدرجة الأولى إلى باقي النساء والى الامام السجاد أيضاً، فقد كانت السيدة تداري الكل وتخفف الاحمال عن الكل فقد حرصت السيدة على رعاية أسر الشهداء والثكالى ومتابعة شؤونهم. وإذا كان السند يخفف ثقل المصاب فيا ترى من قدم الاسناد لزينب نفسها؟!

٢ ـ التصدي للمشاكل التي واجهت النساء كالذي حصل مع سهل (ودنا سهل ابن سعد الساعدي من سكينة بنت الحسين وقال: ألك حاجة؟ فأمرته ان يدفع لحامل الرؤوس ان يجعل الرؤوس أمام النساء كي تنشغل الناس بالنظر إلى الرؤوس عن النظر إلى أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففعل «سهل».)[1]

أو في مواجهة السيدة زينب للشامي الذي طلب فاطمة بنت الحسين جارية له. فلقد تحركت بسرعة وغيّرت الموقف وقد كانت هناك ظروف قاهرة تعاملت معها النساء بالصبر وضبط النفس.

٣ ـ نمط الشخصية المتوازنة المرنة، إذ تكون أكثر قدرة ونجاحا في مواجهة الضغوط والمتابع لشخصية السيدة زينب يجد مرونة عالية في التكيف مع الضغوط والمعلوم ان زيادة الضغوط يؤثر على الصحة النفسية والجسدية مما يؤدي إلى استنزاف الطاقة وتدميرها ومن ثم تدمير الذات. وحاليا هناك ٧٥% من المرضى المعاصرين المراجعين للأطباء يشكون من عدم قدرهم على التكيف مع الضغوط ومن ثم انهيارهم امامها أو ظهور أعراض اضطرابات نفسية كالقلق والشعور بالذنب واليأس والخوف والكآبة وعدم الثقة بالنفس.

في حين ان هذا كله لا نجده عند نساء الطفوف أو عند السبايا أو عند السيدة زينب عليها السلام حيث يخفف الإيمان بالله والايمان بقداسة القضية من حدة الضغوط. فلقد كان المرور على أجساد الضحايا في المعركة وهم بتلك الحالة كفيلاً بتدمير معنويات نساء الطفوف وسلب ارادهن واظهار جزعهن.

ولكننا نجد لغة العيون طافحة بالدموع مع صبر جميل والتغلب على كل مشاعر الاحباط.

---

١ ـ المقرم، ص٣٤٩.

غياب الشكوى

رغم كل هذه الظروف الصعبة والقاسية فقد استطاعت هؤلاء النساء تحمل الأذى الذي تنوء عن حمله الجبال، والصبر عليه ولم ينقل عن واحدة منهن أية شكوى سواء في الحضور إلى كربلاء أو في الاهوال التي مرت بهم. بل نجد حالة من تفويض الأمر إلى الله ورؤية الأمور بخير (ما رأيت إلا جميلاً...) وفي الحمد الواضح في كل خطبة رغم عظم المصاب. في حين ان التاريخ ينقل لنا عن غلام عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والذي اظهر ضجره واستياءه من اصطحاب الإمام للنساء إلى كربلاء، قال ابن جرير: لما ورد نعي الحسين جلس عبد الله بن جعفر للعزاء وأقبل الناس يعزونه فقال مولاه (ابو السلاس): هذا ما لقيناه من الحسين!! فحذفه بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول ذلك؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى اقتل معه، والله انه لمما يسخى بنفسي عن ولديَّ ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابن عمي مواسين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ علي المصاب بمصرع الحسين أن لا أكون واسيته بنفسي، فلقد واساه ولداي.[1]

ورغم قساوة كل الظروف وثقل المسؤوليات والاهتمام بصيانة البيت النبوي ونقل فكر الثورة إلى الناس جميعاً رغم كل ذلك لا نسمع عتاباً مع الأحبة أو شكوى أو تذمراً كما يحلو لأرباب المقاتل ان يصوروا لنا هذا الاستياء والضجر والعتاب مع الحسين الذي حمل النساء وزجّهن في هذا الاتون المستعر.. يالعظمة هؤلاء النساء الصابرات المصبرات مع كل هذه الرزايا والخطوب. ومن المعروف ان النساء أمام الشكوى يكنَّ على صور عدة منهن نموذج صابر يفضي بثه وحزنه إلى الله راضياً بقدره وقضائه وهناك طائفة تعودت على الشكوى وباستمرار كنمط سلوكي متميز لديهن

---

١ - المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٣٤٠.

فهن يشتكين حتى لو كان الحال حسنا ويجددن الشكوى في أمور عفا عليها الزمن ويعشن حالة عدم الرضا عن كل شيء موجود مما يؤدي الى استفحال الشكوى.. وغالبية هذه النماذج الشكاءة هن نساء عاجزات عن ايجاد الحلول لمشكلاتهن أو ايجاد المفر من المعضلات التي تعترض حياتهن وبعض هؤلاء النساء يصل فيهن العجز والضعف وقلة الثقة بالنفس إلى أن يعبرن عنها من خلال الشكوى كمخرج مؤقت يرد إليهن الشعور بالأمان. وبهذا يهدمن حياتهن ويهدرن طاقاتهن وعمرهن في شكوى فارغة لا تسمن ولا تغني، وهن لا يخسرن فقط حياتهن بل يزداد الآخرون منهن نفوراً وضجراً ومللاً. وهن يرمين بأسباب المشكلة على الآخرين ويحاولن ان يخلصن أنفسهن من أي شعور بالتفكير بالمشكلة واسبابها ودورهن فيها. وتزداد حالة الشكوى كلما زاد البعد عن الله تعالى وضعفت الحالة الايمانية. ولهذا لم نجد لهذه المفردة وجوداً في قاموس نساء الطفوف لقوة العلاقة مع الله تعالى ولعمق الايمان بأهداف الثورة.

المهارات الحياتية

نساء الطفوف كن يتمتعن بمهارات حياتية عالية واعني بالمهارات (السلوكيات المقبولة التي تتيح للأفراد التفاعل مع المواقف بفاعلية وتمكنهم من تجنب الاستجابات غير المناسبة) وأهم هذه المهارات الحياتية:

١ - مهارات الحوار

وهذه بانت على أكثر من صعيد من خلال مواقف عدة منها:

حوار السيدة زينب عليها السلام مع ابن زياد.

حوار السيدة زينب عليها السلام مع عمر بن سعد.

حوار السيدة مع الشامي.

حوارات السيدة العامة كمواساتها للامام السجاد عليه السلام.

٢ - مهارة التعاون والمشاركة

وبانت واضحة من خلال تعاون هؤلاء السبايا على شؤون الثورة سواء في السبي او قبله اوبعده.

وأيضاً من خلال مواقف السيدة زينب عليها السلام في متابعتها لشؤون العليل والسبايا والاهتمام بالطفلة رقية.

٣ - مهارة الاتصال الشفوي والتواصل اللفظي

ولعل الخطب النسائية أكثر دليل على البيان اللفظي كخطبتي السيدة زينب عليها السلام في الكوفة والشام وخطبة ام كلثوم وفاطمة بنت الحسين عليه السلام.

كما بانت هذه المهارة من خلال مواقف الرد على الشامي والمواساة مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤ - مهارة التعاطف

عبر مشاركة الآخرين انفعالاتهم وفهم أحاسيسهم ويبدو الأمر واضحاً في تسلية أسر الشهداء والارامل والثكالى ومواساة الإمام السجاد عليه السلام.

٥ - مهارة الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان

وهذا واضح في خطب الاحتجاج والتأنيب التي تكلمت بها النساء وقد نجح الاقناع من خلال تحويل آراء الناس ومشاعرهم نحو الإمام الحسين وثورته وابطال المخطط الاموي.

وهذا يدل على نجاح الأساليب التي اتبعوها في التأثير على الناس ومخاطبة العقول والقلوب، وهو فن اجادته هؤلاء النساء وبان بشكل متميز في هذه الواقعة من خلال ردود الفعل التي نقلها رواة المقتل كما ذكرنا ذلك سابقا.

٦ - مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات

وتبدو واضحة في ادارة السيدة زينب عليها السلام للقافلة والسعي لعدم طغيان المشكلات على السطح.. لا أقول لم تكن هناك مشكلات.. أبداً فان المسافر في سفر قصير يعاني من الكثير من الصعوبات والازمات العارضة فكيف بمسيرة سبايا ثكالى مع رؤوس مرفوعة ولمدة طويلة، لقد كانت هناك مشكلات كثيرة لعل واحدة منها مشكلة الشامي الذي اراد بنت الحسين خادمة ولعل واحدة منها مشكلة رقية وما اثارته من استغاثات وهي صورة معبرة عن معاناة الاطفال والذين قدّر البعض عددهم بـ٤٠ طفلاً وأيضاً كانت هناك مشكلة العليل في السفر وغيرها، ولكن هؤلاء النساء استطعن تطويق المشكلة وتحجيمها أو تخفيف ردود الفعل الناتجة عنها.

٧ - مهارات إدارة المشاعر

من خلال التعامل مع الحزن والقلق ومع الصدمات المؤلمة والإساءات التي تعرضوا لها - وما اكثرها - وامتصاص الغضب ولعل أهم الآليات هنا هو كظم الغيظ والصبر وتفويض الأمر إلى الله والمساندة الجماعية.

الضبط العاطفي

تعرف العاطفة على انها تنظيم وجداني ثابت نسبياً (عكس الانفعال الذي يكون حالة طارئة ووقتية) فالإنسان ليس مركباً آلياً جامدا كـ(الريموت) بل هو يفيض بمشاعره ويتفاعل مع محيطه من خلال عواطفه.. يفرح ويحزن ويحب ويكره.. ولهذه الصور العاطفية انعكاساتها الكبيرة على شخصية الإنسان وعلى سلوكه. ولهذا اهتم الإسلام بالبناء العاطفي عن طريق تهذيب العواطف وتوجيهها الوجهة السليمة بحيث تكون عامل بناء لا عامل تخريب.

وتعدّ العواطف واحدة من أهم دوافع العمل. فنحن نقوم بالعمل على احسنه إذا كنا نحبه والعكس صحيح. كما تحتل العواطف زخماً عالياً من الطاقة النفسية التي تترك الأثر العميق على الحالة الشعورية للأفراد.

وقد اهمت المرأة على طول المسيرة البشرية بانها كيان عاطفي مركز. وعُدَّتْ عاطفتها محطة ضعفها!.

وفسر الكثير حرمانها من بعض الوظائف والمناصب بانه يعود إلى الزخم العاطفي الذي تحمله والذي لا تستطيع ضبطه بالصورة المطلوبة!! ولكن في العصر الحديث ظهرت لنا مفردات جديدة كالذكاء العاطفي والصحة العاطفية والجفاف العاطفي والأمية العاطفية إلى غير ذلك مما نجده في صفحات الكتب الحديثة، فالإنسان المعاصر بعد ان وصل إلى الفضاء وسيطر على باطن الأرض ونجح في خلق الإنسان الآلي وجد نفسه بحاجة الى ان يعيش مشاعر الحب والفرح والحزن كي يشعر على الأقل بالراحة النفسية والتوازن النفسي.

وبهذا الصدد يرى كثير من المهتمين بشؤون الانسان والمجتمع ان العالم الآن محتاج إلى عاطفة النساء أكثر من حاجته إلى سيوف الرجال!!.

لقد خلق الله تعالى المرأة بكيان عاطفي مميز كي يؤهلها لأداء مهامها الأساسية في الكون ألا وهي تربية الأجيال وصيانة الأسر.

وهذا الفيض العاطفي الذي يشبع الحاجات الأولى للانسان سواء في طفولته أو في مراحله المتتابعة لا يمكن تعويضه عن طريق الريموت والحاسوب وغير ذلك. ولهذا بدأت الدراسات المعاصرة تهتم بدراسة العواطف وأنواعها وأقسامها وكيفية توجيهها وعدّت [الأمية العاطفية (والتي هي عدم القدرة على التعبير عن العواطف)]، عدّت واحداً من أمراض العصر الحديث.

ويخطيء من يقول ان الرجل خلق بلا عواطف، بل ان الله تعالى خلق للزوجين الذكر والأنثى جهازاً عاطفياً كاملاً وربما تتفاوت المرأة بعض الشيء عن الرجل في اظهار العواطف والتعبير عنها بحكم مهامها وتربيتها وبحكم العلاقات الاجتماعية التي سادت المجتمعات، فقد عُرف عن المرأة أنها أكثر قدرة على التعاطف مع الآخرين، والتعاطف هو القدرة على التواصل مع الناس في المواقع الصعبة والخطيرة[1].

فالمرأة أكثر قدرة على توظيف هذه العواطف في الاتجاه الأكثر فائدة وأثراً، وبهذا يعزى إلى الأمهات الأثر الأكبر في توفير الحاجات النفسية للأطفال من أجل البناء السليم لشخصياتهم. ويشدد علماء التربية المعاصرون على ضرورة تواجد الأم قرب أولادها في مرحلة بناء الشخصية.

فالعاطفة إذاً هي إحدى مرتكزات الجهاز النفسي الذي اهتم الإسلام بتهذيبه وتوجيهه لتخليص الإنسان من الآلية في السلوكيات واخراجه من طابع الروتين الى طابع التفاعل والشعور، فلا بد ان تهتز مشاعره وينبض قلبه ويفكر ويبكي ويتألم ويحب ويدافع عن حبه وولائه فيعيش ألم الإسلام الكبير ومحطات فرحه. وبهذا تكون الشخصية الرسالية هي نسيجاً مترابطاً يين الفكر والسلوك والعاطفة.

وتُسهم الإرادة في توجيه العواطف كما يعمل الفكر على تربية العواطف باتجاه القيم الدينية والإنسانية التي يؤمن بها الفرد.

وبعد هذه المقدمة نعود إلى نماذجنا الأولى في نساء الطفوف فنجد نماذج رائعة للولاء العاطفي والوجداني ونماذج إنسانية سامية تعيش ألم الآخرين وتعيش همَّ الحسين عليه السلام.. الوحيد الغريب في البيداء الذي يطلب النصرة وينادي بأعلى صوته

---

١ - وهو القدرة على تفهم مشاعر أو عواطف الآخرين.

مستغيثا وما من مغيث.. نجد السيدة زينب عليها السلام تذوب جوىً حينما تسمع الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه ليلة العاشر قال علي بن الحسين: سمعت أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أُفٍ لك من خليل كم لك بالاشراق والأصيل[(١)]

لكنها تصون دموعها عن الظهور أمام الأعداء والشامتين حينما ترى الإمام عليه السلام مقطع الأوصال مزروعاً بالسهام وقد فاض دمه على التراب الزاكي وتناثرت اشلاؤه على الرمضاء.. فأي عظمة عاشتها هذه المرأة العظيمة؟.

لقد عاش الرساليون في حياهم الكثير من محطات الضغط العاطفي وعملوا على توجيه المشاعر بالاتجاه السليم وإدارها فالإمام زين العابدين عليه السلام عُد أحد البكائين الخمسة فقد استفاد من كل فرصة ليظهر فيها حزنه على مصاب أبيه وكانت عملية هييج العواطف احد اهم اسباب المواجهة مع الحكومة الاموية وقد نجح الامام في ذلك نجاحا خالداً ما نزال نرى آثاره حتى الآن، وتلك الزهراء عليها السلام تعلن حزها وبكاءها وسيلة احتجاج على الأمة الناكثة لوعدها فيقام لها بيت الاحزان تأييدا لها في ثورها البكائية.. إلى غير ذلك من الشواهد.

لكن السيدة زينب حبست دموعها وعملت على توجيه النساء اللائي كن معها على ان يتبعن هذا الأسلوب الذكي من أجل ايصال رسالة الإمام الحسين، لقد كان الضغط العاطفي على السيدة زينب عظيماً لكنها استطاعت ان تجعل ارادها أقوى فما سمحت لدموعها بالنزول ولا لحزها بالظهور إلا في المواقع التي تطلبت ذلك كما في يوم الأربعين حيث كانت هناك الحاجة العليا لاظهار اقصى درجات الحزن والذي يمثل أقصى درجات الاحتجاج على السياسة الأموية واحد أهم عوامل الكشف عن الظلم

---

١ - المقرم، ص ٢١٧.

الأموي الذي صُب على أهل البيت عليهم السلام، وبذلك كان يوم عودة السبايا إلى كربلاء ومن ثم إلى المدينة يوم حزن عظيم هز الأمة كلها.

واهتمت السيدة بتوجيه عواطف الاخريات اللائي كن في موكب السبايا وبذلك تحول الجميع إلى صورة زينبية واحدة في الإباء والصمود والصبر.

وبهذا كان للعواطف أثرها في تأجيج الحزن على أهل البيت عليهم السلام كما كان لأساليب الضغط على العواطف أثرها في ابانة عظمة هؤلاء النساء فالعواطف يمكن ان تكون سلاحاً لاحياء الأمة كما يمكن لها عبر توجيهها الوجهة السليمة ان تكون وسيلة لنهضة الأمم.

الاستقلالية

نساء الطفوف على العموم عشن الاستقلالية الواضحة في قراراتهن ومواقفهن ولم يشعرن ان هناك آراء مفروضة عليهن. ولو اردنا ان نسأل طوعة لماذا آوت مسلماً؟ فستكون اجابتها بانها فعلت ذلك بحرية تامة ولم يجبرها احد، فلقد كانت حرة التفكير وحرة الإرادة أيضاً رغم ان ارادتها وتفكيرها كانا على عكس ولدها تماما فقد كان مسيّرا بأوامر ابن زياد. ولم تكن تابعة في قراراتها لأي شخص آخر عكس ولدها الذي عاش التبعية للحاكم والمال. ونفس الشيء يقال عن نساء ركب الحسين اللاتي هاجرن معه فقد اخترن طريق الهجرة بمحض إرادتهن بل فرضن ارادتهن رغم وجود معارضة لخروجهن مع الامام. ونفس الشيء يقال عن باقي النساء.. وكلما شعرت المرأة باستقلالية مواقفها فانها تتحرر من التبعية ويعمق لديها الشعور بالمسؤولية وبانها ذات تكاليف ومسؤوليات لا يؤديها عنها غيرها ومن ثم فانها توفق أكثر لاتخاذ قرارات صائبة؛ إذ تتيح لها هذه الاستقلالية تبني آليات صحيحة لصناعة القرار وللتخطيط للمستقبل ولمعرفة الأهم من المهم.

والواقع المعاصر يقول لنا ان نساءنا يعشن التبعية بل اصبحت جزءاً من كيانهن ولديهن شعور بالعجز عن تبني رأي او موقف وهذه التبعية تسهل لهن عملية التخلص من المسؤوليات عن طريق تبني الاعذار! في تصور خاطئ انه يخلصهن من الحساب والسؤال. وهناك من يستفيد من تكريس هذه التبعية لأنها تجعل المرأة أداة طيعة في يد الآخرين!.

ان المرأة والرجل كائنان مستقلان لكل منهما تكليفه وحسابه وكل منهما يحيا حياته ومماته ويُسأل بعد مماته ولا بد ان يقدم لحياته، ولو كان تابعاً بهذه الصورة لانتفى الحساب وجعل الحساب والتكليف على من كان تابعا له وهذا وهم كبير.

وأما القوامة فانها محدودة في الحياة الزوجية فقط بوصفها متعلقة بالطرفين من خلال الحقوق والواجبات، ثم ان القوامة ليست الغاء للشخص الآخر أو مصادرة وجوده بل هي إدارة كما هي الحال في الإدارات الأخرى.

نساء الطفوف كن مستقلات في كل الأمور تقريباً ومع ذلك لم يظهرن أي تردد أو تراجع أو ندم على موقف. فقد دفعت دلهم زوجها دفعاً إلى الجنة وكان هو مترددا في البداية في حين ان التردد لم يظهر ابدا في سلوكها حتى لما طلقها وافترقت عنه، وكذلك أم وهب وأم عبد الله والنوار، وغيرهن؛ لانهن هن من اخترْنَ هذه القرارات وهذه المواقف البطولية ولهذا نلمس غياب السلبية أو التحيّر أو النكوص في السلوك والمواقف الأمر الذي جعل الطاقة الذاتية لا تتبدد في اتجاهات سلبية وتتجه بالكامل نحو الهدف الأصلي..

لقد مارست النساء أدوارهن بكفاءة دون اكراه أو اجبار بل بحرية نابعة من صميم الذات. ورغم انهن كن مستقلات التفكير والارادة والقرار لكنهن لم يكنّ أبداً منفصلات عن أسرهن سواء بالرعاية أو الحماية أو بالوصل والاغاثة بل تحركت حياتهن مع أسرهم وعشن معهم وإليهم.

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح

كان الهدف الأساسي الذي أعلنه الإمام عليه السلام من ثورته هو ما قاله عليه السلام: إني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.[1]

فقد كانت ثورته المباركة تهدف إلى تطهير الواقع الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي من الانحراف والفساد الذي ألمّ بالمجتمع آنذاك واصلاحه عبر القيم الجديدة التي حملتها ثورة الإمام عليه السلام. والإمام عليه السلام لم يرسم خارطة الثورة كي تكون حملته الإصلاحية آنية لزمانها ومكانها بل انه أراد ان يكون الهدف الإصلاحي ممتداً في الأمة عابراً لمساحات الزمان والمكان بما يحمله من خلود المفاهيم وديمومة الوعي الإنساني وقد كان أحد أهم أسباب حمل النساء معه في الثورة هو حمل رؤى الإصلاح الجديد إلى الأمة بعد ان حاول الأمويون تقويض الثورة في محدودية صحراء كربلاء التي حوصر بها الإمام وانصاره. لقد كان الهدف من ذلك هو ان تقوم النساء بأدوار التبليغ والإعلام ونشر الفكر الحسيني الرامي إلى الإصلاح وتطهير الفساد الموجود آنذاك وبذلك يكون الإصلاح مسؤولية كل فرد رجلا كان أم امرأة.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ... ﴾[2].

---

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٣٩.

٢ - سورة التوبة، الآية ٧١.

ولفهم هذه الأمور أكثر لابد ان نسلط الضوء على أمور عدة منها: حاجة المجتمع آنذاك للإصلاح وظهور علامات الفساد الإداري والسياسي والاجتماعي والفكري والاقتصادي. وتتضح معالم الفساد الموجود آنذاك من خلال استقراء الواقع العام فيكفي في الواقع السياسي ان يكون الحاكم فاسداً وان يكون وكلاؤه ونوابه كذلك.

وهذا ما اشار إليه الحسين عليه السلام بقوله:

«**ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور..**».

أما على صعيد الواقع الاجتماعي فنحن نرى الحرب مشتعلة ضد الموالين لآل البيت عليهم السلام فقد تعرضوا للكثير من اعمال الابادة والتهميش ومصادرة لقمة العيش ونرى ذلك أيضاً في القيم التي انتشرت آنذاك بين عموم المسلمين في الخنوع والانهزامية والرضا بالذلة وشراء الضمائر إلى غير ذلك.

أما الفساد الفكري فيكفي ما قام به الأمويون من تشويه الفكر الديني ونشر الأحاديث الموضوعة والكاذبة ومصادرة كل رأسمال فكري لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

من كل ذلك نرى ان الواقع كان بحاجة إلى إصلاح عام. فهل يا ترى يمكن ان يكون هناك اصلاح دون ان يكون للمرأة دور ومشاركة؟ وهي التي عانت - كما اشرنا - من استتباعات الوضع الفاسد بشكل مباشر أو غير مباشر.

ان الأمر الذي لا يقبل الشك أو الجدال هو ان عملية الإصلاح الشامل في المجتمع تستوجب ان يكون هناك احتواء شامل لكل الشرائح الاجتماعية، ونلاحظ ان إحدى أهم اخطاء المصلحين في العالم هو انهم يرومون الإصلاح والتغيير في المجتمع عبر

قناة واحدة أو قنوات محدودة وابقاء باقي القنوات الأخرى مسدودة. وهذا ما سبب موت هذه الحركات الإصلاحية وإجهاضها فلا يمكن ان تنجح أي مساعٍ للاصلاح ما لم يتم تحريك كل فئات المجتمع ونفي الغبار عنه. وهو ما اشرنا إليه سابقاً حينما قلنا ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة مجتمع صغير - بكل فئاته - ضد قيادة المجتمع الكبير وبهدف اصلاح المجتمع الكبير.

وبهذا كان للمرأة حضورها الواضح في ساحة الاصلاح كما كان ذلك ميسرا للشيخ والشاب والصبية والفتى إلى غير ذلك. ان حضور المرأة في المشروع الإصلاحي الحسيني كشف عن قوة دور النساء ومتانة البناء الذاتي وبخاصة للسيدة زينب عليها السلام والتي كانت ذات الحمل الأكبر في عملية الإصلاح من خلال نشر البرنامج الحسيني والتعريف بآليات الإصلاح وحتمية انتصاره. فلقد رسمت صورة المرأة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر من خلال كل الوسائل التي اتيحت لها في الثورة.

ان الاصلاح يستلزم الإيمان بوجود فساد في المجتمع فلا بد من ان تكون هناك رؤية فاحصة للمجتمع للتعرف على مواقع الفساد.

وقد كشفت النساء عن الفساد الاجتماعي بحق المرأة من خلال قول السيدة زينب عليها السلام:

«**تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ...** ».

وهنا قد نأتي على سؤالين مهمين هما:

- هل ان الإمام عليه السلام لما حمل النساء معه كان يروم مشاركة قوية للمرأة في برنامجه الإصلاحي؟

- والسؤال الثاني: هو اننا لا نرى تغييراً على الخارطة الاجتماعية والحياتية بعد الثورة في ما يتعلق بمسيرة المرأة فأين هو الإصلاح في دائرة الحضور النسوي؟

الإمام الحسين رائد الإصلاح

تتفاوت الرؤى حول أدوار النساء في الحياة العامة. ويمكن تقسيم هذه الرؤى إلى ثلاث رؤى معاصرة:

١ . الرؤية التقليدية للمرأة والتي تحصر دورها فيما عليها وفيما لها، فالمطلوب هو أداؤها للتكاليف الأساسية كالصوم والصلاة وان تكون مطيعة لزوجها وهذا كل همها في الحياة. هؤلاء التقليديون يحاولون الابقاء على واقع النساء بما هو عليه فهم يرون ان أوضاع النساء بما عليه لا تحتاج إلى إصلاح أو تغيير أساسي فهن يقمن بأداء التكاليف الأساسية مقابل النفقة مثلاً. وهؤلاء يرفضون كل ما هو معصرن ويجعلون حلول مشاكل النساء المعاصرة بالاتكاء على رمزيات الفكر الديني بعيداً عن الأخذ بأسلوب الحداثة أو العصرنة أو مراعاة تغيير الزمان والمكان وبهذا تكون أفكارهم محدودة لمن يتكئون على الماضي دون الأخذ بتطورات الحاضر والمستقبل. والمرأة هنا تابع وليست كائنا مستقلا كما انها بعيدة عن مفاهيم الاستخلاف والأمر بالمعروف. وهي لا تعيش في وعيها ظروف الامة ومشاكلها لضيق الدائرة الحياتية والهدفية لها والدين هنا مجرد احكام عبادية مجزأة والقائلون بهذه الرؤية لا يستطيعون ايجاد تفسير منطقي لحمل الامام الحسين عليه السلام نساءه الى كربلاء سوى انها حالة خاصة لزمانها وتحت رعاية المعصوم المباشرة !! وبهذا لا يكون هناك حديث عن دور سياسي او تكاملي للمرأة.

٢ . الرؤية التجديدية للمرأة والتي تميل إلى الرؤى الغربية والتي تحاول التخلص من ضغط الدين عن طريق جعل التكاليف لزمانها الذي مضى (كالحجاب والقوامة وغير ذلك) وهم يقتدون بالنمط الغربي ويحاولون محاصرة القيم والعادات والتقاليد وإقصاءها. ولأن المرأة هنا تشبه الرجل (وليست شريكة له في مسؤولية الخلافة) فيكون

حل مشكلات النساء عن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية بعيداً عن الدين، فلتعمل بأي شكل وفي اي مكان كان وهي كائن غير مرتبط بالأسرة (التي يرونها قيداً). هؤلاء يرون ان المرأة كائن مستقل معزول عن الأسرة والمجتمع. ولهذا يخاطبون المرأة كمفردة مستقلة بعيداً عن وشيجة العلاقات التي تربطها بزوجها واولادها ويحاولون وضع القوانين الجديدة من خلال هذه الرؤية. فالمرأة هنا كائن منفصل (كما هي الحال في المنظومة الغربية التي اباحت الاجهاض، لانه حق المرأة لكنها اصطدمت بحق الطفل في الحياة) والدين ليس له أي تأثير على حياة المرأة واهدافها .

٣ . الرؤية الدينية المعاصرة او الحضارية للمرأة: وهي تتكئ على الفكر الديني إذ لا حياة للأفراد دون وجود دين ينظم حياتهم ويضع لهم ضوابط دنيوية اخروية ويبيّن لهم قيما أساسية تصوغ للإنسان المعاصر أهدافه واتجاهاته واساليبه في الحياة. لكنهم يأخذون بنظر الاعتبار آليات التطور المعاصر ويحاولون ايجاد موافقة بين الدين وبين متطلبات الوضع المعاصر. فهم يضعون القوانين التي تتكئ على الدين وتأخذ بعين الاعتبار التطور والحداثة وتنظر إلى المرأة من زاوية الانسان الخليفة لله في أرضه فله مسؤولياته وأهدافه وواجباته وحقوقه. هذا التيار يحاول قراءة الفكر الإسلامي مجدداً ضمن آليات معاصرة تحامي عن قدسية الدين وعن فاعليته في كل عصر وزمان وما وجدناه من مشاركة للمرأة في العملية السياسية في إيران والعراق ولبنان ومن التأكيد على دورها الاجتماعي والتغييري يدخل ضمن هذه المنظومة.

وحتى في إطار القدرة (كما سيأتينا) هؤلاء يطرحونها من باب ايجاد النموذج الشامل المتوازن الذي يجمع بين المرأة الانسان والمرأة الانثى والذي يستوعب وجودها الفردي والاجتماعي كنموذج الزهراء بثورتها وبعبادتها وبأمومتها وبحسن تبعلها أو كنموذج ابنتها الحوراء زينب عليها السلام ومن ثم هم يرون ان للمرأة دورا اساسيا في الحياة العامة لا يلغي ادوارها الاولى كالامومة والزوجية ولا يتميع ضمن الصور

المشوهة للمرأة تحت مسميات الحداثة والعصرنة. ولهذا يرون ان صورة المرأة في كربلاء قابلة للتجديد والظهور في كل عصر وزمان انطلاقاً من ادوار المرأة التعددية وليست المحدودة كما يراها التقليديون.

من هذه الرؤية العامة يمكن القول: إنه لا يمكن للإمام ان ينطلق في ثورة الإصلاح هذه دون ان يهتم بنصف المجتمع. صحيح انه كان قد اناط الدور الإعلامي بالنساء عموماً وللسيدة زينب عليها السلام على الأخص، ولكنه لم ينطلق لزمانه المحدد وانما اراد ان يوصل رسالة الإصلاح الخالدة إلى الرجال والنساء كافة وعلى مر العصور.

غياب أم حضور؟

ان المتتبع للتاريخ لا يرى صوراً نسائية بعد الثورة وهذه القراءة السطحية تجعل حضور النساء في الواقعة (والذي هو عدل التضحية) وكأنه صورة عابرة لمجرى تاريخي قديم. والمستقرئ للتاريخ بعد الواقعة يرى ان الحال بقي كما هو عليه حول مشاركة المرأة في الأدوار والمسؤوليات الاجتماعية والسياسية، وبأن الانكماش والاقصاء الذي لمسناه في أوضاع ما قبل الثورة بقي على ما هو عليه بعد الثورة، فأين التغيير إذاً؟

وقد يكون هذا الرأي صائباً للذين يقرأون الصور الحاضرة في المساحة التاريخية ولا ينقبّون في أوراق التاريخ ودفاتره عن الأحداث والوقائع التي حصلت، على هذا لابد ان نفهم دور المرأة في صناعة التاريخ كي نصل الى قرار صائب.

دور المرأة في صناعة التاريخ

لقد استطاعت ثورة الإمام عليه السلام رغم انكسارها العسكري ان تعيد برمجة القيم الإنسانية والاجتماعية والشخصية في المجتمع وهذا ما نجده واضحاً من توالي الثورات وانطلاق الموالين في بيان إداناهم المستمرة للنظام الأموي ومن ثم الحكم

العباسي بعدما ازيحت ثقافة الخوف والذل التي كانت سائدة إلى ثقافة العز والكرامة.

وعموما كانت النساء بعيدات عن القتال وربما عن المشاركة في الثورات التي اتخذت طابعا رجوليا فقد عاشت النساء مسؤولياتهنّ الاولى في الاهتمام الأكثر بتربية الجيل الموالي والناصر لآل البيت عليهم السلام والذي ولد في العصر الاموي الاسود ثار في العصر العباسي الاكثر ظلما لآل البيت. فلقد تركت ثورة الإمام الحسين عليه السلام جرحاً لا يندمل في قلوب النساء والرجال من خلال صور التضحية والفداء ومن خلال جرح الأمهات والثكالى ونداء السبايا - فاصبحت المرأة المسلمة الموالية تعي مسؤوليتها في ضرورة تنشئة الأولاد على مبادئ الولاء لآل البيت عليهم السلام وعلى حبهم وكيفية صيانة الرمز الديني وحماية المقدسات. وإذ لم تكن هناك صورة واضحة عن ماهية المطلوب من المرأة المسلمة قبل الثورة ولكن الصورة اتضحت بعدها فبدأت المرأة تربي أبناءها ليس لأمومتها فحسب ولكن لنصرة خط الإمامة، وهذا ما يفسر لنا استمرار التيار الموالي لأهل البيت عليهم السلام في عدده وعدته وقوته وثباته. إذ كان الرجال يستشهدون في المعارك والثورات التي خاضوها وكانت النساء تكمل المسيرة عبر التنمية البشرية الموالية. ولو لم تتبنَّ المرأة هذا الخط لحصل فراغ كبير لا يسد ابداً. فالمرأة بعد الطفوف بدأت تعي ان لها دورا وان هناك مهام ومسؤوليات لا يؤديها غيرها ولئن كانت نساء الطفوف قد عانين ما عانين من أجل الدفاع عن المقدس وحماية خط الولاء فان المطلوب من النساء بعد الطفوف اكثر. ان هذا يجرنا إلى التفكير في مهمة المرأة الأولى في التربية ويمكن من خلال استقراء اوضاع الدول التي تخلت فيها المرأة عن وظيفتها التربوية ان نرى انعكاسات ذلك ففي بعض المجتمعات التي تقوم فيها الخادمات بمهام التربية ظهر جيل يعاني من مشكلة اللغة ومن ضعف الحس الايماني والوطني لأنه يأخذ قيم الخادمة المربية واتجاهاتها وليست اتجاهات الام الاصلية ومن ثم حصل نوع من الاغتراب الأمر الذي جعل اصوات الاستغاثة تنطلق من كل مكان. ولتخلي الام

(عالمياً) عن هذه المسؤولية نشأ جيل يهوى العنف ويتخذه منهجا في الحياة لانه عاش الحرمان العاطفي لغياب الام وعدم استطاعة المعلمة والخادمة تعويض النقص في مشاعر الحب والحنان. ولقد اطل القرن العشرون مع مطالبات بنبذ الامومة وانتهى بصيحات تطالب بعودة المرأة الى البيت والاسرة!.

ولو قرأنا التاريخ قبل الثورة لوجدنا الرموز النسائية بحد ذاتها محدودة العدد وقد ظهرت في نموذج سيدات نساء العالمين وفي مواهب المسلمات في صدر الاسلام. ولكن يا ترى هل يعني ذلك ان المرأة لم يكن لها دور في صناعة التاريخ إلا من خلال هذه الصورة الظاهرة؟

ان دور المرأة في صياغة التاريخ يمر بشكلين أساسيين:

الشكل الأول: وهو الأعم هو الشكل غير المباشر والصورة غير الظاهرة على شاشة التاريخ ولكنها صورة فاعلة ومؤثرة وذات امتدادات طولية. وتأتي من خلال أدوار النساء التقليدية وبخاصة دور الزوجة والأم والذي اهتم بصناعة الأجيال، وهذا الدور كان ضبابياً حتى للمرأة الموالية وان وجدناه في آحاد ومفردات، ولكن هذه الصورة اخذت لها ابعاداً أساسية عند المرأة الموالية بعد الثورة ونضجت وبشكل واعٍ استقر في لباب المرأة من خلال اعداد الجيل الموالي والذي يديم خط الولاء لأهل البيت عليهم السلام ومن هؤلاء النساء اللائي نجهل أسماءهن ومن كانت سجون الحجاج تغص بهن وكانت سجون الرشيد تعج بهن. وفي زماننا المعاصر كان صدام يقنص هؤلاء النساء ويغيبهن في (التيزاب) كما جرى مع الكثير من النساء أمثال الشهيدة بنت الهدى - التي سنمر عليها - وسلوى البحراني وآلاف من النساء قتلن واعدمن وغيّبن في غياهب السجن.

والمستتبع للتاريخ يرى ان صورة الرجل الذي يصنع التاريخ كانت محدودة في الخلفاء الظالمين لآل البيت عليهم السلام وفي أعوانهم فأين كان الرجل الموالي؟ لقد كان ثائراً في سلسلة ثورات متتالية أبيد فيها الكثير منهم كثورة التوابين التي اتت على خمسة

آلاف رجل وكذلك بقية الثورات ومنها الثورات المعاصرة.. كان الرجال يُستشهدون ويتركون ذراريهم بين حاكم ظالم محارب لأهل البيت يروم تنشئة الأجيال على بغض علي عليه السلام والنيل منه وبين أم موالية تصر على ادامة خط الولاء وتعاني الكثير من الضغط الاقتصادي والنفسي والاجتماعي والفكري حتى ينشأ ولدها على حب أهل البيت عليهم السلام وربما عشنا بعض مفاصل هذه الحالة وعاش ابناؤنا أيضاً بعض استتباعاتها وإلى هذا يقول الشاعر:

لا عـذب الله أمـي انهـا شـربـت ... حـب الوصـي وغذتنيـه في لبـن

وكـان لي والـد يهـوى ابـا حـسن ... فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

- أما الشكل الثاني في صناعة التاريخ فكان في اسماء محدودة وواضحة عرفنا بعضها وجهلنا كثيراً غيرها من الرجال والنساء. وكان اسم الرجل يظهر بوضوح؛ لأن العرف نفسه يروج له في حين تبقى صور النساء وأسماؤهن في ضمن الدائرة الحمراء! لان التاريخ نفسه لم يكن انسانيا في كثير من مقاطعه بل كان ذكوريا.

لقد أسهم التاريخ نفسه في ظلم الانسان رجلاً كان أو امرأة فالتاريخ كتب لنا عن مجون الحكام وبطش الطغاة وظلمهم للبشر وعما قاموا به من اعمال يعدها البعض افتخارات في حين انها احتراقات واحتقارات!.. فهل الذي يقوم بذبح البشر واراقة دمائهم وطمس حضاراتهم هل يستحق التمجيد والخلود؟.. ولكن التاريخ هو هذه الوقائع المرة اذ نادراً ما يكتب التاريخ عن الفضائل وعن السمو الانساني وعن سبل تكامل البشر. ولأن الاغلب في مسار التاريخ هي حاكمية الرجل ونبذه للانثى ايا كانت فقد اخفى التاريخ الكثير من الحقائق العليا فيما يخص النساء وبقي تاريخا ذكوريا في حين ان تاريخ الاسلام كان تاريخ الرجل والمرأة على حد سواء.

ومع كل ذلك نجد صوراً خالدة في التاريخ كصورة العقيلة زينب عليها السلام

والوافدات على معاوية وسمية ونسيبة.. ولكن من البديهي أيضاً ان تكون هناك صورٌ أخرى في التسافل الحيواني كصورة آكلة الاكباد.

وبعد كل ما استعرضناه نصل الى نتيجة وهي اننا مدينون للمرأة في حفظ رسالة الولاء وايصالها لنا بكل امانة، فيا ترى كيف نحافظ عليها؟

ويمكن القول: إن حضور السيدة زينب عليها السلام في برنامج الإصلاح الحسيني قد كشف اموراً منها:

١ـ انه لا يمكن لأي مسيرة اصلاح ان تنجح ما لم تهتم بالمرأة وتوكل إليها مهام المشاركة فيها. وان أي عمل اصلاحي يهمل نصف المجتمع سيصاب بالتلكؤ والضعف وهذا الاهتمام بوجود المرأة في البرامج الاصلاحية يسهم في ايجاد الحلول الاصلاحية لمشاكل النساء والمجتمع، فإصلاح اوضاع النساء يحتاج إلى جهد المرأة والرجل، وكذلك اصلاح اوضاع الرجال، وكذلك اصلاح أوضاع المجتمع.

٢ـ نساء الطفوف كسرن الصورة السلبية النمطية عن المرأة ونشرن صورة المرأة الآمرة المعروف والناهية عن المنكر والناصرة لدينها، صورة إيجابية تعرّف المرأة بدورها المطلوب في كل عصر سواء في عصور التضييق والحراب أو في عصور الانفتاح والحرية.

٣ـ هذا الحضور النسائي المتميز كسر العقل الذكوري الذي كان لا يرى دوراً للمرأة أو أية قيمة مجتمعية.. ها هو سيد الشهداء وأبو الاحرار عليه السلام يوكل إلى اخته أصعب المهام في ظروف قاسية للغاية.. مهام قد لا يقوى الرجال عليها لأنها متعددة في ظروف عسيرة وضاغطة.. ولكن السيدة زينب عليها السلام تحقق نجاحا منقطع النظير وتكون سبباً لكل هذا الخلود الذي حظيت به الثورة الحسينية بشكل لم يكن له سابقة أو لاحقة، فسيد الشهداء عليه السلام يدعو من خلال هذا الحضور النسائي إلى دعم حضور المرأة في المواقع الصعبة، وإلى اسناد المهام لها وعدم الشك في

قدراتها وكفاءتها. فمن قال ان المرأة ضعيفة او كائن هزيل أو ان ليس لها دور في المسيرة الانسانية فتبقى مركونة على الرف.. أبداً.. ولولا هذه الثورة لما بانت قوة المرأة.

٤ ـ اصلاح رؤية المرأة إلى نفسها.. فلماذا لا تعيد المرأة قراءة أدوار هؤلاء النساء لتعرف دورها ومهامها ولا تبقى اسيرة الوهم بالعجز وعدم القدرة على ان تقوم بقسط من المهام التي تتطلبها المراحل الراهنة من دورة الاسلام في الكون.. هذا الاصلاح له اثره من حيث:

* انه يخلص المرأة من الهامشية واللامبالاة ويجعلها تعيش واقعها ضمن المبالاة والاهتمام والفاعلية.

* انه يسهم في توجيه النظر إلى مشكلات مجتمعها والتعريف بالمساحات التي تحتاج الى اهتمام اكثر.

* يخلصها من العبثية والتشتت فنحن نرى حجم الانفاق الذي يصب على الإعلام لقوقعة النساء ضمن إطار الزينة والموضة في إطار الصورة والجسد وجعل ذلك شغلهن الشاغل لإبعادهن عن الاهتمام بشؤون المجتمع واصلاح شؤونه.

* شعورها بالمسؤولية الثابتة عليها والتي لا تتغير مع تغير الزمان والمكان أبداً.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾[1].

* ويؤدي إلى تخليصها من الانانية والانكفاء على الذات وإلى الانطلاق إلى المجتمع الكبير وإلى علاج مشكلاته بما فيها مشكلات النساء.

* وكل ذلك سيمهد لتطوير الذات عبر زيادة ثقة المرأة بنفسها والابتعاد عن كل علامات الهوان والضعف.

---

١ ـ سورة التوبة، الآية ٧١.

نساء بين النهضتين

ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف

انتهت واقعة الطف بأشخاصها لكنها بقيت في الوجدان الإنساني كصورة مشرقة لرفض الذل والظلم والثورة على الواقع الفاسد المنحرف، وبقيت نساء الطفوف العظيمات رموزاً عليا وأمثالاً سامية لأدوار النساء التي لا تنطلق من إطار الأنوثة أو العقد النفسية بل تنطلق من صورة الإنسان العظيم حامل رسالة الاستخلاف والذي سيكون أُنموذجاً عالياً للخليفة في الأرض وبهذا فقد بقيت أُنموذجاً خالداً لكل النساء والرجال وعلى مر العصور.

ونحن نعيش الآن زمن الانتظار والتمهيد لظهور المصلح الكبير الذي سيمحو كل ملامح الفساد ويجتث كل مواقع الظلم ويجعل الأرض تعيش تحت راية العدالة الإلهية.. وهو الحلم الذي عاشته البشرية دوماً وخطط لأجله الانبياء عليهم السلام وكانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام الغالية من أجل هذا التمهيد الأزلي لانتصار العدل وإزالة الجور. وقد أكدت الأحاديث على أهمية الانتظار.

ففي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج.

وفي أحاديث أخرى اشارات عن حضور النساء مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي اشارات ربما اختلف البعض فيها لكننا سنعود ثانية إلى دور المرأة في صناعة التاريخ فنرى الدور المباشر الذي تشير إليه الروايات كما في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة من غير ميعاد».[١]

وعن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشرة امرأة»

قلت: وما يصنع بهن؟ قال عليه السلام:

« يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله».[٢]

ولا ننسى الدور اللامباشر للمرأة في صناعة التاريخ وهذا يعني ان المرأة موجودة في ادوار فعالة سواء في زمن الانتظار او الظهور، وتعتمد المرأة الناصرة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الانتظار على صورة نساء الطفوف الخالدة في العطاء والتضحية وفي الدفاع عن العقيدة والامام.. وتبدو مسؤولية المرأة في زمن الانتظار متأطرة في جانبين أساسين:

١ . الجانب الأول هو بناء الذات وتربية النفس واصلاحها وتهذيبها والاهتمام بالأعمال الصالحة والمخلصة. فكل عمل مخلص هو انتظار للفرج.

٢ . والجانب الثاني يتمثل في تربية الجيل المنتظر وإعداده وتقوية ثقافة الانتظار لدى نساء المجتمع (وعمومه) من خلال اتباع آليات مناسبة وهذه الثقافة تنمي عند الأفراد حالة الاستعداد والتأهب للظهور.

فثقافة الانتظار مشروع حضاري يعيد الجذور الإنسانية للحضارة البشرية ويرسم معالم المجتمع التوحيدي الذي هو حلم الانبياء عليهم السلام فمن اين نبتدئ؟

---

١ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ح٥٢، ص ٢٢٣).

٢ ـ إثبات الهداة: ج٣ ص٥٧٥ ح ٧٢٥ (ب ٣٢ فصل ٣٨).

والجواب:

ألف . في البدء هل لدينا القناعة الكافية بان الإسلام يحمل حلولاً لمشاكلنا وانه يمثل النجاة مما نعيشه من أزمات ومستنقعات؟.

ولعل واحدا من أهم مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة – وكذلك المسلم المعاصر – هو انها لا تعيش الوعي الكافي بان الإسلام يحمل اطروحة ناجحة ومفيدة للمرأة ولكل البشر ولكل المجتمعات، هناك تشتت في وعينا، ونعيش ارهاصات قالها الآخرون لابعادنا عن ديننا. مقولات مشوهة من أمثال: ان الإسلام ظلم المرأة وانه حرمها حقوقها وكأن المطلوب من المرأة المسلمة المعاصرة ان تشن حرباً على الإسلام (الذي خنق المرأة وصادر حريتها كما أُدخل في وعيها) وبعدها تنطلق بافق آخر يسمى أيضاً إسلاماً!!. وهذا هو السخف بعينه!. لابد أولاً ان أعي اطروحة الإسلام بشكل عام وبخاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة وان اضع الجدار العازل بين اطروحة الإسلام ومنظومة العرف (المقدس) والتي هي في كثير من الأحايين تعاكس الإسلام وتشوه صورته، لابد ان اعرف حالة المرأة في العالم الآن. فهي تقدمت في جوانب عدة في الجانب الحقوقي مثلا (بشكل عام) وفي جانب العمل والتعلم والسياسة إلى غير ذلك.

لكن كيف افسر الظواهر الطاغية في العالم من باب تأنيث الفقر، تأنيث الأمية، الرقيق الأبيض، البغاء، العنف ضد المرأة (بكل أشكاله) وإلى غير ذلك من الظواهر السيئة؟.

ولذا لابد أولاً من ان احرر عقلي من كل فكر مضاد للإسلام ومن كل فكرة تصطدم مع الإسلام وتحاربه واجعل عقلي ساحة واعية لمفاهيم الإسلام الصحيحة وبالذات فيما يخص المرأة فالحجاب تحرر وانعتاق وليس عبودية واسترقاقاً والقوامة إدارة وصيانة وليست تسلطاً وإذلالاً إلى غير ذلك من الأمور.

باء . ان تعرف المرأة المسلمة المنتظرة فلسفة الانتظار ومن هو الإمام المهدي، ولماذا غاب؟. وهذه الرؤية المعرفية تُسهم في رسم الصورة الأولية للإمام – المقدس – الذي تدافع عنه المرأة المسلمة وتقدم له النصرة بكل الوسائل.

ثم لابد من آليات للتواصل مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والذي تعرض عليه أعمال مواليه. وبلا شك لابد وان يكون هناك سعي في تقديم ما يفرح قلبه عن طريق الابتعاد عن الذنوب وهجران المعاصي والسعي إلى اكتساب الفضائل والحفاظ على الحجاب وغيرها.

ولعل واحدة من أساليب التواصل مع المقدس في زمن الغيبة هو تقديم الهدايا للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هدايا معنوية ومادية كأن تكون ركعتي صلاة أو صدقة أو الدعاء المستمر له أو المعايشة لهمه وألمه والتألم لحاله (عزيز علي ان أرى الخلق ولا ترى ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى. عزيز علي ان تحيط بك دوني البلوى). والاهتمام بذكرى مولده وقراءة الأدعية التي تعمق الرابطة معه والفرج له كدعاء العهد والندبة إلى غير ذلك.

ولا يقتصر الأمر على المرأة وحدها بل لابد من ان تشارك أسرتها وجماعتها في أعمال النصرة واظهار الولاء ونحتاج هنا الى ان نرسم صورة أولية للإمام في عيون أولادنا الصغار وان نجيب على اسئلتهم ونعرّفهم بأسباب غيبته وما هو مطلوب منهم في زمن الغيبة وكلما كان الأم، والأب، أنموذجين ساميين للأخلاق الفاضلة – بعيدين عن العنف والشتم والسخرية – كلما كان تقبل الأولاد لهذه الأفكار العليا اسرع.

جيم . علي ان اعيش الوعي الكامل في أهمية الإصلاح وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ادرك حاجة المجتمع والإنسان إلى المصلح والإصلاح وان اعرف آليات الإصلاح المطلوب، اذ لا يمكن القيام بأي عمل إصلاحي أو تغييري أو المشاركة

في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يكن الفرد نفسه - رجلاً كان أو امرأة - صالحاً من جوانب عدة كأن يكون ذا معرفة دينية وذا معرفة بعوامل الزمان والمكان والتغييرات الحاصلة، وذا قدرة على التحمل وعلى تبني آليات ناجحة في التغيير. يقول الشيخ مطهري في ملحمته الحسينية:

انك لو اردت ان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بشكل غير مباشر فان إحدى الطرق المحنكة هي ان تكون قبل كل شيء صالحاً وتقياً وصاحب فعل قبل ان تكون صاحب قول. وعندما تكون أنت شخصياً أنموذجاً بهذه المواصفات ستكون مثالاً مجسماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[1]

ومما لا شك فيه ان النهضة الحسينية رفعت من شأن عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[2] وكشفت عن دور المرأة والرجل في هذه العملية الحيوية كما كشفت عن قابليات النساء والرجال وعن آليات التعامل مع الانحراف والفساد.

واذ تبدو الحاجة إلى أنموذج المرأة الآمرة بالمعروف (كلمة المعروف تشتمل على كل الأهداف والمفاهيم الإسلامية الإيجابية) والناهية عن المنكر، أي المرأة التي تهتم بالإصلاح كأمر أساسي في تطور المجتمع ونهضته، فإذا اهمل الاصلاح اهمل دم الحسين عليه السلام واهملت عطاءات نساء الطفوف وتأخر الظهور.

وتزداد الحالة سوءاً إذا تصورت المرأة ان لا مهام لها في عصر الانتظار سوى البقاء في البيوت والاهتمام بالموضة ومشاهدة مسلسلات رمضان الممجدة للانحرافات!. وان صورة نساء الطفوف لزمانها وليس لزماننا! وكأن الحسين عليه السلام كان لزمانه! فحسب.

---

١ - مطهري، الملحمة الحسينية، ج٢، ص ٩٢.

٢ - مطهري،الملحمة، ص ٢٢٨.

ان المرأة الآن بحاجة إلى قراءة واعية للذات تجتث من خلالها كل خرافات الماضي وضبابية الحاضر، إذ تنتظرها الكثير الكثير من المهام في زمن الانتظار وترقب الظهور.

والمرأة التي تحمل مشعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليها ان تسير في خط زينب – عليها السلام– كأُنموذجٍ سامٍ للشخصية الإسلامية التي ترتكز على بناء فكري واضح بعيداً عن الضبابية.. وبناء نفسي متين يمنحها القدرة على مواجهة الصعاب.. وبناء اجتماعي ناجح يمهد لانطلاقتها وحركتها في الدائرة الاجتماعية.

دال . نساء الطفوف وبالذات السيدة زينب عليها السلام كن أنموذجاً رائعاً في قوة البناء الذاتي ومتانته الذي لم يتهاون أمام الجيش الكبير الذي خرج لقتال الحسين عليه السلام ولم ينهر أمام طاغية زمانه يزيد أو عبيد الله وغيرهما من العتاة. وهذا البناء الذاتي الصلب في الله الرحيم بخلقه تحتاجه كل امرأة منتظرة في زمن الانتظار. فلا بد ان تكون هناك أولويات لكي ننجح في بناء ذواتنا بما يؤهلنا للصمود أمام التحديات المعاصرة والمستقبلية.

وبناء الذات يعني تحرير الإنسان أولاً من قيوده وأثقاله التي تشدّه إلى الدنيا ومن الصفات السلبية التي تسلب قدراته الإيجابية كالتكبر والشكوى الزائدة وفقدان الثقة بالنفس إلى غير ذلك من معوقات الرقي والتكامل وبهذا تتحول المرأة إلى إنسان إيجابي معطاء يعيش المسؤولية والتمهيد للظهور معتمدا على كل الآليات المتاحة انطلاقاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غيره.

اما أهم مرتكزات البناء الذاتي الناجح وأهمها فهي:

١ . ما هي رسالتك في الحياة ؟. فالمهم ان نعرف من أين وإلى أين وكيف السبيل إلى أهدافنا. فنحن لم نخلق عبثاً وانما نسير نحو الغاية التي خلقنا لاجلها ونحو أهدافنا ولا بد ان نقف عند رسالتنا ونقرأها بوعي مرات ومرات.

٢ . لأرسم صورة مستقبلية عن نفسي كناصرة – وناصر – للإمام وانا حالياً في طريق التمهيد ولأتعرف على احتياجاتي المطلوبة للوصول إلى الصورة العليا..

٣ . نساء الطفوف هن القدوة الحسنة لي في مسار الانتظار، لأتعلم كيف انصر الامام وكيف اصون المقدس وكيف اعيش نكران الذات.

٤ . لأتعرف على نفسي وارسم خارطة لمواقع الضعف عندي ومواقع القوة وآليات التغيير فلا يمكن ان انجح في الحياة ما لم افهم نفسي وقدراتي.

٥ . لاسعى لاكتساب المهارات الحياتية المهمة كالثقة بالنفس وقوة الإرادة وأدب الحوار والإقناع والاستماع والتقدير والاحترام والاخوة والصداقة والتعاون وآليات الاستثمار والتخطيط النافع، وآليات حل المشكلات، وآليات تنظيم الوقت إلى غير ذلك.

٦ . البناء الروحي مهم للغاية فعلاقتي مع الله تؤثر على حجم مواجهتي للخطوب وعلى ثباتي على مبادئي، ولا بد من تدعيم البناء الروحي بالذكر وتلاوة القرآن الكريم واداء الفرائض والمواظبة على صلاة الليل وتعزيز الشعور بمعية الله.

٧ . لأعوّد نفسي على تحمل المشاق والتعامل الصحيح مع الضغوطات والتخلى عن ساعات راحة احبها.. لابد من ان أقوم بتجارب صعبة ربما ساواجهها مستقبلاً. – لنعود أنفسنا التكيف الذكي مع المواقف والأحداث التي تمر علينا. فالحياة لا تسير على مسار واحد؛ إذ فيها تغييرات وتناقضات وأمور سارة ومحزنة إلى غير ذلك، وهناك من يصاب بالصدمة والسكتة والذهول والضياع حينما يعترض مسير حياته عامل ما يؤدي إلى تلكؤ الروتين الذي اعتاده، وهناك من يوطن نفسه على الوصول إلى أهدافه رغم التحولات.. لاتصور تغييرات في حياتي، مشكلات، صعود في سلم الحياة، كيف سأكون ثابتة أمام التحديات؟.

٨ . لاعّود نفسي على الاهتمام بأمور المسلمين ..لاتابع نشرات الأخبار، لأحضر في المناسبات المهمة مع الناس كمراسم الدعاء والزيارة، ولاشملهم بالدعاء والاستغفار في صلاة الليل.

٩ . لاحرص على الاستزادة من العلم والمعرفة فنساؤنا ــبل وحتى رجالنا ــمع الأسف يعشن اما أمية كتابية واما امية معرفية سواء في إطار المعرفة الدينية أو المعرفة الاجتماعية بل اننا نجد نساء حاصلات على شهادات عليا من أرقى الجامعات ولكنهن لا يستطعن تلاوة بعض الآيات القرآنية بشكل صحيح!!، والثقافة للرقي وليست للاسترخاء والتباهي. فزينب عليها السلام لم تكن بنت عاشوراء أو وليدة الطف بل عاشت آلام الرسالة وأحداثها الصعبة والمرة منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى شهادة أمها، ثم ابيها ثم أخيها.. ولما جاءت إلى كربلاء كانت مدرسة للعلم والثقافة والشجاعة.

١٠ . لاصون هويتي.. فقد كانت لنساء الطفوف هويتان:

الأولى: إنسانية ظهرت واضحة في أداء مسؤوليات الاستخلاف والرغبة في ترشيد المجتمع نحو الله والرحمة والسمو على عوامل الجذب الدنيوية وإلى غير ذلك..

الثانية: هوية نسائية ظهرت من خلال حرصها على حجابها، وتقبلها لذاتها وعدم مطالبتها بأدوار ذكورية.

ولا بد للمرأة المسلمة المنتظرة ان تعيش كلا الهويتين وتسعى للحفاظ عليهما دون افراط أو تفريط.

١١ . الحضور الاجتماعي.. فنساء الطفوف لم يعشن الانزواء لا قبل الفاجعة ولا بعدها فقد كانت للسيدة زينب عليها السلام مجالسها مع النساء بهدف التوعية والإرشاد قبل الثورة وإقامة مجالس العزاء للنساء بعدها. كما انها تواصلت مع شريحة الثكالى

والأمهات المفجوعات ومع الشرائح الأخرى ولم يكن الحضور صورياً أو شكلياً بل كان حضوراً واعياً وذكياً.

إذن يكون حرصنا الاكبر في ان يكون لنا حضور في الساحة الاجتماعية ولنبتعد عن الانزواء فانه تبديد للطاقات وتجميد للحركة.

هذه المشاركة والحضور الاجتماعي تسهم في:

ألف . التعرف على المشكلات الاجتماعية وبخاصة فيما يرتبط بوضع النساء.

باء . ينمي الشعور بالمسؤولية تجاه الأُخريات وينمي المهارات الاجتماعية.

جيم . الحضور الاجتماعي يخفف من الانانية والانغلاق على الذات.

دال . يُسهم في إيصال ثقافة الانتظار إلى الاخريات. وفي دعم ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمهد للأعمال الصالحة.

وواحدة من أهم أبواب الحضور الاجتماعي هي المشاركة في الشعائر الحسينية وبكل أشكالها سواء في زيارة الرسول والأئمة عليهم السلام أو في حضور مسيرات عاشوراء أو الاربعين والمجالس الحسينية والتي لم تصل بعد الى مستوى الطموح لكنها مازالت مؤثرة على شرائح كثيرة من النساء. وتعد هذه كلها محطات تجميع الأمة وتحشيد الطاقات وتمثل روافد فكرية تعمل على زيادة الارتباط مع التاريخ ومع نساء الطفوف ومع عقيدة الانتظار.

١٢ـ اغتنام الفرص: فلقد كانت فرصة طيبة في ان يسلم وهب النصراني على يد الامام وان يحظى بشرف الشهادة. وكانت أيضاً فرصة لزهير ودلهم وطوعة في ان يسجلوا موقفا خالداً ولم يفكروا يوما في ذلك، ولكنها فرصة جاءت اليهم لتكسبهم شرفاً وخلوداً، وإضاعة الفرصة غصة والفرص تمر مر السحاب فلابد ان نعرف كيف نصوغها ولهذا من الانسب ان لا نتعود رد الفرص أو قول (لا) لكل مهمة تعرض علينا.

نساء الطفوف.. القدوة الخالدة

السيدة زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأة المسلمة

واحدة من أهم سبل العروج نحو الرقي والتكامل هو وجود المثل الأعلى والقدوة الحسنة للفرد والتي تخرج الفرد من قواعد التنظير والأفكار الجامدة وتحولها إلى إطار الواقع التطبيقي والصورة الحية للمفهوم وللفكرة. وبهذا يكون دور القدوة الصالحة دوراً تربوياً عالياً في التعريف بالنموذج الذي تسعى اليه النظرية الفكرية. كما انه أسلوب سهل يزيح العوائق التي يتصورها الفرد أمام رقيه وتكامله، من حيث ان هذه الصورة التطبيقية تعطي للإنسان الأمل في امكانية تحقيق النموذج السامي وتعرّفه بالوسائل والآليات الواجب اتباعها في هذا المضمار وبهذا توجّه إرادة الإنسان نحو مسيرة الكمال المنشود. ولولا وجود النموذج الحي والصورة التطبيقية للنظرية الفكرية لبقي الإنسان في موضعه حائراً لا يدري ما هي صورة النموذج والمثل الأعلى وما هو السبيل إليه بل ربما لا يكلف نفسه عناء الرقي والتكامل.

ولهذا اهتم القرآن الكريم بأمر القدوة الصالحة وعرض النماذج العليا في القدوات المعصومة والتي تمثلت بالأنبياء عليهم السلام وبخاصة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.[1]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾.[2]

أو في نماذج عليا للنساء كما هي الصور التي عرضها القرآن الكريم في نماذج

---

١ – سورة الاحزاب، الآية ٢١.

٢ – سورة الأنعام، الآية ٩٠.

الصالحين والصالحات كامرأة فرعون ومريم واللتين ضربهما القرآن مثلاً كنماذج للقدوة الحسنة لكل الذين آمنوا – من الرجال والنساء – وعلى مر العصور.

قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.[1]

وهذه القدوات المعصومة المطلقة الخالية من الزلل هي نماذج ثابتة، خالدة، ليس فيها اختلال أو تضارب بل هي قمة النماذج الإنسانية، وتصلح جميع جوانب حياتها وسلوكياتها لتكون نماذج حية وثابتة لكل عصر وزمان.

وهناك قدوات غير معصومة وغير مطلقة ولكنها أيضاً نماذج عليا، وصور عظيمة اقتدى بها الناس ومازالوا مثل سمية ونسيبة ودلهم.

ولعلنا الآن نلمس استتباعات الحرب الفكرية وصراع العولمة الذي يبغي تثبيت نماذج مهزوزة للقدوات في الفنانين والراقصات ونجوم السينما وغيرهم ومحاولة تشويه نماذج القدوات التي رسخت في الوجدان الشعبي تحت مسميات وصور هزيلة.. وهذا ما يبرر لنا سعي اعداء الإسلام على مر التاريخ لطمس صورة الإمام الحسين عليه السلام وصورة انصاره وتشويه معالم البطولات وتحريفها بما هو مشوه وضبابي.

ومن البديهي ان طرح نموذج القدوات الضعيفة أو السيئة، – بعض العلماء لا يسمي القدوات السيئة بهذا الاسم بل يعرضها تحت عناوين المحاكاة والتقليد –، يقطع

---

١ – سورة التحريم، الآيات ١٠ – ١٢.

العلاقة مع البناء التاريخي المتين وينهي أواصر الترابط مع النماذج الخالدة كما انه يمهد إلى تحديد صور ضبابية للرقي الإنساني في نماذج واهنة تدور ضمن إطار الأهداف المادية والدنيوية وضمن دائرة الجسد والشهوة والهوى وهذه كلها قواطع وموانع تحول دون الوصول للمثل الأعلى المطلوب وهذه هي إحدى الكوارث التربوية التي نعيشها والتي جند لها الإعلام اللا ديني كل اجندته وآلياته للنجاح فيها.

نساء الطفوف ... القدوة الحسنة

تشكل منظومة نساء الطفوف منظومة كاملة لكل نماذج القدوات الحسنة، ومنظومة سامية في تقديم المثل الأعلى الصالح لكل زمان ومكان. وهؤلاء النساء العظيمات وعلى رأسهن السيدة الحوراء زينب عليها السلام عقيلة الطالبيين هن النموذج الحي للرسالة في كل زمان وبخاصة في زماننا حيث التحديات الصعبة والمجابهات الفكرية في أعلى المدارج هؤلاء النساء لسن شخوصاً عشن ومتن.. لسن نساء عبرن أياماً وسنوات إلى نهاية الأمد بل يمثلن رؤية الإسلام والإمام عليه السلام للمرأة ويمثلن منطلقات للمرأة المسلمة المعاصرة فيما يجب ان تكون عليه.

هؤلاء النساء عشن الحرية بكاملها لم يذعنَّ للحاكم ولم يخضعن للسلطان ولم تُزِدْهُنَّ حراب الأسر والأذى إلا تصميماً على إدامة المسير حتى يأتي الله بأمره.. وقد نعيش الاغتراب عنهن حينما نذعن للنفاثات في العقد، وللمضللين من شياطين الإنس والجن، وحينما نساوم على العقائد من أجل دنيا فانية ومتعة وقتية زائلة.

لقد عاشت هؤلاء النساء الاهتمام الفكري بالأمة المسلمة، وكيف السبيل إلى بيان الحقائق لها وكشف الوجه المشوه للحاكم الأموي وأعوانه وعشن أيضاً الاهتمام الحركي بالأمة المسلمة المغلوب على أمرها آنذاك في كيفية انقاذها وإحيائها وبيان محطات العز لها وكيف تحيا بكرامة دونما ذل أو عبودية..

فمن ناحية تعرض نساء الطفوف نماذج لقدوات متعددة الأدوار. حيث نجد الأمهات الفدائيات من أمثال أم وهب وأم عبد الله الكلبي ورملة.. واللائي دفعن أولادهن للتضحية فداءً للإمام الحسين عليه السلام ونجد أمهات لا يسألن عن أولادهن الشهداء بين الضحايا كالسيدة زينب عليها السلام؛ لأنهن كان الشغل الشاغل لهن فقط في صيانة الإمامة. وهناك نماذج سامية للزوجات الصالحات فدلهم زوجة زهير بن القين وزوجة حبيب بن مسلم كن زوجات حبيبات ومحبات يدفعن أزواجهن للموت لنصرة الإمام عليه السلام رغم ما في الفراق عن الحبيب من لوعة. ونجد الرباب زوج الحسين عليه السلام نموذجاً متألقاً. هذه المرأة التي يقول فيها الإمام:

لعمــــرك إنـــــي لأحـــــب داراً تحـــل بهـــا ســـكينة والربـــاب

تراها تعيش كل صور الأذى وفي اجواء الحرب الظالمة تعيش لوعة أبناء يستغيثون من الظمأ وترى ولدها الرضيع مذبوحاً وابنتها تتلوى من العطش وزوجها الحبيب يجود بنفسه ولا من معين، وهي فيما بعد تقاد أسيرة ويبحث عنها العدو اللئيم ضمن قافلة السبايا متشمتاً بقول الحسين فيها.. هذه الزوجة الصابرة لا نسمع لها شكوى أو عتاباً مع الزوج أبداً بل كلها مشاعر جياشة نحو الاحبة الذين صرعوا على أرض المقدسات. نجد الرباب نموذجاً سامياً في الزوجة الحانية التي تقف إلى جوار الزوج حتى بعد استشهاده وتجتر آلام الفاجعة دون ان يكون لها شكوى فهي المؤمنة بأهداف الحسين الصابرة على جهاده وعلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.. وقد تكون صورة الرباب الزوجة المواسية حاضرة لدى الكثيرات من النساء اللائي يرون أزواجهن منصرفين لهموم الرسالة ولا يجدون الوقت الكافي لأن يكونوا مع أسرهم.. ولكن ان ترى الزوج والولد بهذه الصورة وان تحضر مجلس الأعداء فذاك أمر آخر.

وفي نساء الطفوف نجد النماذج العليا للشابات في فاطمة بنت الحسين عليه السلام

والتي القت خطبتها في الكوفة أمام الناس الذين تلكأوا عن نصرة الإمام وبكل قوة وثبات وهي الاسيرة المرهقة وهي الوحيدة التي تكلمت من بنات الإمام بعد استشهاده، هذه اليتيمة القت من جوفها حمماً على المتخاذلين فتحولت تلك الحمم إلى وقود يشعل بيارق الثورة.. وتجد كلماتها لا تقل فصاحة أو قوة عن باقي الخطب فهي نموذج سامٍ في الوعي والمعرفة وفي نصرة الرسالة والعقيدة ضمن شعار الكلمة وضمن شعار القيم التي حملتها فتراها تلجأ الى عمتها زينب عليها السلام ما ان بان لها طيف من هوى الشامي الذي ارادها جارية. فما كانت والعياذ بالله من أولئك الذين ارتأهم الشامي بل كانت أجل واسمى لكن كم هو مؤلم ما سمعت من كلام وهي قمة في الطهر والعفاف وهي الحرة الأبية، وما احوج شاباتنا اللواتي تستغرقهن غواية الموضة والسفور والتشرنق حول دائرة المكياج والملابس إلى ان يعشن صورة الشابة التي هي مثلهن في العمر وربما في الرغبات لكنها عاشت أهدافها العليا المقدسة وصانت قيمها رغم قلة الناصر وأدت ما انيط بها من دور إعلامي جليل بكل قوة وجدارة في زمن نحس مكفهر.

أما الشابة الأخرى وهي سكينة بنت الإمام فلم تكن أقل شجاعة عن اختها وهي أيضاً نموذج للشابة المؤمنة المحافظة على حجابها وايمانها حتى في مواقع الخطر.. ونموذج للشابة التي لا تعيش التذمر رغم كل المصائب التي مرت عليها، ما نسمع لها عتاباً وذماً وهروباً من واقع ثقيل المأساة أبداً بل هي البطلة الثابتة المبادئ الراسخة الإيمان.

أقول في نفسي: ما احوج شاباتنا اليوم للتأسي بهؤلاء الشابات العظيمات اللائي – رغم صغر سنهن – عشن أدواراً صعبة وأهدافاً عليا وكن نموذجاً للمرأة التي تسمو على الشهوات والاهواء.

وهناك نسوة لم يكن بقوة أسرة المعصوم أو كفاءتها لكنهن قدمن العظيم والكثير

فهذه طوعة الشجاعة الابية تنصر مسلماً وتؤيده في وقت خذله صناديد الكوفة. وعجباً للتاريخ الذي سجل لحظات النصرة هذه لتكون وساماً خالداً لهذه المرأة القوية في دينها الثابتة على ولائها والتي لم تصبح ضحية الأهواء كما كان ابنها وغيره من الرجال.

وكان التاريخ – ومازال – ينسب الغواية للنساء ويصفهن بقلة الإيمان وتزحزح العقائد والذوبان في الهوى وهي تهمة غادرة اراد الرجال من خلالها ان يبرروا فيها ضعفهم وانزلاقهم في الشهوات. وطوعة قالت عكس ما قالوا وثبتت في التاريخ قوة الشخصية لدى المرأة المسلمة.

هؤلاء القدوات الصالحة يعلمننا ان نتحرك دون شكوى أو تذمر أو استياء وان ننتهز الفرص من أجل التغيير والإصلاح في أمة المصطفى. واذا كنا نفكر كم نتبوأ من مساحات في الحيز الاجتماعي فهذا ما لم تفكر فيه هؤلاء النساء إذ كانت حركتهن خالصة لله ومع الله وإلى الله ولابد ان نتعلم وان تكون لنا اذن واعية.

الشهيدة بنت الهدى ..نموذج معاصر

لم تجرِ العادة ان يكتب الرجل في كتبه ومؤلفاته باسم غير اسمه أو التعويض باشارة عنه؛ لأن العرف يدعمه ويسانده في تعريف نفسه. أما المرأة فغالباً ما يكون نجاحها محاصراً معسراً ولهذا كتبت بنت الهدى باسم مستعار يكنّى عن هويتها النسائية لا أكثر. ورغم ذلك فقد حورب هذا الاسم النسائي ضمن اطروحات العلماء المتصلبة؛ إذ كيف يمكن لهذه الانثى ان تقتحم قلاع العلماء الكبار فتأخذ منهم سطوراً وصفحات كانت مقصورة عليهم!. وهذا الامر عاشته المرأة الغربية قبلها فقد كتبت جان ساند باسم الرجال رغم انها كانت إياها لا إياه!. فالذكورية كانت حاكمة ومسيطرة على العقل المجتمعي.

ولكن بنت الهدى رحمها الله كانت اقوى من التحديات المعاصرة فكتبت ونشرت

كتبها النسائية في زمن الهجمة الشيوعية المحاربة للإسلام وفي وقت تفرغ فيه علماؤنا الاعلام للرد على الفكر الشيوعي وحماية الفكر الديني بشكل عام، تبنّت الشهيدة احياء وتوعية عقل المرأة المسلمة ووقايته من التلوث الزاحف وتقديم القناعات القوية لها حول دينها وإسلامها. وكانت ضمن حركة دؤوب بين أطياف المجتمع العراقي فنشرت فكرها في الحيز الجامعي واستقطبت طالباته وقدمت لهن الرؤية المعاصرة للإسلام والذي يريد للمرأة ان تكون واعية متسلحة بالمعرفة والعلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) لكن ضمن القيم الإسلامية. اعدت الشهيدة جيلاً من النساء المؤمنات الصالحات اللائي حملن مشعل التغيير والإصلاح وانطلقن يكملن برنامجها الإسلامي الكبير حتى ظهر الخط الإسلامي الواضح من خلال انتشار ظاهرة الحجاب في الوسط الجامعي وفي أوساط الأثرياء والفقراء على حد سواء. وكانت ظاهرة مميزة وجهت رسالة واضحة للحكام والشياطين بابطال اجندهم الفكرية التي رصدوها لحرب الإسلام وتشويه أفكاره وقيّمه الحضارية.

ولهذا سارع نظام صدام المقبور إلى انهاء حياتها كي ينهي صورة معاصرة للمرأة المتسلحة بالعقيدة وهي تدافع عن العقيدة. صورة لامرأة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر في زمن الضباب والتضييق.. قتلها صدام لكي لا تسير على خُطى زينب فتنطلق في دور إعلامي واسع ينشر لواء الإسلام عالياً في سماء أرض الطفوف بعدما ألبت الناس على النظام من خلال انتفاضة رجب[1] فلابد ان يقطع هذا الدور.

ان الكفر الحاقد لم يبق لها جسداً ولا أثراً سوى تلك الصفحات المكتوبة في

---

١ ـ في انتفاضة رجب عام ١٩٧٩ اعتقل المرجع السيد محمد باقر الصدر فما كان من السيدة آمنة الصدر اخته إلا أن تحضر الحرم الحيدري وتعلن نبأ اعتقال السيد وتدعو الناس للجهاد ولنصرة المرجع الصدر، فخرجت المظاهرات في أنحاء العراق ضاغطة على الحكومة في الافراج عن السيد وهذا ما حصل.

أوراقها القديمة.. لكن طالباتها مازلن ينشرن لواء الإسلام في ارجاء المعمورة مستفيدات من كل الآليات المتاحة.

ان بنت الهدى صورة معاصرة ومشرقة للمرأة المسلمة ولادوارها الزينبية في زمن التحديات الصعبة. ولعل هناك صوراً أخرى لا تقل عن هذه الصورة لكنها غائبة أو مغيبة (كما غاب الألوف من الرجال في سجن الحجاج).. انها ثمرة العطاء الزينبي الخالد لعاشوراء عام ٦١ هـ.. إذ لم تكن ثورة الحسين وكلمات زينب لوقتها وزمانها وأرضها المحدودة إنما كانت لكل الأمة على مر الأزمان والتواريخ.

كيف تبقى صورهم في الذاكرة؟

نحتاج إلى ان نحافظ على هذه النماذج السامية في القدوات الصالحة وان نبقي وهج أنوارهم في نفوسنا.. ولا بد أولاً ان نفهم هؤلاء النساء ونعرفهم ونعرف أدوارهم وكيف ضحين وجاهدن في الله حق جهاده.

ولا بد لنا – كمربين – ان نستعين بكل ما من شأنه ان يحفظ هذه الصورة النبيلة عبر استخدام التقنيات المعاصرة والاصرار على حماية المنبر الحسيني بتقديم هذه النماذج بشكل دوري ودائم كي لا يضعن في غيابت النسيان.

لابد من التعريف بشخوصهن وأدوارهن وزرع القوة في نفوس بناتنا ونسائنا بأنهن قادرات على إعادة الأدوار الكريمة وعليهن التعرف على آليات النجاح التي اتبعنها.. لابد أولاً ان نعرفهن على قوة المرأة المسلمة وقوة شخصيتها ولكننا – مع الأسف – ظلمناهن.

فهذه هي مشكلتنا الإساسية، فلقد حرصنا على الدوام على تصوير هؤلاء النساء اللائي كن جبالاً في الشجاعة والصمود والثبات. حرصنا على تصويرهن على انهن نساء عاجزات ضعيفات لم يكففن عن الشكوى والعتاب مع الاخ والزوج والابن

وشتان بين الصورتين.. وهذا لعمري ظلم كبير!..ولقد حرصنا دوماً على تقديم صور النساء في الفاجعة لاستثارة العواطف واشعال المشاعر وهذا ما جعلنا نقفز على كل ما هو صحيح وواقعي من أجل دموع قلائل. كسرنا هؤلاء القدوات حينما جعلناهن نماذج سلبية جامدة واقتربنا منهن فقط ضمن دائرة المأساة والمواساة لا أكثر.

ظلمنا هؤلاء العظيمات حينما فكرنا ان نقترب من الإمام ونسائه لا من موقع الثورة والتغيير والانتصار الحتمي الخالد بل من موقع الانكسار والبكاء والندب الجاحد الذي يميت هؤلاء العظيمات في دوائر الانهيار.

ظلمنا هؤلاء النساء حينما جعلنا الحواجز بيننا وبينهن واسعة وبعيدة فهن غائبات عن حياتنا إلا في دائرة البكاء.. لقد وسعنا قبور هؤلاء العظيمات فهن في وعينا كائنات ميتة ماتت بعد بكاء طويل وشكوى مستمرة!.

ظلمنا هؤلاء النساء اللائي عشن الحرص على الإسلام والإمام والأمة كلها.. ظلمناهن لما عشنا همَّ أنفسنا وذواتنا بعيداً عن هموم الأمة الكبيرة وهموم الإسلام الذي يذبح من منحره كل يوم ربما مئات من الحسينيين والزينبيات... ورغم ان نساءنا اليوم يعشن الكثير من المشكلات والتصدعات في جدران الهوية والهدف والطموح لكنهن لم يتعلمن آليات التعامل مع هذه التصدعات من خلال صور نساء الطفوف أنفسهن!.. أو ليس هذا ظلماً كبيراً لهؤلاء النساء الخالدات؟.. والأدهى والأمّر اننا نستجدي من الاخريات ممن هن أقل شأناً وحظاً وديناً ما نتصوره ناصراً لنا على مشكلاتنا. وهذا ظلم أكبر من سابقه.

ربما نبكي زينب عليها السلام ونذرف عليها دموعاً متتابعات لكننا نقتل في كل يوم وليلة الف زينب من خلال استهانتنا بمبادئ ديننا، بمواقيت صلاتنا، بحجابنا، بقيمنا، باهتمامنا بمعرفتنا.. نقتل زينب حينما نعيش استغراق الصورة والمظهر لا استغراق الدين والعلاقة مع الله.

نحن نقهر أنفسنا على الذوبان ضمن الصورة الجسد وننسى ان زينب عليها السلام كانت عظيمة حرة أبية طفرت على كل ابعاد العبودية التي تطوق نساءنا المعاصرات. لم تكن واحدة من نساء الطفوف تعيش القهر والجبر على الحضور إلى كربلاء أو على القيام بأدوارها الرسالية العظيمة وعشنا نحن قهر الموضة وقهر العادات والأعراف فبقينا نرزح تحت قيود العبودية دهراً طويلاً.

وإذ اننا نعيش كل هذا الظلم الكبير لهؤلاء النساء، فكيف نستطيع ان نضعهن في سلم الاقتداء الصاعد عبر الفكر والمنهج وليس في سلم الاقتداء الجامد عبر العواطف الميتة؟.. وإذا ما حررنا هؤلاء النساء في وعينا وذاكرتنا وأخرجناهنّ من سجن ظُلمنا إياهن فحينئذ نستطيع تحفيز القدوة في سلوكنا وسلوك الآخرين.

لنتعلم أولاً ان نبكي على الحسين وأنصاره ونسائه لا من أجل الثواب والأجر – وان كان هذا مطلوباً بحد ذاته وتشجع عليه الرسالة – لكن من باب ابراز الحاجة والعوز إلى محطات الانطلاق كي ننطلق كما انطلقوا.

الفصل الرابع

سيدة الطف الأولى



السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام

في العام الخامس للهجرة، تطايرت نسائم الفرح في أرجاء البيت الفاطمي وقد غمره السرور وفاضت به البهجة بميلاد الحفيدة الأولى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وها هي الزهراء عليها السلام قد تهللت أساريرها واشرق وجهها وهي تحتضن المولودة الصغيرة متأملة البراءة العذبة المرسومة على محياها الصغير.. وانتشر خبر ولادة الحفيدة الأولى في أرجاء المدينة كما ينتشر عطر المسك الزكي وتسلق جدران مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لينتشر بين جنباته وأركانه وها هو علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله وأخوه وابن عمه يتلقى البشرى فتهفو نفسه لرؤية المولودة المباركة فيترك المسجد ويحث الخطى إلى البيت يتبعه ولداه الحسنان عليهما السلام سبطا هذه الأمة وريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة ليريا اختهما الصغيرة وقدكان الحسين عليه السلام يكبرها بسنتين.

حمل علي عليه السلام الطفلة بين يديه.. تأمل وجهها الباسم وطبع على جبينها قبلة وقرأ الأذان والإقامة في اذنيها. وتسابقت النساء تزف له التهاني بالزهرة المتفتحة في البيت المحمدي سليلة الزهراء وخديجة الكبرى عليهما السلام.. وتساءل الجميع عن اسم هذه المولودة؟ فسكت علي والتفتت إليه الزهراء عليها السلام وقالت سمّ هذه المولودة فقال: ما كنت لأسبق رسول الله وكان في سفر له. ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن اسمها فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما كنت لاسبق ربي تعالى، فهبط

جبرئيل يقرأ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلام من الله الجليل وقال له سمّ هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم. وزينب تعني زين أبيها وكانت حقاً زين ابيها وأمها وزين رسالتها ودينها.

مناقبها الفاضلة

وفي هذا البيت الذي استضاء بأنوار الرسالة المحمدية وثبتت أركانه على دعائم التوحيد شبّت زينب وترعرعت لتكون تربيتها على يد سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيدة نساء العالمين خديجة عليها السلام وعلى يد سيد الأوصياء وقائد الغر المحجلين والسابق إلى الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا رضعت زينب من ثدي الإيمان وتغذت من مائدة الرسالة؛ لترتقي السلم الإيماني لتكون حقاً عقيلة بن هاشم - والعقيلة هي المرأة الكريمة في قومها - فالاستعداد الفطري للكمال موجود عند الجميع ويمكن الوصول إليه عن طريق التربية الصالحة والتوجيه والجهد والاكتساب، وإذا كان عدد قليل من النساء قد وصلن إلى مرتبة التكامل الإنساني على مر التاريخ فليس هذا بسبب القضاء أو القدر أو الضعف البدني بل بسبب الإهمال لعناصر القوة والوعي في تربية الشخصية (فالمرأة بحاجة إلى تنمية شخصيتها وبنائها على أساس تقوية الطاقة العقلية لديها بالتجربة الحية والمعرفة الواسعة ولا بد من وجود النمو العقلي والعملي والحركي لها).

ولقد توفرت لزينب عليها السلام كل أسباب التربية الناجحة، ولهذا فنحن لا نجد فضيلة إلا وزينب عليها السلام في قمتها فمن زهدها انها كانت - على ما رواه الإمام السجاد عليه السلام - انها ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً.

وكانت عليها السلام تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن وما تركت صلاة الليل حتى في ليلة الحادي عشر من محرم رغم شدتها.

وعن عماد المحدثين: ان زينب عليها السلام كانت تروي عن امها وأبيها

وأخويها وقد روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين وعبد الله بن جعفر.

وكانت عليها السلام من أكثر نساء أهل البيت جرأة وبلاغة وفصاحة وهذا واضح من خطبها في الكوفة والشام.

وعن الصدوق محمد بن بابويه (طاب ثراه):

كانت زينب عليها السلام لها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام والناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين من مرضه.

وفوق كل هذا فقد كانت على قدر كبير من العلم والمعرفة وكانت لها مجالس لتعليم النساء القرآن الكريم في الكوفة ما بين عامي ٣٥ ـ ٤٠ هـ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان لها دوراً كبيراً في عملية التوعية النسائية، وهذه العملية المهمة والخطيرة تحتاج إلى المرأة المثقفة الواعية العالمة بشؤون دينها والأمة نفسها تحتاج إلى هذه العملية لتحريك العنصر النسوي والقضاء على الجهل بين صفوفهن.. وخلاصة ما قلناه ان زينب الحوراء عليها السلام كانت صنوان أمها في طيب الخلق وحسن السجايا وكانت تشبه اباها في قوة القلب في الشدائد والثبات عند النائبات والصبر على الخطوب القاسيات.

زواجها المبارك

ولعظم مناقبها وكرم أخلاقها العالية فقد خطبها الكثيرون فردّهم الإمام عليه السلام بحثاً عن الكفوء الذي يليق بهذه المرأة العظيمة، ولم يكن هناك اجدر من ابن اخيه عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الذي كان أول مولود يولد في الإسلام في أرض الحبشة التي هاجر إليها أبوه جعفر وامه اسماء بنت عميس مع جمع من المسلمين. وكان جعفر من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عاد من الحبشة إبان فتح خيبر فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقبله وهو يقول ما ادري بأيهم انا اشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.

زينب... المرأة الصابرة

ابتداء من عصر عاشوراء تنتقل المهام الاساسية للسيدة زينب عليها السلام .. فقد اصبحت هي مديرة القافلة ذلك ان الرجل الوحيد الذي بقي من أهل بيت الحسين عليه السلام في كربلاء كان الإمام زين العابدين، إذ كان في حالة صحية متردية.[١]

ان المقام الشامخ لزينب عليها السلام انما تبلور في الواقع من عملها التبليغي.

ولقد استطاعت زينب عليها السلام التغلب على عواطفها في اللحظات الحرجة وكان من الممكن ان تنهار لعظم الفاجعة ولكنها صمدت وسيطرت على مشاعرها واحاسيسها لتعطي صورة المرأة الصابرة الثابتة التي تفوق صلابتها الجبال الراسيات.

زينب عليها السلام خطبت في الناس وكانت في منتهى الحياء والعفة والعظمة وبذلك تكون قد عجنت في شخصيتها حياء المرأة وشجاعة علي.[٢] يقول الراوي ولم ارَ والله خَفِرة قط أنطلق منها.[٣]

أظهرت السيدة زينب عليها السلام درجة عالية من التسامي من خلال التحول إلى الأهداف العليا التي انطلق من أجلها الإمام عليه السلام في نهضته ويبدو ذلك من مواقف عدة فقد مر بنا في أدوار نساء الطفوف في دور المتابعة والحماية والذي يكاد يكون خاصاً بالسيدة عليها السلام نرى سؤالها ومتابعتها لشؤون الإمام والاخوة ولكن لا ينقل المؤرخون أي شيء عن سؤالها عن أولادها الذين استشهدوا في الواقعة.. لقد كان الإمام كل همها وكل حياتها ولكن ليس بمعنى الأخ فحسب بل كان بمعنى الولي الشرعي والإمام المعصوم والقائد الأول.

---

١ ـ مطهري، الملحمة الحسينية، ص ٢٥٣.

٢ ـ مطهري، الملحمة الحسينية، ص ٢٥٦.

٣ ـ المقرم، مقتل الحسين.

وهذه مرتبة عالية تشير إلى عِظم نكران الذات وتبلور المهم نحو الاهم والذوبان في الهم الأكبر ولعل نكرانها لذاتها واهتمامها بشؤون الرسالة والإسلام يبدو واضحاً منذ البداية حيث اصرت على ان تكون معه، وهي تعلم مشقة السفر وغياب الراحة والأمان فيه. لكنها انطلقت من موقع حاجة الرسالة إلى وجودها واهمية دورها في كربلاء.

كما ابدت السيدة مهارة عالية في قيادة إدارة شؤون القافلة الحسينية وتولّيها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث كان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً آنذاك فما هو معروف ان الأزمات والخطوب تُعَدَّ المرآة العاكسة لشخصية الفرد، فالشخصية لا تبدو ملامحها وخصوصياتها وقدراتها إلا في الظروف الصعبة وفي المحكات الحرجة وهذا ما يقوله الشيخ مطهري رحمه الله: لم تكن زينب عليها السلام شخصاً في التاريخ ولكنها انطلقت لدعم الحق الذي عرفت أهله لتكون كلمة الله هي العليا.

فالتاريخ انما يدون حركة الذين يتركون بصماتهم عليه وواحدة من البصمات الموجودة هو دور القادة والمدراء في الحركة العامة. ونحن إذا تتبعنا التاريخ نفسه فماذا يحدثنا عن خلافة مروان الحمار غير الحماقة والذل، وماذا يزيد على خلافة سليمان بن عبد الملك غير الشره والظلم اللا محدود. ويمكن ان نتابع الشأن الاداري والقيادي للسيدة زينب عليها السلام من خلال عدة أمور:

ففي الأوقات الحرجة واللحظات العصيبة، عادة ما يبحث الناس عمن يلتفون حوله ومن يعينهم في ذلك الظرف العسير، وبعد واقعة الطف لم يبق من الرجال أحد إلا الإمام السجاد عليه السلام والذي كان هو الآخر مريضاً وبحاجة إلى رعاية وعناية.. كانت هناك مجموعة من الطيور الجريحة والمنكسرة في الركب الحسيني وهؤلاء كلهم التفوا حول السيدة زينب عليها السلام لأمور منها وصية الإمام الحسين عليه السلام للسيدة وتكليفها بهذا الأمر.

لقد كانت لزينب عليها السلام مسؤوليتان: الأولى ان تعطي النموذج الأعلى للمرأة المسلمة في ان تكون اكبر من المصيبة. والأخرى ان تعطي القوة والصلابة لمن حولها.

وقد كانوا كلهم قبل استشهاد الإمام وبعده متمسكين بالسيدة، فهذه رباب تسلم رضيعها الظامي إلى السيدة زينب لتوصله بدورها إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهذه فاطمة بنت الحسين عليه السلام تلوذ بعمتها في مجلس يزيد، وتلك رقية ترافقها السيدة حتى وفاتها ودفنها في الشام. وقد سمعنا ولاحظنا مراراً ان كثيراً من الذين يدّعون وجود قدرات قيادية وإدارية عليا لديهم يتعثرون أمام المشكلات والأزمات التي تعترض طريقهم وكثيراً ما ينهارون أو يبحثون عن ملجأ يفرون اليه. وبعضهم يلجأ للانتحار لأنه غير قادر على التكيف مع المشكلات أو المصاعب التي تعترض سبيلهم، في حين ان الظروف التي مرت على آل البيت عرّفت بقدرات السيدة وابانتها إلى العالم الإنساني كله، ففي الظروف الصعبة يلتف الأفراد حول نموذج يتعلقون به وهذا يتطلب الإيمان بقدرة هذا الشخص فلا بد وان يكونوا قد عرفوا له مواهب وملكات واخلاقيات عليا. ولابد ان يعرفوا انه يمتلك مقداراً من القوة التي يعبر فيها عن رأيه بصراحة دون خوف أو وجل. وان يتخذ مواقف حاسمة في المنعطفات الساخنة (فاطمة بنت الحسين مع الشامي) (وموقفها من الصدقات)، وان لا يبدي ضعفا اوانهياراً أمام المجموعة كي لا ينهار أعضاؤها الباقون، وهذا هو أحد الأسباب التي تحدثنا عن مواقع القوة لدى السيدة في شخصها وشخصيتها وفي قدرتها على اتخاذ الموقف الحازم في الظرف الصعب. وهنا سنمر على صفة أخرى لدى السيدة ومواهبها الإدارية والقيادية.. فالإداري الناجح والقائد الناجح هو الذي يتمتع بمعنويات عالية ويقف على أرضية صلبة من القوة النفسية الصامدة. وهو - أي القائد والإداري - لابد وان يطلع على نفسية موظفيه فيعرف بحساباته وأرقامه كم هي معنويات من هم تحت يديه ليهب لهؤلاء

الضعاف في المعنويات وذوي الدرجة الدنيا من القوة الذاتية الباطنية فيهبهم ما يشد ازرهم ويقوي شكيمتهم ويثبتهم في موقع الانهيار، ولهذا لم نسمع عن أي موقف ضعيف أو مهزوز أو لا يناسب الساحة المقدسة لآل البيت عليهم السلام.

لقد مرت السيدة على مصرع الحسين عليه السلام ووضعت يدها تحت منحره لتقول نحن آل البيت قدمنا قرباناً لنصرة دين الله. ولم تهن ولم تضعف أمام الجند بل اظهرت شجاعتها وصلابتها واخفت دموعها مع نفسها حتى لا يراها عدو أو شامت وبهذا عرفت نساء القافلة ما هو المطلوب منهن. فهنا في قضية الحسين ليس هناك وقت لاظهار العجز وافراغ الحزن الاجوف، وبهذا قادت السيدة زينب عليها السلام القضية الحسينية – تحت رعاية المعصوم – في مساراتها الحادة والصعبة لكنها عبرتها بقوتها وقوة إيمانها بالله تعالى وكانت تهتم بتقوية المعنويات لدى ابناء القافلة، ولأن النساء عشن اجواءً قيمية سابقة في بيوتهن الأولى فقد كان للعامل النفسي والمعنوي أثرٌ في صياغة القيم التي حملها الحسين عليه السلام في ثورته سواء القيم الأساسية في العز والكرامة والتضحية والصبر والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو القيم الأساسية الأخرى كقيم صيانة المرأة وحفظ ماء الوجه برد الصدقات وإلى غير ذلك.[1]

بل ان معنوياتها العالية وروحيتها السامية لتحكي عن عظيم صبرها.. لله درك يا سيدتي.. هي التي مرت على أجسام الضحايا وهي التي قدمت القربان وهي التي كانت تأنس بصوت الإمام الحسين خارج الخيمة يقاتل حتى إذا انقطع الصوت وجاءته لتراه كومة من سهام!!.. هي تواسي الإمام السجاد عليه السلام لما رأى مصرع أبيه. ولا

---

١ – زينب ادخلت السكينة في قلوب الأطفال وهدأت روعهم خاصة بعد هجوم الخيول على المخيم المحترق وفزع النساء وحيرتهن في أي اتجاه يتحركن تأتي زينب المكلوم قلبها لتهدئ هذا الجمع الغفير ولا يمكن ان ينجح أحد في هذا الدور ما لم يكن هو مظلّلاً بالسكينة. (مؤسسة البلاغ، نساء هن المثل الاعلى).

أقول ان الإمام - والعياذ بالله - أقل صبر وكيف ذلك وهو شيخ الصابرين ولكني أقول بقدرة هذه المرأة على ضبط عواطفها - فدموعها داخلية - والسماح بالقدر المناسب في الوقت المناسب لمشاعرها ان تظهر على السطح. فهي تواسي الإمام الجديد الذي آمنت بطاعتها له وتصّبره على مرأى الخطب العسير وتذكره بالعهد القديم .. كانت السيدة تواسي الإمام وتواسي الآخرين لكن من الذي واساها وصبرّها وقدم لها العزاء؟!

وتشاطرت هي والحسين بدعوة ... حتم القضاء عليهما ان يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه ... في حيث معترك المكاره في السّبا[١]

وبهذا فالمرأة القوية الشخصية القوية الروح والمبدأ القوية في ضبط العواطف والمشاعر لهي نعم العون للرجل في ساعة الخطر وفي مساحات الشدة، فهذا رسول الله يجد في خديجة نعم المواسي ونعم العون، وإذ قدمت السيدة خديجة للمسلمين مالها فهي قدمت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تصبرها وتصبيرها، قدمت المشاركة النفسية في مواجهة الضغوط وهو احوج ما يحتاج إليه كل مصلح وكل نبي وكل قائد.. وهو ما يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقول:

آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذّبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء».[٢]

وكذلك كانت السيدة الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام.. لقد آمن كلاهما بالقضية الحاسمة آنذاك قضية الولاية وقضية الرسالة وقضية فدك.. كانت الزهراء عليها السلام هي التي تدافع عن حق زوجها - وهو حق الرسالة نفسه - وهي التي تعلن استنكارها للظلم والحيف والجور لم يكن مع علي رجال كثيرون في صراعه الأول لكن

---

١ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٠٧.

٢ - الصقلاني \الاصابة في تمييز الصحابة.

الزهراء كانت إلى جواره حتى إذا ما رحلت وقف عند القبر باكياً.

وقد حاصرنا مفهوم القوة في الكتف العريض واليد الغليظة وفي صولة السيوف. ولكن القوة الذاتية لدى الإنسان كقوة زينب ناءت عن مضاهاتها آلاف السيوف..

ويرى البعض ان هناك تخوّفاً لدى الرجال من ان تكون المرأة قوية في شخصيتها ويتصورون القوة في الجرأة أو الوقاحة وكلاهما مرفوض إنما القوة تبدو في صيانة المواقف وفي التحكم بالمشاعر وفي دعم الأساسيات العامة التي تريدها الأمة.. وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ الخوف من قوة شخصية المرأة؟ وقد رأينا بعضهم يسعى لابقاء المرأة بين ظلام الجهل واساطير الخرافة ويتصور انه بهذه الوسيلة سيبقي على المرأة في قبضة يده – يا للعجب – كأننا نعيش في غابة لابد من قوي يأكل الضعيف ولا بد للضعيف ان يعيش أخرسَ أبلهَ أعمى كي يبقى في الغابة!.

ان المرأة اذا تكاملت اقتربت في سماتها من الرجل المتكامل وهذا ما بان واضحاً عند السيدة زينب عليها السلام والتي كانت شبيهة لاخيها الإمام الحسين عليه السلام في رفضه للضيم والذل وعدم رضوخه ليزيد، فزينب قالت له (مثلي لا يبايع مثلك) ولكن بلغة أخرى، وهي إذ لم تعطهم اعطاء الذليل، فهي أيضاً بقيت الحافظة للقيم التي نادى بها الإمام الحسين ونشرها.

وزينب مثلت المعارضة للحكم الأموي وهي مع نساء الطفوف كنَّ نموذجاً لنساء محجبات مؤمنات عابدات معارضات للحكم الأموي.

والسيدة زينب عليها السلام التي تصدّت لكل هذه الاحمال والأثقال في وقت الشدة وتحملت المسؤوليات الجسام، بل تعددت مسؤولياتها ما بين الحفاظ على العيال والحفاظ على القيم والحفاظ على القضية والحفاظ على المواقف العامة وما بين التسامي والانعتاق من أسر الضغوطات والطيران في أجواء السماء الإلهية.. لم تنس ولم تترك صلاة

الليل حتى ليلة الحادي عشر وهي بهذا القلب الكسير والهم الثقيل وعيون الأعداء ترصد زينب وترصد صلاتها، فالصلاة معراج كل مؤمن لكنها صلاة الاستنكار والإدانة لما قام به الأمويون.. ومهما زاد بطشهم فعلاقة السيدة مع الله مازالت في القمة.

وقد رأيت بعض النساء أمام أدنى مشكلة في البيت مع الزوج اوالأولاد تهمل صلاتها وتقلص حجم ما تستطيع تقليصه وتقدم لنفسها عذراً في ذلك بانها مثقلة الهم، وليست المرأة وحدها في هذا الجانب بل الرجل أيضاً وبخاصة الرجل المعاصر الذي تحيطه المغريات وتحاول ان تنتزعه (المعاصَرة) من دينه وقيمه..

وبسبب مجالس العزاء التي اقامتها في المدينة والتعريف بفكر الثورة الحسينية أمر يزيد باخراجها من المدينة كي يصبح قبرها فيما بعد مزاراً وموئلاً..

لقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام برجالها ونسائها ومسيرها حركة جلية نحو الله لم تكن هناك دنيا أو اهواء او استرقاق دنيوي، بل كانت هناك رغبة وتسابق نحو تحصيل رضا الله وجنات الخلد، ولئن استشهد الإمام عليه السلام وصحبه بتلك الطريقة المؤلمة فان مواقفها كانت سجل انتصارات وبطولات وملاحم تحكي عن عظمة امرأة خلقت من الماء والطين ليس اكثر لكنه الايمان الذي جعلها اقرب الى الله.. ومن مظاهر الإيمان هو الصلاة والعلاقة مع الله (ما رأيت إلا جميلاً.. اللهم تقبل هذا القربان) وهذا لا يكون إلا من نفس راضية بقضاء الله وقدره مطمئنة إلى وعده.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

ان عمتي زينب كانت تؤدي صلاتها من قيام الفرائض والنوافل وعند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام وفي بعض المنازل كانت تصلي في جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت أصلي من جلوسي لشدة الجوع لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال.[١]

---

١ - جعفر النقدي، زينب الكبرى.

وقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام:

واما عمتي زينب فانها لم تزل قائمة في تلك الليلة (أي العاشر من محرم) في محرابها تستغيث إلى ربها فما سكنت لنا عين ولا هدأت لنا رنة[١].

وقالت أيضاً:

ان عمتي مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية.

السيدة زينب عليها السلام لم تكن امرأة قائدة ومديرة ومواسية وموالية بل كانت أيضاً نموذجاً سامياً للمرأة الربّانية ..ولقد ضرب الله مريم عليها السلام مثلاً في تهجدها وعبادتها لله تعالى وكانت عليها السلام تصلي في أوقات الرخاء واليسر، فكيف بالسيدة زينب قد واظبت على عبادتها في أوقات الشدة والأعداء يحاصرونها ويحرمونها من الماء وهم يشتمون آل البيت ويستهينون بكل المقدسات والقيم.

وقد بانت علاقتها القوية مع الله من خلال عبادتها وخطبها وكلماتها مع الجميع، بانت وكأنها رسالة إلهية تتحرك بين أبناء البشر ومع كل الظروف الصعبة يأتي الإيمان والعلاقة الطيبة مع الله ليكون المعين على الثبات على العقيدة وعلى تحمل القول الثقيل والقدرة في التحكم في المشاعر والأهواء والاستمرار في طريق ذات الشوكة دون ارتخاء أو تنازل.. ولو سألنا أنفسنا ما هي أزمة الإنسان المعاصر - الرجل والمرأة - لوجدنا ان أزماته كلها الروحية والاجتماعية والنفسية تعود إلى أزمته الأصلية في غياب العلاقة مع الله وعدم وجود الذخيرة الروحية الناتجة عن ذلك والقادرة على فتح أبواب الأزمات والشبهات أمامه والتي ترسم له هدفيته الواضحة في الحياة.

والسيدة زينب عليها السلام رفضت الاستغلال السيّئ للفاجعة فرفضت ان

---

١ - الشريف الجواهري، مثير الأحزان، ص ٥٦٠.

تدخل عليهن اي امرأة كانت واشترطت ان لا يسمح بالدخول عليهن الاّ لامرأة مسبية أو أم ولد لكن هذا لم ينفِ الحضور الاجتماعي المتين الذي رسم آثاره في كل موقع نزلت فيه.

ومما ينقله أصحاب المقاتل ان السيدة زينب لم تستقبل أياً من أصحاب الواجهات فصاحت (زينب) بالناس: لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فانهن سبين كما سبينا.[1]

ومن المعروف ان الطامعين والطامحين إلى تحصيل المناصب والمقامات العليا يحاولون تقوية وجودهم من خلال استغلالهم لهذه المواقف، ولهذا كثيراً ما نرى الإعلام يعرض لنا الرؤساء (الجلادين) كيف انهم يساعدون الفقراء أو يزورون المرضى أو يزورون الشخصية العلمائية أو يقدمون لها دعماً أياً كان.. السيدة زينب عليها السلام قطعت السبيل امام هذا النمط من الاستغلال فرفضت دخول أي امرأة ما لم تكن امرأة عاشت مأساتهم ومصائبهم.

ورغم كل المصائب والمصاعب كانت السيدة عليها السلام شخصية متوازنة لم يطح بها الاضطراب النفسي الذي يئن منه الرجال والنساء؛ لأن الإنسان المؤمن يفرغ همومه من خلال إيمانه بانتصار العدالة الإلهية، ومن خلال يقينه بعدم ضياع جهوده أو أعماله في الحياة الدنيا.

كانت السيدة من أولياء الله الذين يعيشون همّ الآخرين وكيفية انقاذهم من الشقاء، ولأجل ذلك هاجرت مع أخيها وتحملت كل شيء.. وعاشت أهدافاً واضحة في الثورة ولم تعش الضبابية التي تعيشها نساؤنا ورجالنا في معرفة ما هو المطلوب وما هو الهدف وكيف الطريق إلى الهدف.

---

١ ـ المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٢٦.

لقد كانت المحن التي مرت بها من شهادة أمها وهي صغيرة واختفاء قبرها ومتابعة شؤون والدها المقصى عن الساحة كلها لا عن الخلافة وحدها ورؤية مصائب أبيها واخيها الحسن ومن بعدُ الإمام الحسين عليه السلام. كل ذلك اكسبها القدرة على التحمل وبهذا تحول العسر الذي عاشته إلى طريق نحو تكاملها. ورغم ان التاريخ لا يتحدث كثيراً عن السيدة وعن عموم آل البيت منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تولي أمير المؤمنين عليه السلام خلافة الدولة الإسلامية الكبرى عام ٣٥هـ. فلقد كان للسيدة زينب عليها السلام مجالسها الثقافية في الكوفة إبّان خلافة أبيها عليه السلام في المدة ما بين ٣٥ ـ ٤٠ هـ وبذلك أسهمت كثيراً في نشر الوعي الثقافي بين النساء خاصة إذ إنّ الكوفة كانت بعيدة عن مركز الوحي ومنطلق الإسلام الأول، وقد كان لهذه المجالس أثر كبير في وعي النساء الكوفيات وفي جعل الكوفة بالذات بلداً متميزاً بولائه لأهل البيت عليهم السلام ومتميزاً بنسائه في الطفوف وقبلها - راجع سير الوافدات على معاوية ـ[1].

بهذا تبدو السيدة زينب عليها السلام نموذجاً ثقافياً عالياً اشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: فأنت عالمة غير معلَّمة فهمة غير مفهَّمة.[2]

وهذا ما اثبتته هي في مجالسها وخطبها وكلامها وسلوكها وهي أيضاً نموذج لصورة متكاملة لما تحتاج إليه المرأة المسلمة من ثقافة.. وبخاصةٍ في عصرنا عصر العولمة وعصر القرية الكونية وعصر تحدي الثقافات وعصر مسخ الثقافات.

فلهذا زينب عليها السلام عالمة، عظيمة الصبر قوية في الله قمة سامية في إيمانها وشجاعة نادرة أمام أعدائها أين كل هذا من الصورة السلبية التي نحملها نحن في وعينا

---

١ ـ محمد الصدر، أخلاق أهل البيت.

٢ ـ المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٣١٣.

عن السيدة زينب بانها – والعياذ بالله – المنهارة، الشاكية، القليلة الصبر.

تقول عنها بنت الشاطىء: وكانت «زينب» هي التي جعلت من مصرع «الحسين» مأساة خالدة، لا نعرف ما هو أبعد منها أثراً في تطور العقيدة عن الشيعة.

وكانت هي التي صيرت من ليلة العاشر من المحرم، مأتماً سنوياً للأحزان والآلام، يحج فيه أحفاد «التوابين» إلى المشهد المقدس في «كربلاء»، حيث يعيدون تمثيل المأساة، وكانت هي التي سلطت عليها – من أنفسهم – نكالاً أليماً لا ينتهي بالموت، وإنما هي نار «الندم» الجامحة، يصلاها منهم الجيل بعد الجيل.[١]

بهذا يمكن القول: ان لنساء الطفوف أنواعاً متنوعة من الذكاءات وقد نحصر جلها في السيدة زينب عليها السلام بوصفها سيدة الطف الأولى، فقد كان لها ذكاء لغوي ولفظي من خلال الإفادة من أكثر الكلمات تأثيراً وآثاراً على المستمع كما هو ملاحظ في خطبتها. كما ان هذا النوع من الذكاء قد اشار إلى موقعية الكلمات في التأثير المختلف بين الموالين المتخاذلين وبين الأعداء الحاقدين فلكلّ كلماته التي تؤثر عليه.

كما كشفت السيدة عن نمط عالٍ من الذكاء العاطفي والذي يمثل ٨٥% من الاداء المرتفع للأفراد القياديي، والذي يتمثل في قدرتها على التحكم في عواطفها وفي توجيه عواطف الاخريات والآخرين (كما في كلامها مع الإمام زين العابدين عليه السلام). وفي توجيه العواطف لتكون سلاحاً قوياً بارزاً وخالداً أمام الأعداء. وهذا الذكاء هو الذي صان هؤلاء من الوقوع اسرى العواطف السلبية كاليأس والغضب والخوف وتحرك المنظومة كلها باتجاه التفاؤل (كد كيدك...) وباتجاه تحقيق الأهداف العليا للثورة الحسينية (انما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر). وأيضاً كشفت عن درجة عليا في مقاييس الذكاء الاجتماعي والذي

١ – بنت الشاطي، دكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص ١٦٧.

عرفه (ثورانديك) بانه القدرة على فهم الرجال والنساء والبنين والبنات وقيادهم ليعملوا بحكمة في العلاقات الإنسانية. وعرفه آخرون بانه القدرة على التعامل مع الناس، والقدرة على اصدار الأحكام في المواقف الاجتماعية والقدرة على التعرف على حالة المتكلم النفسية إلى غير ذلك.. ولم نشاهد في سلوكيات نساء الطفوف أي خلل في سياق التعامل الاجتماعي سواء معهم فيما بينهم كمنظومة آل البيت عليهم السلام أو مع الآخرين من المناصرين والموازرين الذين نصروا الإمام الحسين عليه السلام بأصنافهم، لا نجد هناك سلوكاً خاطئاً وموقفاً يتم الاعتذار منه هيهات لقد كانت السلوكيات كلها في المضامن العليا.

لقد كان حسن التصرف - بالتعبير الحديث - أحد أهم مظاهر السلوك لدى هؤلاء النساء الخالدات.

مضافاً إلى الذكاء الذاتي الفردي والذي يميز صاحبه بقوة ارادة وبقدرته على تحفيز ذاته بذاته دون وجود أشخاص آخرين (فهو سند لغيره) ويعيش أهدافه العليا ويسعى من أجلها كما انه يمتلك حلوله لمشكلاته - ومشكلات الآخرين - بعيداً عن الحيل النفسية وحالات الانكفاء على الذات والطفولة.

وهناك الذكاء الحركي الذي يهتم باختيار المكان ونمط الحركة فالسيدة زينب عليها السلام تقف على التل الزينبي وقفة شموخ سائلة عن مصير الإمام، والتاريخ يسجل هذه اللحظات الصعبة بل ويبقي صورة التل الزينبي انموذجاً للتواصل بين السيدة وأخيها، وأيضاَ نتقصى حركتها في الشام في تتبع الإمام زين العابدين عليه السلام لما خرج من الخربة.

وقد بقي لزينب عليها السلام رمزها في ارض الطفوف فالتل الزينبي كان يشرف على مصارع القتلى في حادثة الطف. إذ كانت السيدة زينب الكبرى (سلام الله عليها)

تتفقد حال اخيها الحسين (عليه السلام). هذا التل يشير إلى رحلتها المقدسة إلى كربلاء ويعرّف بدورها وبطولاهّا ويجعلنا بحاجة إلى اعادة النظر في أنفسنا لنرى ما هي المسافة بيننا وبينهن واين هو موقفنا أمام المشكلات والخطوب العاصفة بالاسلام.

ولقد صدق مطهري حينما قال: من بداية الخليقة الى الآن لم تأتِ امرأة من نساء الاولياء والانبياء بصبر وحلم زينب.

تأملات في خطاب السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس ابن زياد[1]

إنّ خطاب السيدة زينب عليها السلام كان يومئذٍ يتدفق كالشلال الهادر الذي ينحدر من قمة الجبل، يجرف معه ما يواجهه من الصخور، والأحجار، التي يقتلعها عن مستقرّها لا يصدّه شيء، ويرغمك أن تفتح له سمعك وقلبك.. كذلك كان تأثير هذا الكلام يومئذٍ على ذلك الجمهور الغفير الذي جاء متفرجاً على مأساة أهل البيت عليهم السلام، وليس متعاطفاً، كما يتفرج الناس على أي مشهد يثير فضولهم... فأرغمهم الخطاب على ان يعدلوا عن هذا الموقف إلى التعاطف والتفاعل، وأبكاهم فاجهشوا بالبكاء، وارتفع نحيبهم وصراخهم، وهزّهم من الأعماق. لقد أحبطت السيدة زينب عليها السلام بكلماهّا كل الجهد الذي بذله الطاغية في إدارة هذا المشهد الإعلامي وإعداده. إنّها كانت حمماً، وليست كلمات، قذفتها ابنة علي والزهراء على كل ما شيّده طاغية بني أمية في الشام وعاملهم في الكوفة فهدمت كلما صنعوا من مجد كاذب وغرور وكبرياء وسلطان.

ولست أدري ماذا أودع الله تعالى في خطابها واشاراهّا، من التأثير والنفوذ والقوة يومئذٍ، عندما أشارت إلى ذلك الجمهور المتفرّج اللاغط: أن اسكتوا، فسكنت الأنفاس والأجراس، كما تقول الرواية.

---

١ ـ نص منقول بتصرف من كتاب الخطاب الحسيني للشيخ الآصفي.

وليس لنا أن نتوقف بالتأمّل في كلمات ابنة الزهراء ووارثة علم علي وشجاعته وبلاغته، ومن الخير أن نمضي مع هذا السيل الجارف المتدفق من الخطاب الزينبي الهادر، ولا نشوّش على القارئ هذه الفرصة، حتى يرتوي من الخطاب كما يحب ويشتهي.

ولكن أجد من النافع أن أَشرح بعض مقاطع هذا الخطاب ليعرف القارئ خلفياته في القرآن والحديث والتاريخ. وإليك طائفة من هذه النقاط، معتذراً إلى سيدة نساء كربلاء وابنة سيدة نساء العالمين.

١ - الشجب والتأنيب والتقريع

كان أهل البيت عليهم السلام عند دخولهم إلى الكوفة بعد مأساة كربلاء بتلك الحالة المزرية، يتحدثون مع أهل الكوفة بمرارة وألم، لا نعرف في تاريخ أهل البيت عليهم السلام مثله قط بل إنهم اتبعوا في ذلك المنهج ما أسست له بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فهي أول من شجب وأنب وقرع المتخاذلين فضلاً عن التخصيص في الخطاب لذوي النخب ومن عليهم المتّكأ: يكشفها ابتداءً قولها عليها السلام: إيه بني قبلة. وكانوا يؤنّبون أهل الكوفة، ويشجبون تخاذلهم عن نصرة الحسين عليه السلام وغدرهم، وقعودهم عنه، بل خروجهم لقتال الحسين ومشاركتهم في محاربته.. أشدّ ما يكون الشجب والتقريع بعدما دعوه وكاتبوه، ووعدوه أن ينصروه ويقفوا معه، وتواترت إليه عليه السلام كتبهم، فتقول بحرقة وبألم ما بعده ألم:

«**يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل (الغدر)**».

وعندما رأتهم يتصارخون بالبكاء قالت لهم:

«**أتبكون فلا رقأت الدمعة**».

وتقرّعهم بما جنت أيديهم من الجريمة التي تخر الجبال لها هداً، فتقول: «أتدرون، ويلكم أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي

حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً».

ويتكرر هذا التأنيب والتقريع والشجب بكل ما تحمل الكلمة من حرقة وألم وأذى في كلمات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وفاطمة الصغرى والسيدة أم كلثوم في أوّل لقاء التقوا فيه أهل الكوفة وجهاً لوجه.

وعندما ارتفع نحيبهم وأجهشوا بالبكاء ندماً وحسرة قالت لهم:

«أتبكون وتنتحبون، أي والله، فأبكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولسوف يطول بكاؤكم ويقل فرحكم وسروركم ولن تغسلوا عار تلك الجريمة، وأنى تغسل الدموع عار تلك الجريمة التي شاركوا ودخلوا فيها وتخاذلوا فيها عن الحسين عليه السلام ونصرته، واصطفّوا مع أعدائه، رَهَباً أو رَغباً.

سبحان الله! ما هذه بكلمات، ولكنها أفلاذ من كبد الحوراء، بنت فاطمة، تتقطّع حسرة وألماً في هذه المأساة التي سجلها الله تعالى في ذاكرة التاريخ ليعرف الأجيال التي تأتي فيما بعد، بأيّ ثمن حفظت هذه الثلة من أهل البيت عليهم السلام الإسلام في تلك الحقبة الصعبة من التاريخ.

٢ - عاقبة الخذلان

ولن يطول الأمر بالذين تركوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده، في مقابلة عدوان بني أمية وبطشهم، وانتهاكهم لحرمات الله، فلم يغضبوا لله، ولم يضربوا معه بسيف، وخذلوه وخانوه، وصفوا مع الطاغية، وتعاونوا معه على قتله، وهو يدعوهم إلى الله، والطاغية يدعوهم إلى النار...

فلن يطول بهم الامر حتى يذلهم الله على يد طغاة بني أمية الذين آثروا نصرهم

والوقوف معهم على الانتصار للحسين عليه السلام، وهذه سنن الله عزّ وجل تلقيها الحوراء زينب عليها السلام في ذلك المشهد العجيب، بعد عودتها من مأساة كربلاء... فلن يطول بهم الزمان حتى يحكمهم الحجّاج بالسيف والقهر والذل والبطش، ويذلهم ببطشه، ويسفك دماءهم.

وكأنما ترى الحوراء في ذلك اليوم بطش الحجّاج بهم وإذلاله لهم، بعد أن تخاذلوا عن نصرة أخيها بكربلاء وهو يدعوهم إلى الله ورسوله:

«فتعساً ونكساً، وبعداً لكم، وسحقاً، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليهم الذلة والمسكنة».

إنّ السيوف التي غُمدت عن نصرة الحسين عليه السلام سُلّت بعد ذلك لقتال الحسين جنباً إلى جنب مع الطاغية يوم عاشوراء، ثم لم تطل بهم العافية التي طلبوها في الدنيا بجانب بني أمية، حتى استبدّ بهم طغاة بني أمية وحكمهم الحجّاج فأكثر فيهم القتل وانتهك حرماتهم، وأراهم الرعب والخوف والذل والبطش.

وتتنبأ الحوراء زينب عليها السلام بهذه العاقبة لأولئك الناس يومئذٍ، حينما تقول: «وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة».

٣ - التعميم في الخطاب

يلفت النظر في هذا الخطاب التقريعي ان السيّدة زينب عليها السلام تعمّم التقريع والتأنيب بقتلهم للحسين عليه السلام على الحاضرين الذي استقبلوهم بظهر الكوفة، وعلى المشاركين في قتال أخيها على نحو سواء فتقول:

«أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم. فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولم يكن في ذلك الجمهور نفر كثير ممن شارك في قتل الحسين عليه السلام، فإن الجلاوزة جاءوا بأهل البيت عليهم السلام والرؤوس الشريفة قبل عودة الجيش إلى الكوفة، على أننا نستبعد أن يكون هؤلاء الذين استقبلوا أهل البيت عليهم السلام بالبكاء والنحيب ممن تلطّخت أيديهم بدماء شهداء الطف.

فمن هذا الخطاب، كما هو ظاهر لا يخص الذين تولّوا قتل الحسين وأصحابه عليهم السلام، وإنّما يشمل جمهوراً كبيراً من أهل الكوفة، الذين تخاذلوا عن نصرة الحسين عليه السلام، ورضوا بمقتله ولم يغضبوا لقتل الحسين عليه السلام، هؤلاء يشملهم هذا الخطاب، وملاك التعميم هو الرضا والسخط.

فإنّ الرضا والسخط يجمعان الناس الذين يجمعهم الرضا والسخط، وان تباعدت أزمانهم وبلادهم ويقرّبان الناس الذين يفرّقهم الرضا والسخط، وإن تقارب مكانهم وزمانهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها الناس إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، قال سبحانه:

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1].

فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة من الأرض الخوارة».[2]

وهؤلاء الناس رضوا بقتل الحسين عليه السلام، حتى الذين لم يشاركوا منهم في قتال الحسين عليه السلام، وأصحابه يوم عاشوراء، وآية هذا الرضا انّهم لم يسخطوا ولم

---

١ ـ سورة الشعراء، الآية ١٥٧.

٢ ـ نهج البلاغة، ٢/٢٠٧.

يغضبوا، ولم يثوروا بوجه الطاغية، ولم يتلاوموا فيما بينهم على تخاذلهم عن دعوة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نستثني منهم إلا (التوّابين) الذين عادوا إلى رشدهم فيما بعد، وتلاوموا وتعاهدوا على الثأر لدم الحسين عليه السلام، إذ فاتهم الانتصار للحسين عليه السلام.

روى محمد بن الأرقط عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«تنزل الكوفة؟

قلت: نعم. قال:

فترون قتلة الحسين بين أظهركم،

قلت: جعلت فداك ما رأيت أحداً منهم. قال:

فإذن أنت لا ترى القاتل إلا من قتل أو وُلي القتل، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجل:

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

فأي رسول قتل الذي كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام رسول، وإنّما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين».[2]

ويشير الإمام عليه السلام في هذه الرواية إلى الآيات (١٨١ – ١٨٣) من سورة آل عمران:

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟

---

١ – سورة آل عمران، الآية ١٨٣.

٢ – تفسير البرهان: ١/٣٢٨ .

وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

فإنّ هؤلاء الذين ينسب الله تعالى إليهم القول بأن الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق... قد قالوا هذه الكلمة، كما يثبتها المفسرون في شأن نزول هذه الآية، ولكن لم يقتلوا نبيّاً قط... وقد جاءت هذه النسبة إليهم بوضوح في موضعين من هذه الآيات، فأي نبي قتل هؤلاء، وبينهم وبين أنبياء بني إسرائيل عدّة قرون من الزمان... وإنّما الذي قتل الأنبياء من بين إسرائيل وأنكر نبوهم وجحدهم سلفهم من اليهود.

والجواب: إنّ اليهود في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا راضين بجرائم آبائهم، ولم يتبرّأوا منهم، ولم ينكروا عليهم، ولم يعلنوا رفضهم وبراءهم عنهم، فنسب الله تعالى إليهم جرائم آبائهم في قتل الأنبياء.

وتشير السيدة زينب بطلة مأساة كربلاء إلى هذه الحقيقة.

فإنّ هؤلاء شاهدوا أبشع جريمة في عمل بني أمية، وأنصع دعوة في تاريخ الإسلام في دعوة الحسين عليه السلام، فلم يقفوا مع الحسين عليه السلام وينكروا على طغاة بني أمية جريمتهم بحق الحسين عليه السلام وأصحابه.

ولم يتبرأوا من فعلتهم، ولم يعلنوا سخطهم وانكارهم وبراءهم منهم، وآثروا العافية في كل ذلك على مرضاة الله، فسكتوا ورضخوا وخذلوا إمام المسلمين عليه

السلام... ولا نستثني منهم إلا الذين عادوا إلى رشدهم وتابوا وأعلنوا غضبهم وخروجهم على بني أمية بعد ذلك.

فتخاطبهم الحوراء بهذا الخطاب المؤلم الشامل، وبهذا التقريع الشديد العام:

«فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. . وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون».

«ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ واي حرمة له انتهكتم؟».

ثم تعمّهم بالدعاء بعد أن عمّتهم الجريمة:

«فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة».

٤ - الإمهال في العذاب

وتنذرهم ابنة علي عليه السلام في هذا الخطاب بعذاب الدنيا وأليم عذاب الآخرة:

أفعجبتم إن مطرت السماء دماً.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

وأي عذاب هذا العذاب؟ أن تمطر السماء دماً، ثم تنذرهم بأنّ عذاب الآخرة أشد وآلم.

ثم تنذرهم مرة أخرى أن لا يغرّهم، ولا يستخفّنهم تأجيل العذاب عنهم إلى حين، فإنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، تقول عليها السلام:

«فلا يستخفنكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربّكم لبالمرصاد».

ومن أشد ما يعاقب الله تعالى عباده أن يمهلهم ويستدرجهم إلى العصيان والإثم، ويملي لهم، ثم ينقضّ عليهم العذاب، فيأخذهم فجأة، ضحىً وهم يلعبون.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]. ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[2].

فتنذرهم السيدة أن لا يستخفنهم الإمهال في العذاب، فإنّ الله تعالى لا يحفزه البدار، ولا يستعجل بعذاب عباده، وفي ذلك نقمة وعقاب لمن يستحق النقمة والعقاب فلا يتوب ولا يؤوب إلى رشده فيزداد إثماً، ويستدرجه الإمهال إلى الامعان في العصيان والإثم.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً، فأذنب ذنباً تبعه بنقمة يُذكّره الاستغفار، وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجل:

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].»[4]

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

٢ ـ سورة الأنعام، الآية ٤٤.

٣ ـ سورة الاعراف، الآية ١٨٢.

٤ ـ بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٨٧.

وما من عقوبة للأمم التي استحقت العقوبة بالعصيان والإثم أشد من الاملاء والإمهال.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، والكلام في نهج البلاغة:

«أيها الناس ليراكم الله من النعمة وجلين، كما يراكم من النقمة فرقين، إنّه مَن وسّع عليه في ذات يده، فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً».[1]

ويقول عليه السلام:

«كم من مستدرج بالاحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له».[2]

ولم يطل الإملاء والإمهال الإلهي بهؤلاء القوم الذين أنذرهم ابنة الزهراء عليها السلام بعذاب الله في ذلك اليوم الرهيب، طويلاً فما مرَ عليهم سنوات خمس حتى سلّط الله تعالى عليهم المختار رحمه الله فاستتبعهم ولاحقهم والتقطهم وعاقبهم تحت شعار: «الثأر من قتلة الحسين»، ولم يسلم منهم إلا القليل وأذاقهم الذل والخوف والرعب وحر الحديد، ولعذاب الآخرة آلم وأشد وأقسى.

ثم لم يمضِ بعد ذلك سنوات حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف لعنه الله، فأذاقهم الذل والهوان والقتل وسلب منهم الأمان والعافية التي كانوا يطلبونها لدنياهم فخذلوا الحسين عليه السلام، فعاقبهم الله بالحجّاج.

ثم توالت عليهم المحن والنكبات محنة بعد محنة ونكبة بعد نكبة، وتتابع عليهم طغاة بني أمية طاغية بعد طاغية.

---

١ ـ نهج البلاغة، حكمة رقم ٣٥٨.

٢ ـ نهج البلاغة، حكمة رقم ١١٦.

٥ - الإحباط

وتذكّرهم زينب عليها السلام بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ... ﴾.[(١)و(٢)]

فقد نقض القوم كل ما شيّدوه وعملوه من قبل، وقد كان فيهم من وقف مع علي عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان، ولكنهم نقضوا كل ذلك في عاشوراء عام (٦١هـ) بخذلانهم للحسين عليه السلام ووقوفهم إلى جنب الطاغية وقتالهم الحسين، ورضاهم بقتالهم. إن المحافظة على الأعمال الصالحة قد تكون أشق من أصل العمل، وليس بقليل الذين أحسنوا، وعملوا الأعمال الصالحة، ثمّ أفسدوا أعمالهم وأبطلوها.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾.[(٣)]

ويقول تعالى:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾.[(٤)]

---

١ – سورة النحل، الآية ٩٢.

٢ – النقض يقابل الإبرام، وهو بمعنى افساد ما أحكم من حبل أو غزل. والنكث بمعنى النقض، وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلاً كان أو غزلاً، والآية الكريمة تنهاهم عن أن يكونوا كالمرأة التي تغزل ثم تعود فتنقض ما غزلت وتهدم ما بنت.

٣ – سورة محمد، الآية ٣٢ – ٣٣.

٤ – سورة الفرقان، الآية ٢٣.

وكما أن السيئات تحبط الحسنات، كذلك الحسنات تكفّر السيئات وتغطيها.

والقرآن يشير إلى كل من هذين: الاحباط والتكفير، يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.[1]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ... ﴾.[2]

فالأعمال، كالأشياء المادية، فيها بناء وهدم، وفيها إعادة بناء ما هدمه الإنسان، وهدم ما بناه.

إنّ السلوك الاجتماعي والسياسي والمالي في وسط المجتمع من أشق الأمور، فقد يهدم الإنسان في موقف سياسي أو اجتماعي ما بناه وعمله في حياته.

وتنصحهم السيدة زينب ألا يكونوا ممّن أحبطوا أعمالهم.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾.

وألا يتخذوا أيمانهم ومواثيقهم التي أعطوها للحسين عليه السلام من قبل حين سألوه القدوم إليهم، دخلاً وأداة للغدر والخيانة.

وطالما يجدون فرصة للعودة والتوبة إلى الله فعليهم أن يعودوا ويتوبوا إلى الله عن الخذلان والتقصير، الذي حصل منهم تجاه دعوة سيد شباب أهل الجنة.

---

١ – سورة الأنفال، الآية ٢٩.

٢ – سورة هود، الآية ١١٤.

ولئن كان في كلمات السيدة زينب عليها السلام تقريع موجع يعبّر عن آلام بطلة مأساة كربلاء... فإنّها (عليها السلام) تفتح لهم طريق العودة إلى الله مرة أخرى، وان يؤوبوا إلى أنفسهم، ويستغفروا الله، ولئن فاهم أن ينصروا الحسين عليه السلام فلا يفوهم أن يثأروا له وللكوكبة الصالحة التي خرجت معه، وأن ينتقموا من الظالمين الذين أكثروا الفساد في الأرض.

٦ - علاقة الكوارث الكونية بسيّئات الناس

نجد في كلام السيدة زينب عليها السلام إشارتين جديرتين بالتوقف والتأمّل في علاقة الكوارث الكونية والعذاب الإلهي النازل على الأرض بسيّئات الناس وذنوبهم.

فهي تخاطبهم منذرة إيّاهم من عذاب الله: أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له ابرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ واي حرمة له انتهكتم؟

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾.[1]

ثم تقول بعد ذلك، وفي نفس السياق: «ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم ان مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى».

---

١ - سورة مريم، الآية ٨٩.

الآية الكريمة من سورة مريم: ٨٩، وهي بصدد تهويل الشرك بالله، وأن بالشرك بالله تكاد السماوات أن تتفطر وتكاد الأرض أن تنشق وتكاد الجبال أن تسقط (تخر) هدّاً (أي هدماً) يعني تكاد أن تنهدم الجبال وتتساقط. و(الإد) الذنب الفظيع، وواضح أن الآية الكريمة بصدد التهويل، وتحسيس المشركين بهذه المظاهر الكونية المحسوسة على عظم الجريمة، ولكنها واضحة في علاقة العذابات الكونية كالزلازل والكوارث الكونية بسيّئات أعمال الناس وجرائمهم.

الكوارث الكونية عند مصرع الحسين عليه السلام

وقد استفاضت الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر أم المؤمنين أم سلمة رحمها الله بمصرع الحسين عليه السلام وأودع عندها قارورة، وعرّفها أنها إذا فاضت دماً فهو علامة مصرع ولده الحسين عليه السلام... فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق كانت أم سلمة تنظر إلى القارورة كل يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحولين إلى دم ليوم عظيم.

فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم العاشر من المحرم في المنام أشعث، مغبرّاً، وعلى رأسه التراب، فقالت له: مالي أراك يا رسول الله مغبراً؟!

فقال لها: قتل ولدي الحسين عليه السلام، ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه، فانتبهت من منامها مذعورة، فبادرت إلى القارورة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علامة لها فإذا بها تفور دماً.

فنادت أم سلمة: قتل الحسين، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، فأقبلوا النساء عليها، وقلنَ لها: (من أين علمت ذلك فأخبرتهنّ برؤياها، وتصارخت النسوة، حتى ضجت المدينة، وهذه الرواية معروفة وقد ذكرها جملة من المؤرخين».[١]

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: (ومما ظهر يوم قتله عليه السلام من الآيات أيضاً أن السماء اسودّت اسوداداً عظيماً، حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط).[٢]

---

١ ـ منهم ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨٥/١٣ و٣٤٠/٤، واليافعي في مرآة الجنان: ١٣٤/١، وأحمد في (المسند): ٢٤٢/١، وابن الأثير في الكامل: ٣٨/٤، والخوارزمي في المقتل: ٩٥/٢، والمحب الطبري في ذخائر العقبى: ١٤٨، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٣٩، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ٣٥٥/٢. والشيخ الطوسي في الأمالي: ٥٦/٣، والطريحي في (المنتخب): ٢٣٥، والسيوطي في (الخصائص): ١٢٦/٢، ومصادر أخرى أخذناها من مقتل الحسين للعلامة الفقيد السيد عبد الرزاق المقرّم (ره): ٣٤٣.

٢ ـ الآصفي: الخطاب الحسيني، نقلاً عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٣٤٥.

يقول السيد عبد الرزاق المقرّم في المقتل:

(أظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودّت سواداً عظيماً حتى ظن الناس ان القيامة قامت وبدت الكواكب نصف النهار ولم ير نور الشمس.

والروايات التاريخية في ذلك متضافرة، تناقلها أئمة التاريخ والسيرة، وحفّاظ الحديث النبوي، ولا نريد أن نسهب في هذا الأمر أكثر من هذا الحد.

الكوارث الكونية وعلاقتها بسيئات الناس في القرآن

والقرآن صريح وواضح بعلاقة الكوارث الكونية بسيئات أعمال الناس. وإليك هذه الآيات من كتاب الله:

يقول تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾.[1]

ويقول تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾.[2]

ويقول تعالى:

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾.[3]

---

١ – سورة الشورى، الآية ٣٠.

٢ – سورة الروم، الآية ٤١.

٣ – سورة المؤمن، الآية ٢١.

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾.[1]

ويقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾.[2]

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾.[3]

ويقول تعالى في قوم:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾.[4]

---

١ ـ سورة الإسراء، الآية ١٦.

٢ ـ سورة الشمس، الآيات ١١ ـ ١٤.

٣ ـ سورة الفجر، الآية ٦ ـ ١٤.

٤ ـ سورة نوح، الآية ٢٥.

النعمة وعلاقتها بالتقوى

والعكس أيضاً صحيح، فكما تنزل الكوارث والنقم بسيئات أعمال الإنسان، كذلك تنزل النعم والخيرات والبركات على الأرض بحسنات أفعال الناس.

وكما تكون الآثام والمعاصي سبباً في نزول الكوارث من زلزلة وصاعقة وفقر وبأس وابتلاء وأمراض وحروب كذلك تكون التقوى سبباً لنزول الرحمة، من لدن الله إلى الأرض، ويفتح الله تعالى على الناس بالتقوى بركات الأرض والسماء.

يقول تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.[1]

والسنّة الإلهية العامة في هذا وذاك انّ الله تعالى لا يغير ما بالناس من نعمة ورحمة أو ابتلاء وشدّة إلا بسيئات أعمالهم وحسناتها، فإذا حسنت أعمالهم أحسن الله إليهم، وإذا ساءت أعمالهم عاقبهم الله تعالى فساءت أحوالهم.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾.[2]

ويقول تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.[3]

---

١ – سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٢ – سورة الرعد، الآية ١١.

٣ – سورة الأنفال، الآية ٥٣.

وهاتان الآيتان واضحتان في الدلالة على العلاقة بين أحوال الناس وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبين أعمالهم، فإذا ساءت أعمالهم ساءت أحوالهم وأوضاعهم، وإذا حسنت أعمالهم طابت وحسنت أوضاعهم وأحوالهم.

العلاقة بين العمل والجزاء

ولا نريد أن نترك هذا الحديث قبل أن نتطرق إلى القانون العام الشامل لكل ما ذكرناه، وهو علاقة العمل بالجزاء في المعايير الإلهية.

إنّ الجزاء الوارد في النصوص الإسلامية من كتاب وسنّة من قبيل نتائج الأعمال وآثارها التكوينية، وليست من قبيل العلاقة بين العمل والجزاء في الدنيا. فإنّ العلاقة بين العمل والجزاء في الدنيا علاقة قانونية تدخل في دائرة التقنين والتشريع، ويختلف الجزاء من أمة إلى أخرى، حسب اختلاف القوانين والتشريعات، فقد تكون القوانين متسامحة في تقدير العقوبة، فتكون العقوبة هيّنة، وقد تكون القوانين متشدّدة فتكون العقوبة شديدة وقاسية.

ولكن الجزاء في الآخرة، عقوبة ومثوبة، من قبيل النتائج والآثار التكوينية للأعمال، ولا تدخل في حقل القرارات التشريعية... ومثل ذلك في الدنيا أن من لا يتحفظ على صحته ولا يحتمِ يمرض. والمرض هنا نتيجة عدم الاحتماء، والتاجر الذي يهمل الحركة في السوق يصيبه الفقر والخسران. والفقر والخسارة نتيجة لانعدام السعي والحركة في السوق. والطالب الذي يكسل عن الدراسة ولا يجتهد في الدرس يفشل في الامتحان، والذي يسعى ويجتهد ينجح ويتقدم.

كذلك العلاقة بين العمل والجزاء في الآخرة من هذا القبيل، وكذلك في الدنيا، في غير العقوبات التشريعية التي تدخل في دائرة التقنين والتشريع.

٧ - ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله

تقول الحوراء زينب عليها السلام في خطابها لأهل الكوفة:

«ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون».

وهذه الفقرة من كلام السيدة مقتبسة من قوله تعالى:

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾.[1]

وهذه النقطة من كلام السيدة عليها السلام ذات علاقة بالنقطة السابقة، في علاقة العمل بالجزاء. إنّ جزاء عمل الإنسان في الآخرة هو نتيجة عمله في الدنيا، وهذه النتيجة هي باطن عمل الإنسان تتراءى له في الدنيا بغير هذه الصورة، وتتجلى له في الآخرة بصورته الحقيقية. حيث يكشف عن بصر الإنسان، فيرى واقع عمله وباطنه الذي كان يخفى عليه في الدنيا. يقول تعالى:

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[2]

وكأنّ الإنسان كان في غفلة من حقيقة السيئة وواقعها وجوهرها فارتكبها، فلمّا كُشِفَ عن عينه الغطاء بالموت وجد ما غفل عنه.

إنّ مال اليتيم الذي يأكله الناس حراماً، ظاهره ذهب وفضة ومتاع وضياع، وباطنه نار يغفل عنها الإنسان، فإذا حل به الموت وكشف عن عينيه الغطاء، عرف ما غفل عنه في الدنيا.

---

١ - سورة المائدة، الآية ٨٠.

٢ - سورة ق، الآية ٢٢.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾.[1]

إنّ الناس لا يرون من هذه النقود والضياع في الدنيا إلا ظاهرها، فإذا ماتوا عرفوا ما غفلوا عنه وعرفوا أنّ الذي أكلوه من أموال اليتامى كان ناراً في بطونهم.

وان الثمن البخس الذي يبيع به علماء أهل الكتاب ما عرفوا من التوراة والانجيل فأخفوه عن الناس وتكتّموا به... إنّ لهذا الثمن البخس الذي تلقوه إزاء هذا الكتمان ناراً في بطونهم غفلوا عنه في الدنيا، فإذا ماتوا عرفوا به:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[2]

ويقول تعالى:

﴿... وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾.[3]

إنّ تعبيرات القرآن في هذه النقطة واضحة وصريحة مثل:

---

١ ـ سورة النساء، الآية ١٠.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ١٧٤.

٣ ـ سورة التوبة، الآيتان ٣٤ ـ ٣٥.

﴿هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾.

وأمثال ذلك، وهي تأبى الحمل على المجاز. وهذا هو باطن عمل الإنسان وجوهره الذي كان يخفى عليه في الدنيا. وما يصدر عن الإنسان من عمل من خير وشر، يبقى ولا ينعدم، فإذا مات الإنسان أحضره الله تعالى عنده، فوجد ما عمله من خير أو شر حاضراً.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ...﴾.[1]

ها هنا يجد الإنسان عمله حاضراً أمامه بعينه، فإذا كان عمله سوءاً تمنى أن يكون بينه وبين عمله أمد بعيد، وان يتخلص من عمله، ولكن هيهات

﴿... تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

وجزاء الإنسان في الآخرة بنفس عمله، وعمله جزاؤه.

يقول تعالى:

﴿... لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[3]

ويقول تعالى:

﴿...ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ...﴾.[4]

---

١ – سورة آل عمران، الآية ٣٠.

٢ – سورة آل عمران، الآية ٣٠.

٣ – سورة التحريم، ٧.

٤ – سورة البقرة، الآية ٣٨١.

وفي سورة الإسراء نلتقي آية عجيبة في كتاب الله:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.[1]

و(الطائر) هو (العمل). ويوم القيامة يجعل الله أعمال الناس في أعناقهم، وهو كتابهم الذي يعكس أعمالهم، إنّ أعمالهم هو كتابهم الذي يلقون به الله تعالى، والإنسان هو الذي يقرأ كتابه يومئذٍ، لا غيره ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ وهو الذي يحاسب نفسه ويحكم على نفسه:

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

إذن جزاء الإنسان هو عمل الإنسان، باطن عمل الإنسان، وهذا الباطن كان قائماً في الدنيا غير أن الإنسان كان غافلاً عنه.

فإذا مات الإنسان انكشف باطن عمله، وأُحضر عمله إليه، ويرى الإنسان عندئذٍ عمله الذي قدمه لنفسه، يقول تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.[2]

إنّ الإنسان يومئذٍ يرى عمله من خير أو شر، فإذا عمل خيراً رآه أمامه، ولو كان مثقال ذرة من الخير.

ومن عمل شرّاً يره أمامه، ولو كان مثقال ذرّة من الشّر، فإنّ الميزان والحساب دقيق، غير أن الله رؤوف بعباده رحيم.

---

١ ـ سورة الإسراء، الآيتان ١٣ ـ ١٤.

٢ ـ سورة الزلزلة، الآيات ٦ ـ ٨

فما يعمله الإنسان من عمل في الدنيا من خير أو شر، إنّما يقدمه الإنسان لنفسه في الآخرة فإذا مات وجده أمامه.

يقول تعالى:

﴿...وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾.[1]

وهنا (الإمام المبين) لا يغفل عن شيء قدمه الإنسان أبداً فهو يحصي كل صغيرة وكبيرة مما قدمه الإنسان لنفسه إحصاءً دقيقاً.

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.[2]

وتأمّلوا في هذه الآية من كتاب الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.[3]

حيث يأتي الأمر بأن ينظر الإنسان فيما يقدمه لآخرته، بعد الأمر بالتقوى وقبله، وهو يستوقف الإنسان طويلاً، فإذا كان ما يعمله الإنسان من عمل هو ما يقدّمه لغد، فما أحراه بأن يتقي الله تعالى في عمل يعمله من صغير وكبير.[4]

السلام على من أصبح حرمها موئل آمال الآملين وملتقى وفود الزائرين ويتمسك بضريحها جميع المحبين والمحتاجين ويأتّم بقبرها الخلائق في كل حين.

١ – سورة يس، الآية ١٢.

٢ – سورة البقرة، الآية ١١٠ والآية ٢٢٣.

٣ – سورة الحشر: الآية ١٨.

٤ – الآصفي، آية الله الشيخ محمد مهدي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية للثورة الحسينية، ص٧٤.

المصادر

١. ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف.

٢. آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي، الخطاب الحسيني، المرحلة الثانية للثورة الحسينية.

٣. بنت الشاطىء، بطلة كربلاء.

٤. د. أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية.

٥. السيد حسين معن، الإعداد الروحي.

٦. السيد محمد باقر الحكيم، دور المرأة في النهضة الحسينية.

٧. عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنّة والادب.

٨. عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسين عليه السلام.

٩. عبد الوهاب الكاشي، مأساة الحسين بين السائل والمجيب.

١٠. العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين.

١١. كفاح الحداد النجاح في عالم المرأة.

١٢. كفاح الحداد، المرأة والعمل السياسي.

١٣. مؤسسة البلاغ، الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

١٤. مؤسسة البلاغ، زينب وفاجعة كربلاء.

١٥. مؤسسة البلاغ، نساء المثل الأعلى.

١٦. مجموعة باحثين، مجلة المنعطف، العدد ١٥/ ١٦.

١٧. مجموعة مؤلفين، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، كتاب المنهاج.

١٨. محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء.

١٩. محمد مهدي الآصفي، في رحاب الإمام الحسين عليه السلام.

٢٠. محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين.

٢١. مرتضى مطهري، الملحمة الحسينية.

٢٢. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

المحتويات

الفصل الأول

المرأة قبل الطفوف

الفصل الثاني

نساء الطفوف

الفصل الثالث

نساء الطفوف في دائرة الضوء

الفصل الرابع

سيدة الصف الأول

اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي

١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير

٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو